المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

التَّنَاسُبُ بَينَ المُقسَمِ بِهِ والمُقسَمِ عَلَيهِ وأَثَرُهُ فِي التَّفسِيرِ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:
محمد بن علي بن محمد القرني
الرقم الجامعي (٤٣٠٨٨٠٤٠)

إشراف فضيلة الشيخ:
د/ صدّيق أحمد مالك علي

١٤٣٤هـ-٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة:

(التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وأثره في التفسير)

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة وخطة البحث وطريقة العمل فيه.

التمهيد: وفيه تعريف بمصطلحات عنوان البحث (التناسب، القسم، أثر التناسب في التفسير) .

الفصل الأول: وفيه دراسة التناسب بين المقسم به المفرد والمقسم عليه وأمثلته من القرآن الكريم.

الفصل الثاني: وفيه دراسة التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه وأمثلته في القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذه الرسالة وفيها كذلك بعض التوصيات التي أرى أنها يجب أن تراعى فيما يستقبل من البحوث في هذا الموضوع.

وفي نهاية البحث فهارس متعددة لما ورد في البحث من الايات الكريمة والأحاديث الشريفة والأعلام والبلدان والأشعار والمصادر والمراجع التي رجعت اليها في هذا البحث وأسال الله التوفيق والسداد.

إعداد الطالب: محمد بن علي بن محمد القرني

إشراف: د/ صديق أحمد مالك علي

ملخص الرسالة (انجليزي)

Thesis abstract

Thesis title : (Appropriateness between the sworn and the sworn upon and its effect on interpretation .)

This thesis is composed of an introduction , a preface , two chapters and a conclusion :

Introduction : it deals with the importance of researching , the reason behind its selection , the previous studies , the research plan and the way of carrying it out.

Preface : It includes a definition of the terminology of the research title : (the appropriateness , swearing and its effect on the Koran interpretation).

Chapter one : It includes a study of the Appropriateness between the sworn and the sworn upon and examples from the Holy Koran.

Chapter two: it includes a study of Appropriateness between the sworn and the sworn upon and examples from the Holy Koran.

Conclusion : It includes the main results of the thesis as well as some of the recommendations that should care about any coming researches in this connection .

At the end of the thesis : there are several indexes of the contents of the research concerning the Koran verses , the Holy prophet sayings , biographies of scholars , countries , poems , bibliography , references and other resources

Prepared by student : MOHAMMAD ALI MOHAMMAD ALQARNI .

Supervised by : Dr. SADEEK AHMAD MALEK ALI .

الإهداء

إلى من سهر وتعب ودعا لي وشجعني

(والدي الحبيب)

إلى من كنت أتمنى وجودها لتشاركني فرحتي

(والدتي الغالية)

أهدي هذا العمل المتواضع وأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يجعل لوالدي ووالدتي أجرا من كل نفع يحصل منه إنه جواد كريم

ثم أهديه لزوجتي وأولادي وكل من أحبني وشجعني ودعا لي

الباحث:

محمد بن علي بن محمد آل مقبول القرني

شكر وتقدير

بادئ ذي بدء أحمد الله تعالى كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه، وأشكره شكرا جزيلا على عظيم نعمه وامتنانه .

أما الأحبة فكثيرون هم أصحاب الفضل علي ولا يمكنني بعباراتي ايفاءهم حق فضلهم ولكن أسأل الله تعالى أن يجزيهم جميعا عني خير الجزاء

لكن منهم فئة تميزت بعطائها فحق لها أن تذكر مخصوصة بالشكر بعد شكر الله تعالى، وأولهم صاحب الفضيلة الدكتور: صديق بن أحمد مالك علي الذي كان معي في مرحلة الماجستير بكاملها منذ بداية السنة المنهجية كأستاذ لي ولزملائي ثم أنعم الله علي أن كان مرشدا لي بعد ذلك ومشرفا علي في هذه الرسالة ومهما قلت فلن اوفيه حقه من الشكر ولا أملك إلا الدعاء له في غيبته وحضوره فجزاه الله عني خير الجزاء

كان يعاملني معاملة الأخ والصديق وقد تواضع -مع جلالة قدره-معي أيما تواضع فقدم لي من جهده ووقته ونصائحه وذهب في كل مكان أذهب إليه أثناء إجراءات البحث الأولية واجتهد وكأن البحث يخصه مع أن طلابه غيري كثر ولكنها أخلاقه التي زينها العلم وفقه الله وكتب ذلك في ميزان حسناته

ثم أشكر كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ممثلة في عميدها الدكتور محمد السرحاني الذي كان مصاحبا لنا منذ أن كان وكيلا للكلية للدراسات العليا إلى أن اصبح عميدا للكلية

والشكر موصول لقسم الكتاب والسنة بجميع منسوبيه من اصحاب الفضيلة المشايخ وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الدكتور: غالب الحامضي. فجزاهم الله عني خير الجزاء

وأشكر لجنة المناقشة على تحملهم قراءة أخطائي والسعي لتصويبها وأسأل الله تعالى أن يكتب لهم الأجر والثواب إنه سميع مجيب

الباحث:

محمد بن علي بن محمد آل مقبول القرني

المقدمـــــة

المقدمـــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وقائدنا وقدوتنا محمداً عبدالله ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، فصلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، ومن سار على نهجه، واتبع أثره إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فلقد امتن الله -تعالى- على هذه الأمة، بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس، ودينها مهيمناً على الأديان، ورسولها خاتم الرسل وإمامهم، وكتابها ناسخاً لكل كتاب قبله، مشتملاً على كل ما يصلح به أمر الدين والدنيا، وهو المعجزة الخالدة، التي أعيت البلغاء، وأذهلت الفصحاء والعلماء، وجعلتهم يقفون حائرين أمام قوة اللفظ، وصدق المعنى، وحسن العبارة، وانتقاء الكلمة، والأخذ بمجامع القلوب، والدخول إلى أعماق الألباب، والتأثير في النفوس، بما يعجز أن يأتي بمثله كل ماهر في فن الكلام، وصياغة العبارات.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

ولهذا تبارى أهل العلم والفضل، في النهل من معينه العذب الصافي، والأخذ من علمه الغزير الوافي، كل بجهده وطاقته، منذ عهد صحابة النبي ﷺ إلى عهدنا الحاضر، حيث ظهر لنا العلماء الذين قدموا للأمة كمّاً هائلاً من العلم، في مختلف العلوم الدينية، من التفسير، والفقه، والعقيدة، وغيرها، وظهرت لنا علوم أخرى، منها ما هو متصل بكتاب الله مباشرة، كعلوم القرآن الخادمة له، فمنها ما يتعلق بمجمله ومبينه، وما يتعلق بمطلقه ومقيده، وما يبحث في ناسخه ومنسوخه، وما

يتعلق بقراءاته، ومنها ما يدرس كتاب الله من خلال التأمل في هداياته، كما يرى اليوم في التفسير الموضوعي، وكتب الدعوة، وغيرها.

وإن المتأمل في أساليب القرآن الكريم، وفي خطابه للناس بمختلف شرائحهم وعقائدهم، وبما يتناسب مع كل فئة منهم، ويصل إلى عقولهم وأفئدتهم، ويحرك مكامن الخير لديهم، يجد ما يروي عطشه، ويشبع نهمه، ويصل بت إلى أعلى درجات الرقي، فهو منهج الحياة، وأساس الحضارة، مهما تحدث المتحدث، ومهما وصف الواصف، إلا انه يبقى عاجزاً عن الإتيان بما يستحقه هذا الكتاب العظيم.

وإن من هذه الأساليب الراقية: [أسلوب القسم] الذي ورد كثيراً في القرآن الكريم، يخاطب كلاً بما يناسبه، من العبارات المتقنة السبك، بكافة صورها وأشكالها، وإن الناظر في هذا الأسلوب، ليجد من الأسرار والعجائب الشيء الكثير، يقف العقل أمامها في إيمان وخشوع لله رب العالمين، الذي جعل لكل شيء قدراً.

ومن الأمور التي تأخذ بلب الناظر في هذا الأسلوب الرائع: [أمر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه]، فإنه مع كثرة ورود القسم في القرآن الكريم، سواء أكان جوابه موجوداً، أم محذوفاً مدلولاً عليه من السياق، إلا أن الناظر فيهما، يجد تناسباً غاية في الدقة والجمال.

وسأحاول في هذا البحث أن أبيِّن بعضاً من أوجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في القرآن الكريم، وأثر ذلك في التفسير، وأستعين على ذلك كله بالله تعالى، وأسأله التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

۞ أهمية الموضوع:

يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في ميدان علوم القرآن الكريم عموماً، وفي باب القسم خصوصاً، وتتضح أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١-شرف العلم نابع من شرف المعلوم، والقسم وما يتصل به، من علوم القرآن الكريم الخادمة له، ومن هنا اكتسب هذا العلم أهميته وشرفه، وكفى بهذا شرفاً وفخراً.

٢-شيوع أسلوب القسم في القرآن الكريم، ولهذا كان أمراً جديراً بالدراسة والبحث، وخاصةً مع تنوع التعابير التي جاء بها القسم، واختلاف جوابه من موضع إلى آخر في القرآن الكريم.

٣- أنه يمثل جانباً من جوانب إعجاز القرآن الكريم اللغوي البلاغي الذي يجد الباحث فيه ما يبهر العقل ويأسر الفؤاد.

٤-أن البحث في أسلوب القسم في القرآن الكريم وأسراره، يزيد الإنسان إيماناً وقوةً في اعتقاده بخالقه سبحانه وتعالى.

٥-أن البحث في هذا الموضوع، يكسب الباحث فيه قوة حجة، وخاصة عند الحديث عن الله جل وعلا، و عند دعوة غير المسلمين، وذلك من خلال اكتساب أسلوب الإثبات القطعي، الذي لا يجد سامعه بُداً من تصديقه، حيث يظهر هذا الأمر من خلال أسلوب القسم في القرآن الكريم.

٦-أن دراسة هذا الموضوع تبني الطالب من الناحية العلمية، من خلال ما يطلع عليه من العلوم الشرعية واللغوية، لاسيما إذا عرفنا أن أسلوب القسم، يجمع بين علم التفسير، وعلوم القرآن، وعلوم النحو، والبلاغة، مما يكسب الطالب إطلاعاً على هذه العلوم جميعاً.

٧-أن دراسة هذا الموضوع تنمي ملكة الفهم والتحليل والاستنبات خصوصا إذا عرفنا أن أمر المناسبات أمراً اجتهادياً يعتمد على القدرة على الربط بين العبارات وبالكلمات ومعرفة العلاقة بين مما يفيد الطالب فائدة كبيرة في هذا الجانب.

۞ أسباب اختيار الموضوع:

ولقد وقع الاختيار على هذا الموضوع للكتابة في لعدة أسباب من أهمها:

١-الرغبة في نيل شرف الكتابة فيه، وذلك لأنه يتعلق بكتاب الله عز وجل وبخدمته.

٢-الرغبة الصادقة في التحصيل العلمي بأكبر قدر ممكن، في تخصص التفسير وعلوم القرآن، وكذلك في علوم اللغة، لاسيما وقد تبين أن الباحث في هذا الموضوع يحظى بشرف المرور عليها جميعاً، وعلى غيرها أيضاً.

٣-الرغبة في الاستزادة من العلم، وخاصة في جانب إعجاز القرآن الكريم، وخاصةً أن كثيراً من الباحثين اتجه إلى البحث في إعجاز القرآن الكريم وأسراره، إما بقصد الحق، ممن يريد خدمة الإسلام والمسلمين، وإما بقصد الباطل، ممن يكيد للإسلام والمسلمين.

٤- إن الحاجة داعية إلى البحث في هذا الموضوع، والوقوف مع صاحب الحق وإعانته، والتصدي لصاحب الباطل ودحره.

٥-الرغبة في ثواب الله تعالى، الذي نسأله - جل وعلا- ألا يحرمنا منه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

۞ الدراسات السابقة:

لقد عُني العلماء قديماً وحديثاً بموضوع المناسبات في القرآن الكريم، ومن

أشهر الكتب في المناسبات الكتاب الشهير (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لأبي عمر برهان الدين البقاعي، والذي يذكر فيه المناسبات بين السورة والتي قبلها، وبين الآية والتي قبلها، ويربط بين آخر السورة وبداية ما بعدها، وأحياناً يذكر مناسبة القسم للمقسم به، وأحياناً سبب الإقسام بالمقسم به، ويعد من أشهر كتب المناسبات التي بين أيدينا،

وممن ألف في المناسبات كذلك: الإمام جمال الدين عبدالرحمن السيوطي، الذي ألف كتابه (مراصد المطالع في التناسب بين المقاطع والمطالع).

ومنها كذلك كتاب: (علم المناسبات في السور والآيات) لفضيلة الدكتور: محمد عمر بازمول الذي تحدث فيه عن بداية علم المناسبات، وأول من ألف فيه، وتعريفه، وحكم تطلبه، وبين شرط جواز ذلك، وفضل هذا العلم، ثم ذكر بعد ذلك بعض المسائل والتنبيهات المهمة في جانب المناسبات، وأردفه بتحقيق كتاب السيوطي: (مراصد المطالع في التناسب بين المقاطع والمطالع).

وأما موضوع القسم في القرآن الكريم، فممن ألف فيه: الإمام شمس الدين ابن القيم – رحمه الله تعالى– في كتابه: (التبيان في أقسام القرآن) والذي يعد من أفضل ما أُلِف في هذا العلم

ومنها في العصر الحديث، كتاب: (إمعان في أقسام القرآن) لعبد الحميد الفراهي رحمه الله.

وهناك رسالة بعنوانك (القسم في القرآن تركيباً ودلالة)، للباحث: عبدا لله بن على عبدا لله الهتاري، في جامعة اليرموك بالأردن، وهي في تخصص اللغة العربية، تحدث فيها عن القسم من الناحية اللغوية، وتراكيبه، ودلالات هذه التراكيب، وطبق هذه الرسالة على آيات القسم في القرآن الكريم.

ومنها كذلك: رسالة علمية للباحث: عبدالله بن محمد الحارثي، بعنوان: (أسلوب القسم في القرآن الكريم)، وهي قريبة من سابقتها، وقد تناول فيها

أسلوب القسم من الناحية اللغوية، ومن الناحية والبلاغية، بذكر الروابط بين جميع فقرات القسم، وأثر ذلك على قوة القسم من الناحية البلاغية، وأحياناً يتعرض للعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، مرة بوضوح، ومرة يشير إليها من طرف خفي، ويستعين بأقوال أهل التفسير في ذلك.

ووجدت كتاباً صغيراً، يتحدث فيه مؤلفه عن: (تاء القسم ومعناها وأصلها ودلالاتها) وهو لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[1].

هذه الكتب القيمة جميعاً، تتحدث إما عن القسم وأبوابه المتعددة، وإما عن المناسبات وما يتصل بها، وهناك بعض الرسائل الأخرى، التي لا تخرج عن مضمون هذه المؤلفات، مع اختلاف بعضها عن بعض في التخصص، بعضها في تخصص النحو، وبعضها في البلاغة، هذا ما غلب على هذه الرسائل والمؤلفات.

وهي - مع اهتمامها بالقسم وبالمناسبات- إلا أن بينها وبين هذا البحث اختلافاً واضحاً، وهو أن هذا البحث لا يهدف إلى دراسة المناسبات من حيث هي، أو دراسة القسم من حيث هو، بل يهدف إلى دراسة المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه (جواب القسم)، والأثر الذي ترتب على وجود هذا التناسب بينهما في تفسير القرآن الكريم.

ولم أجد - وقد بذلت جهدي - مَنْ خصص كتاباً، أو بحثاً، عن العلاقة بين

---

(١) أبو عبدالرحمن محمد بن عمر بن عبدالرحمن بن عقيل عالم موسوعي سلفي ظاهري وأديب سعودي المعروف بأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري. من مواليد مدينة شقراء في إقليم الوشم بمنطقة نجد من المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٧ يتسمى بالظاهري لانتسابه للمدرسة الظاهرية تميز الشيخ أبو عبدالرحمن بضربه بأسهم في شتى العلوم الإسلامية وما يتصل بها من قريب أو بعيد. انظر: مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد ١٤ ، ص ٢٢٥

المقسم به والمقسم عليه وأثر ذلك في التفسير، وأرجو الله أن يكون في عملي هذا النفع والفائدة، والإسهام في خدمة كتاب الله العظيم.

۞ خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، كما يلي:

- **المقدمـــة**: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، وخطة البحث، وطريقة العمل فيه.

- **التمهيـــد في التعريف بمصطلحات عنوان البحث، وهي:**

١-التناسب: من حيث المراد به، أهميته، بداية الاهتمام به، أنواع المناسبات في القرآن الكريم، أهم المؤلفات فيه، ما ينبغي معرفته عند البحث في المناسبات.

٢-القسم: من حيث المراد به، صيغته، أركانه، أغراضه، أنواع القسم في القرآن الكريم.

- **الفصل الأول: التناسب بين المقسم به المفرد والمقسم عليه**

المبحث الأول: القسم بالله تعالى، وربوبيته، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.

المبحث الثاني: القسم بالقرآن الكريم، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القسم بعمر الرسول ﷺ، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، ومثال ذلك في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: القسم بآيات الله تعالى ومخلوقاته، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.

- **الفصل الثاني: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه**

المبحث الأول: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الصافات.

المبحث الثاني: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الذاريات.

المبحث الثالث: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الطور.

المبحث الرابع: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة القلم.

المبحث الخامس: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الحاقة.

المبحث السادس: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة المدثر.

المبحث السابع: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة القيامة.

المبحث الثامن: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة المرسلات.

المبحث التاسع: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة النازعات.

المبحث العاشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة التكوير.

المبحث الحادي عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الانشقاق.

المبحث الثاني عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة البروج.

المبحث الثالث عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الطارق.

المبحث الرابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الفجر.

المبحث الخامس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة البلد.

المبحث السادس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة

الشمس.

المبحث السابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الليل.

المبحث الثامن عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الضحى.

المبحث التاسع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة التين.

المبحث العشرون: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة العاديات.

- **الفصل الثالث: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول : المراد بأثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه

المبحث الثاني: فوائد معرفة أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه

المبحث الثالث: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في تفسير الآيات والسور التي تمت دراستها

- **الخاتمـــــة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته**

- **الفهـــــارس:**

١- فهرس الآيات الكريمة الواردة في البحث.

٢- فهرس الأحاديث، والآثار الواردة في البحث.

٣- فهرس الأعلام الذين ذكروا في البحث.

٤- فهرس الأشعار الواردة في البحث.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

وقد اجتهدت في السير على هذه الخطة كاملة، دون نقص أو زيادة، إلا ما دعت إليه الحاجة، وفي أضيق الحدود، والله ولي التوفيق.

۞ طريقة العمل في هذا البحث:

كان منهج البحث هو المنهج التحليلي الاستنباطي بحيث أقوم بتفسير الآية أو الآيات أو السورة المراد دراستها، ثم الغرض من القسم فيها، ثم أجتهد في بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فيها من خلال فهمي لها وأعضد كلامي بأقوال العلماء في ذلك وكان عمل على النحو التالي:

١- جمعت الآيات الكريمة محل الدراسة، فإن كانت الآيات -في أي من أنواع القسم- آيات قليلة، فتؤخذ كلها وتدرس بكاملها، وإن كانت الآيات كثيرة، فيؤخذ منها أمثلة، تدرس ويكتفي بها، وذلك حسب متطلبات البحث.

٢- قمت بتفصيل آيات القسم، وذلك بتفسيرها، وبيان أركان القسم فيها، مع ذكر الخلاف في أي منها -إن وجد- وبيان الراجح قدر الإمكان وحسب الحاجة إلى ذلك، والاستشهاد بأقوال علماء التفسير في ذلك، عند الحاجة إليه.

٣- قمت ببيان الغرض من القسم في الآيات التي فسرت، والاستشهاد على ذلك بأقوال العلماء عند الخلاف والاحتياج إلى ذلك.

٤- قمت ببيان وجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في كل آية من آيات القسم محل الدراسة، مع ذكر أقوال العلماء التي تعضد ما توصلت إليه، وإن وجد أكثر من وجه للمناسبة، فتذكر كذلك.

٥- قمت ببيان أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير، وذلك في كل موضع من الآيات الكريمة محل الدراسة، وجعلته في فصل مستقل مع مل يحتاجه من تعريف وبيان.

٦- عزوت الآيات الكريمة إلى مواضعها بذكر السورة وأرقام الآيات، وذلك في متن البحث.

٧- بحثت عن تخريج الأحاديث الشريفة الواردة في البحث، مع العزو إلى مكان وجوده بالباب والجزء والصفحة حسب ما توفر منها .

٨- عزوت النصوص المنقولة من كتب العلماء- في شتى الفنون- إلى مصادرها بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، والجزء، والصفحة، والطبعة، وذلك عند أول ورود له في البحث، فإن تكرر كانت الإشارة إليه باسمه المشهور، مع رقم الصفحة، والجزء- إن وجد- مع ذكر تفاصيل المرجع عنه عند فهرسة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

٩- ترجمت للأعلام الذين ذكروا في البحث، وذلك بما يقدم تعريفاً مختصراً بكل منهم، وحرصت على ترجمة كل من ورد اسمه، سواء أكان حياً أم ميتاً -قدر الإمكان.

١٠- عزوت الأبيات الشعرية التي وردت في البحث إلى مصادرها وقائليها، وكتبت تتماتها -ما أمكن- وحسب ورودها في البحث.

١١- اعتمدت الرسم العثماني للآيات الكريمة.

١٢- تمييز النقولات التي نقلتها في البحث، وهي التي تنقل بنصها، وذلك بوضعها بين قوسين هكذا()، وإذا كان هناك نقل في النص الذي نقلته، أميزه بوضعه بين قوسين مربعين هكذا []، وأكتب العبارة كما هي في الكتاب الذي أخذت منه، مع عزو العبارات كاملة إلى مصادرها التي نقلت منها، وإذا لم يكن النقل حرفياً أكتفي بالإشارة إلى المرجع، والصفحة، والجزء -إن وجد- في الحاشية، مع وضع عبارة [انظر:] قبلها.

١٣- ما كان لي من تعليق مباشر على شيء من البحث، أو بيان لأمر معين، وخشيت أن يلتبس بالمنقول، فإنني أكتب قبله كلمة [قلت] لتمييزه عن كلام العلماء الأجلاء.

١٤- وضعت جميع التعليقات الأخرى، والتعريف بالأعلام، والتوثيق

للنقولات، ونحوها في حواشي مرقمة أسفل الصفحة، وكان ترقيم كل صفحة على حدة.

١٥- وضعت خاتمة للبحث بينت فيها أهم ما وصلت إليه في هذا البحث من نتائج، وما أرى أنه يستحق أن يكون فيه من توصيات.

١٦- قمت بوضع علامات الترقيم المناسبة في أماكنها، وذلك حسب ما يقتضيه الكلام، واجتهدت في ذلك بقدر طاقتي.

١٧- قمت بعمل الفهارس الواردة في خطة البحث، وذلك على النحو التالي:

أولها: للآيات الكريمة الواردة في البحث، وكان ذلك بذكر الآية أوطرفها - إن كانت مكتملة في البحث وطويلة- ثم ذكر السورة، ورقم الآية، ورقم الصفحة التي وردت فيها، وكان ذلك بترتيب ورودها في البحث.

وثانيها: للأحاديث الشريفة والآثار التي وردت في البحث، وذلك بذكر طرف الحديث أو الأثر، ورقم الصفحة التي ورد فيها، وكان ذلك بترتيب ورودها في البحث.

وثالثها: للأعلام الذين ذكروا في البحث، وذلك ببيان اسم العلم، وأرقام الصفحات التي ورد ذكره فيها، وكان ذلك بترتيب ورودهم في البحث.

ورابعها: للأشعار الواردة في البحث. وأرقام الصفحات التي وردت فيها، وكان ذلك بترتيب ورودها في البحث.

وخامسها: للمصادر والمراجع التي أُخِذ منها البحث، وذلك بذكر اسم الكتاب كاملاً، ومؤلفه، وطبعته، وناشره، وتاريخ نشره،

وسادسها: لموضوعات البحث، حسب الخطة الموضوعة له، ويذكر فيه عنوان المبحث الأصلي، والصفحات التي أخذها بداية ونهاية، دون التعرض للعناوين الداخلية التفصيلية في البحث، حيث أنها تدخل ضمن المبحث الأصلي.

١٩- قمت بطباعة البحث كاملاً، وتنسيقه، وضبطه، حسب ما علمت ما أنظمة البحوث، وضوابطها، وحاولت إظهاره بالمظهر اللائق ببحث يخدم كتاب الله تعالى، واجتهدت في ذلك على حسب إمكانياتي في استخدام الحاسب الآلي والأمور المساعدة في ذلك،

اللهم اهدنا سواء السبيل، وأنت حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى اله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الباحث: محمد بن علي بن محمد آل مقبول القرني

كلية الدعوة وأصول الدين/ قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

مرحلة الماجستير

١٤٣٠-١٤٣١هـ

التمهيـــــد

التمهيـــــد

في التعريف بمصطلحات عنوان البحث

وفيـــــه :

۞ ١- **التناسب.**

۞ ٢- **القســم.**

۞ ٣- **المراد بأثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه**

تمهيـــــــد

في التعريف بمصطلحات عنوان البحث، وهي:

١-التناسب: من حيث المراد به، أهميته، بداية الاهتمام به، أنـواع المناسبات في القرآن الكريم، أهم المؤلفات فيه، ما ينبغي معرفته عند البحث عن المناسبات.

٢-القسم: مـن حيـث المراد بـه، صـيغته، أركانـه، أغراضـه، أنـواع القسـم في القرآن الكريم، الشبهات التي تثار حول القسم في القرآن الكريم.

٣-المراد بأثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليـه في التفسـير بشـكل مـوجز، وفوائد معرفته.

فنستعين بالله تعالى، ونسـتمد منـه العـون والتوفيـق، ونبـدأ في بيـان ذلـك عـلى النحو الآتي:

أولاً: (التناسب):

المراد به في اللغة والاصطلاح:

التناسب في اللغة: قال صاحب المعجم الوسيط: (ناسب فلاناً شركه في نسبه، وشاكله. يقال بينهما مناسبة، ويقال: ناسب الأمر أو الشيء فلاناً: لاءمه ووافق مزاجه. وتناسب الشيئان: تشاكلا. التناسب: التشابه، وفي الرياضة: تساوي نسبتين...)[1]، وقال ابن منظور[2]: (وتقول: ليس بينهما مناسبة أي: مشاكلة)[3]، وقال في تاج العروس: (ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل)[4].

---

(1) المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية؛ باب النون (النسبية) ص٩١٦؛ طبعة مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤م.

(2) **محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة.من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري.ولد بمصر وقيل: في طرابلس الغرب سنة: ٦٣٠هـ ثم ولي القضاء في طرابلس.وعاد إلى مصر فتوفى فيها سنة: ٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، قال ابن حجر: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة.أشهر كتبه (لسان العرب) عشرون مجلداً، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. انظر: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ؛ ج٦ ص١٥ حرف الميم؛ تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ؛الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ؛سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م**

(3) ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ لسان العرب؛ باب النون (نسب) ج٤٩ص٤٤٠٥؛ الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

(4) محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس باب الباء(نسب) ج٤ ص٢٦٥.؛ تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.

قال الفيروز أبادي[1]: ([بصيرة فى نسب] النسب: واحد الأنساب. والنسبة والنسبة بالضم والسكر مثله. ورجل نسابة: عالم بالأنساب، والهاء للمبالغة فى المدح كأنهم يريدون به داهية أو نهاية أو غاية. ونسبت الرجل أنسبه وأنسبه - بالضم والكسر - نسبة ونسبا. إذا ذكرت نسبه، والنسب ضربان: نسب بالطول كالنسب بين الآباء والأبناء. ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبين الأعمام.وانتسب إلى أبيه اغترى وتنسب: ادعى أنه نسيبك. ونسب الشاعر بالمرأة ينسب وينسب - بالكسر- والضم- نسيبا ومنسبا ومنسبة. وشعر منسوب فيه نسيب، والجمع: المناسيب)[2].

وقال الزركشي-[3]: (والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب، الذي هو القريب المتصل، كالأخوين، وابن العم، ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى: رابط بينهما كالقرابة..... ولذا قيل:

---

(١) **محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزأبادي: من أئمة اللغة والادب.ولد بكارزين من أعمال شيرازسنة: ٧٢٩هـوانتقل إلى العراق، و مصر والشام، وبلاد الروم والهند.ثم إلى زبيد سنة ٧٩٦ هـ فسكنها وولي قضاءها.وانتشر اسمه في الافاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، أشهر كتبه (القاموس المحيط) وله (بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز) وتوفى في زبيدسنة: ٨١٧هـ.** انظر: أحمد بن محمد الأدنروي ؛طبقات المفسرين؛ ج١ ص٣١٢؛ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ؛ الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

(٢) انظر: الفيروز أبادي؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ ج١ ص١٤٦٦؛ تحقيق: محمد علي النجار؛ الناشر:

(٣) بدر الدين، محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي، ولد في سنة خمس وأربعين وسبعمائة وألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون، وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم ومن مصنفاته شرح البخاري والتنقيح على البخاري وشرح التنبيه والبرهان في علوم القرآن وتخريج أحاديث الرافعي وتفسير القرآن العظيم وصل إلى سورة مريم وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين وسبعمائة انظر: طبقات المفسرين - الأدنروي - ج١ ص٣٠٢.

المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول، تلقته بالقبول، وكذا المناسبة في فواتح الآي وخواتمها)[1].

التناسب في الاصطلاح: قال البقاعي[2]: (علم تعرف منه علل الترتيب)[3].

وقال أيضاً: (فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه)[4].

وقال الزركشي: (ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى رابط بينهما: عام أو خاص، عقلي أو حتى خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات...)[5].

وقال الدكتور محمد عمر بازمول[6]: (المناسبة هي علة الترتيب.... علم

---

(١) بدر الدين الزركشي؛ البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٥؛ الناشر: المكتبة العصرية؛ طبعة ٢٠٠٦م.

(٢) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي الشيخ الإمام برهان الدين أبو الحسن الخربوي الدمشقي الشافعي. مؤلف كتاب مناسبات القرآن في مجلدات وغيره. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة توفي بدمشق سنة ٨٨٥؛ انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي؛ الأعلام للزركلي - ج١ ص٥٦؛ الناشر : دار العلم للملايين الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، وانظر: **محمد محمد محمد سالم محيسن ؛ معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ؛ج٢ ص٢٥ الترجمة رقم ٢٥؛ الناشر: دار الجيل – بيروت؛ الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م**

(٣) برهان الدين البقاعي؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ ج١ ص٥؛ دار الكتب العلمية؛ الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م

(٤) نظم الدرر، ج١، ص٦.

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٥؛ جلال الدين السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن، ص٦٩٥؛ دار الكتاب العربي-بيروت-٢٠٠٧م

(٦) محمد بن عمر بن سالم بازمول، عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى، إضافة إلى عمله مدرساً بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين.عمل رئيساً مكلفاً لقسم القراءات وعمل وكيلاً مكلفاً للشؤون الأكاديمية وعمل مديراً لمركز إحياء التراث، شارك في ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو. و ندوة فهم السنة ومؤتمر شهداء الواجب. عضو اللجنة العلمية السعودية للتفسير

المناسبات هو: معرفة مجموع الأصول الكلية، والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض)[1].

موضوع علم المناسبات:

قال البقاعي: (وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب)[2].

ثمرته:

قال البقاعي: (وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب)[3].

وقال أيضاً: (وبهذا العلم، يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها، بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها، بالنظر إلى الترتيب)[4].

وقال السيوطي[5]: (وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها أخذ بأعناق بعض،

وعلومه، وشارك في العديد من الدورات التعليمية للمجتمع، شارك في دورة تعليم الإنجليزية شارك في الدورات الأولى لتعليم الانترنت بالجامعة. انظر : صفحة الدكتور في موقع جامعة أم القرى الإليكتروني

(١) محمد عمر بازمول؛ علم المناسبات في السور والآيات، ص٢٧؛ الناشر: المكتبة المكية؛ الطبعة الأولى؛٢٠٠٢م

(٢) نظم الدرر، ج١، ص٥.

(٣) نظم الدرر، ج١، ص٥.

(٤) نظم الدرر، ج١، ص١١.

(٥) جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري، ولد في الأول من رجب سنة ٨٤٩هـ، له مؤلفات في كثير من الفنون وفي شتى

فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التآلف، حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء)[1].

أنواع المناسبات في القرآن الكريم:

أنواع المناسبات في القرآن الكريم -كما بينها الشيخ الدكتور محمد بازمول- على النحو التالي:

القسم الأول: المناسبات الداخلية، وهي:

الأول: مناسبات ترتيب آيات السورة الواحدة، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها، وتلاحمها، وتناسقها.

الثاني: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.

الثالث: مناسبة ختام السورة لمطلعها.

الرابع: مناسبة فواصل الآية للآية التي ختمت بها، ومنه: مناسبة أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها.

القسم الثاني: المناسبات الخارجية، وهي:

الأول: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها.

الثاني: مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها.

الثالث: مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها.

وهناك نوع يدخل في القسمين، فلا ينظر فيه سورة بمفردها مع سورة أخرى،

العلوم الشرعية والعربية، وتوفي في شهر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ. انظر: ترجمته لنفسه في مقدمة كتابه : طبقات المفسرين ص٣-٨

(١) الإتقان في علوم القرآن، ص٦٩٥.

ولا إلى آية بمفردها مع آية أخرى، وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور، أو لسورة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر[1].

أهم المؤلفات فيه:

علم المناسبات من العلوم التي لم يكن الاعتناء بها - كعلم مستقل - موجوداً بشكل واضح، وإنما كان الاهتمام بها من عالم إلى أخر، ومن كتاب إلى آخر يأتي عرضاً، ولم يكن مقصوداً لذاته.

قال الزركشي- رحمه الله - في البرهان[2]: (وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع، لدقته، وممن أكثر منه: الإمام فخر الدين الرازي)[3].

وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن، مودعة في الترتيبات والروابط، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة[4].

---

(1) انظر : علم المناسبات في السور والآيات، ص٢٨-٣١.

(2) البرهان في علوم القرآن ج١، ص٣٥

(3) محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبدالله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتي مصنف في الفقه والأصول كان إمام الدنيا في عصره، ولد بالري سنة ٥٤٣هـ، وتوفي بهرات سنه ٦٠٦هـ؛

انظر: سماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء؛ البداية والنهاية - ج١٣، ص٥٥؛ الناشر : مكتبة المعارف - بيروت

(4) الفخر الرازي: محمد بن عمر الرازي؛ التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب)، ج٤ ص١١٠؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م، وقد نقله عنه الزركشي في (البرهان في علوم القرآن ج١، ص٣٥)

[قال القاضي أبو بكر بن العربي[1]، في كتابه[سراج المريدين]: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسعة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه)[2].

وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني[3]: (أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره، هو: الشيخ الإمام، أبو بكر النيسابوري[4]، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد، لعدم علمهم بالمناسبة. انتهى)[5].

ثم بدأ هذا العلم بعد ذلك يأخذ مكانه، حيث ظهر في كتب التفسير بشكل

---

(١) هو الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري، قاضي قضاة كورة إشبيلية، وهو إمام في الأصول والفروع وغير ذلك، ومولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة، وتوفي بمغيلة بمقربة من مدينة فاس، ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء؛ ج٥ ص٤٢.

(٢) نقله الزركشي في البرهان في علوم القرآن ج١، ص٣٥

(٣) علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهراباني، أبو الحسن نزيل بغداد، الفقيه الحنبلي النحوي الكاتب الزاهد. كذا ذكره الحافظ الدمياطي في معجمه؛ وأسند عنه حديثاً، ولم يذكر مولده ولا وفاته. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - ج٢، ص١٠٨.

(٤) أبوبكر عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري، الفقيه الشافعي الحافظ رحل في طلب العلم إلى العراق ومصر والشام، وسكن بغداد وصار إماماً للشافعية بالعراق توفي سنة ٣٢٤هـ؛ انظر: ابن العماد عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛، ج٢، ص٣٠٢؛ الناشر : : دار الكتب العلمية

(٥) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٦، وهذا الكلام بنصه في الإتقان، ص٦٩٤.

واضح.

ولعل البداية الفعلية في هذا كانت مع الإمام: فخر الدين الرازي، في كتابه "مفاتيح الغيب".

ثم ظهر بعد ذلك، كتاب أبي الحسن الحرالي[1]، وهو المسمى: "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل"، والذي استفاد منه البقاعي في تفسيره[2].

ومن الكتب التي اعتنت بالمناسبات: تفسير ابن النقيب الحنفي[3]، المعروف بـ "التحريروالتحبير، لاقوا لائمة التفسير في معاني كلام السميع البصير "وهو أيضاً مما ذكره البقاعي في تفسيره، وأنه يقع في ستين مجلداً، اطلع البقاعي على بعضه ووجده يعتني بالمناسبات"[4].

ومن الكتب كذلك، كتاب" البرهان في ترتيب سور القرآن"، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي[5]، وقد نقل عنه البقاعي في تفسيره بعض أقواله في

---

(١) علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم التجيبي الإمام أبو الحسن الحرالي الأندلسي، وحرالة من أعمال مرسية، ولد بمراكش ٦٠ب، وأخذ العربية عن ابن خروف وحج ولقي العلماء.وجال في البلاد وشارك في عدة فنون ومال إلى النظريات وعلم الكلام وأقام بحماة، وكانت وفاته بها سنة ٦٣٧هـ؛ انظر: أحمد بن محمد الأدنروي؛ طبقات المفسرين؛ ج١، ص٢٧٣؛ تحقيق : سليمان بن صالح الخزي؛ الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة؛ الطبعة الأولى، ١٩٩٧

(٢) نظم الدرر، ج١، ص٧.

(٣) **محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي، أبو عبدالله، جمال الدين ابن النقيب: مفسر، من فقهاء الحنفية.أصله من بلخ، ومولده في القدس.انتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها.وعاد إلى القدس، فتوفي بهاسنة ٦٩٨ه.له (تفسير) كبير حافل، سماه (التحرير والتحبير لاقوال أئمة التفسير) في سبعين مجلدة ؛**

انظر:بدر الدين العيني؛ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ؛ج١ ص٣٤٥؛ مصدر الكتاب :موقع الوراق (الشاملة)

(٤) نظم الدرر، ج١، ص٧.

(٥) أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، وهو محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين

المناسبات، وقد اهتم فيه بمناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط.

قال الزركشي -رحمه الله -: (وقد أفرده بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير)[1].

وأشهر كتب التفسير في هذا الباب، كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي، والذي لم يكد يترك شيئاً في القرآن، إلا وبيّن مناسبته- إلا ما ندر- وهو فريد في بابه.

وقد وضع الزركشي - رحمه الله - علم المناسبات، ثاني أنواع علوم القرآن، وذلك في كتابه: "البرهان في علوم القرآن"، حيث عنون له بقوله: (الباب الثاني: معرفة المناسبات بين الآيات).

وقد ذكره السيوطي - رحمه الله - في كتابه: "الإتقان في علوم القرآن"، حيث جعل الباب الثاني والستين مخصصاً للمناسبات.

ومن العلماء المعاصرين، الذين اهتموا بالمناسبات في كتبهم، الإمام محمد ابن عاشور[2]، وذلك في تفسيره: "التحرير والتنوير"، وقد ألف في المناسبات عند ابن

إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، ولد في جيان سنة ٦٢٧ هـ وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته وتوفي فيها، من كتبه (البرهان في ترتيب سور القرآن - قال ابن حجر: كانت له مع ملوك عصره وقائع، وكانت بينه وبين أميري مالقة وغرناطة صداقة، وكان معظما عند الخاصة والعامة. توفي سنة ٧٠٨ هـ. انظر:الأعلام ج١ ص٨٦

(١) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٥.

(٢) العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر ابن عاشور، ولد في تونس سنة (١٢٩٦)هـ، وهو من أسرة علمية عريقة، برز في عدد من العلوم ونبغ فيها، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقنا للُّغة الفرنسية، وعضواَ مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، ألف عشرات الكتب

عاشور، عدد من الرسائل الجامعية في جامعة أم القرى.

ومنهم كذلك، الشيخ: محمد رشيد رضا[1]، في كتابه: "تفسير المنار" وهي ليست ظاهرة لديه ظهورا واضحا، ولكنه يذكرها إن تطلب الموقف ذكرها، ومنهم كذلك الشيخ العلامة: عبدالرحمن بن ناصر السعدي[2]، في كتابه: "تيسير الكريم

في التفسير، والحديث، والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم، منها تفسيره المسمَّى: " التحرير والتنوير"، و"مقاصد الشريعة "، و" كشف المغطا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ "، و" أصول الإنشاء والخطابة "، و" النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح "، وغيرها من الكتب النافعة، توفي في تونس سنة (١٣٩٤) هـ عن عمر يناهز الـ (٩٨) عاماً. انظر: الأعلام ؛ج٦ ص١٧٤

(١) العلامة السلفي محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين منلا، خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، ولد يوم الأربعاء في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ألف ومائتين واثنين وثمانين للهجرة، في قرية قلمون الواقعة إلى الجنوب من طرابلس الشام، نشأ في بيت علم وتقوى، وترعرع في أسرة متديّنة كان للشيخ رشيد روابط قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير سعود بن عبدالعزيز وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه، وكان قد سهر أكثر الليل، فلم يتحمل جسده الواهن مشقة الطريق، ورفض المبيت في السويس للراحة، وأصر على الرجوع، وكان طول الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقيه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم يلبث أن خرجت روحه الطاهرة في يوم الخميس الموافق (٢٣ من جمادى الأولى ١٣٥٤هـ). انظر: الأعلام للزركلي ؛ ج٣ ص٢٦.

(٢) الشيخ أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي، من قبيلة تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وهو أول من قرأ عليه وكان المؤلف يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدث عن روعه ومحبته للفقراء مع حاجته ومواساتهم، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله، ومن مشايخ المؤلف الشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرهما وبعد عمر مبارك دام قرابة ٦٩ عاماً في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة. **انظر: د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف؛ جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد ص٢٠**

الرحمن، في تفسير كلام المنان"، ومنهم كذلك الشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين[1]- رحمه الله- في كتابه: "التفسير الثمين"، وفي مجموعة من كتبه الأخرى، التي تأتي فيها المناسبات عرضا.

هذه أهم الكتب التي تعنى بالمناسبات أكثر من غيرها، وبشكل واضح، وان كان هناك مؤلفات ورسائل في المناسبات، لكن هذه الرسائل تعتمد اعتماداً كلياً على تلك الكتب- التي سبق ذكرها- اعتماداً كلياً، أو شبه كلي، ولذلك لم أذكرها، اكتفاءً بأصولها، ولئلا يطول الحديث ويتكرر، والله من وراء القصد.

ما ينبغي معرفته عند البحث عن المناسبات:

ذكر السيوطي -رحمه الله تعالى- قاعدة مهمة، تفيد الباحث في علم المناسبات كثيراً، حيث قال: (قال بعض المتأخرين: [الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات، في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات، في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر -عند انجرار الكلام في المقدمات- إلى ما يستتبعه من

---

(١) أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن أحمد، من آل مقبل، من آل ريِّس الوهيبي التميمي، وجده الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به، وهو من فخذ وهبه من تميم نزح أجداده من الوشم إلى عنيزة كان مولده في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، في مدينة عنيزة تعلم الكتابة وشيئاً من الأدب والحساب والتحق بإحدى المدارس، وحفظ القرآن عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه. ثم درس على فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء وسرعة التحصيل، فكان به حفياً ودفعه إلى التدريس وهو لا يزال طالباً في حلقته. رزئت الأمة الإسلامية جميعها قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ بإعلان وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بمدينة جدة وصُلي على الشيخ في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ. **انظر: علي بن نايف الشحود؛ مشاهير أعلام المسلمين ص١٥٠**

استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي. البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته، تبيّن لك وجه النظم مفصلاً، بين كل آية وآية، وفي كل سورة وسورة] انتهى)[1].

فوائد علم المناسبات:

لعلم المناسبات فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

أولا: إدراك العلاقة الصحيحة بين آيات القرآن الكريم ومقاطعه مما يبين المعنى الصحيح للآية أو المقطع كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء:٦٠]..

فهم يزعمون الإيمان وليس الأمر كما يزعمون كما جاء في قوله تعالي في نهاية المقطع: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

ثانيا: ترجيح بعض المعاني على بعض ومعرفة اللائق بالنظم منها ومن أمثلة ذلك ما سيأتي بيانه في سورتي التكوير والعصر -إن شاء الله تعالى-.

ثالثا: معرفة مرجع الضمير عن الآختلاف فيه.

رابعا: استنباط معان إضافية غير الظاهرة من الآية الكريمة متطابقة مع المعاني الظاهرة.

خامسا: يرشد إلى كثير من الحكم والدقائق المعنوية واللطائف التربوية.

سادسا: معرفة شيء من إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ج٥، ص١٨٤٦.

سابعا: وقوف المتدبر القوي على المناسبات الجزئية بين آحاد الآيات.

ثامنا: معرفة المشار إليه من الأمور المتقدمة عند الاختلاف فيه.

تاسعا: معرفة أسرار التكرار في القرآن الكريم كتكرار القسم في سورة الذاريات.

عاشرا: يستفاد من مناسبات القسم بالألوهية التركيز على جوانب الألوهية والتوحيد.

حادي عشر: يستفاد من مناسبات القسم بالربوبية معنى العناية والرعاية من الله تعالى للنبي ﷺ.

ثاني عشر: يستفاد كذلك من المناسبات الرد على المطاعن التي كان المشركون يطعنون بها في النبي ﷺ ودعوته وفي القرآن الكريم حيث نجد تزكية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وتزكيته لكتابه الكريم في أكثر من موضع ومن أمثلتها مناسبات القسم في كل من سورة الزخرف و سورة الدخان وسورة ق وسورة الضحى وغيرها.

ثالث عشر: ازدياد العلم في التفسير والتبحر فيه.

ثانياً: القسم:

المراد به في اللغة والاصطلاح:

القسم في اللغة: القسم بالتحريك اليمين، وكذلك المقسم، وهو المصدر مثل المخرج، والجمع أقسام، وقد أقسم الله، واستقسمت به، وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا، وفي التنزيل: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النمل:٤٩]، وأقسمت: حلفت، وأصله من القسامة.[١]

وجاء في تاج العروس: (والقسم محركة والمقسم كمكرم، وهو المصدر مثل المخرج: اليمين بالله تعالى. وقد أقسم إقساماً هذا هو المصدر الحقيقي، وأما القسم فإنه اسم أقيم مقام المصدر، وموضعه الذي حلف فيه مقسم كمكرم والضمير راجع إلى الإقسام)[٢].

وقال الراغب[٣]: (وأقسم حلف أصله من القسامة وهي إيمان تقسم على أولياء المقتول، ثم صار اسماً لكل حلف)[٤].

القسم في الاصطلاح: (هو ربط النفس - بالامتناع عن شيء أو الإقدام

---

(١) لسان العرب، ج٤٠، ص٣٦٣١.

(٢) تاج العروس، ج٣٣، ص٢٦٩.

(٣) غلب عليه لقب الراغب، وهو الحسين أو حسين بن مفضل وقيل الحسين بن محمد بن المفضل، له العديد من المصنفات منها: مفردات ألفاظ القرآن، ومحاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء وغيرها، واختلف في تاريخ وفاته وأرجح الأقوال أنه توفي بعد العشرين والأربع مائة، انظر: ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه مفردات ألفاظ القرآن؛ تحقيق : نجيب الماجدي؛ طبعة المكتبة العصرية ببيروت عام ٢٠٠٦م، الطبعة الأولى.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٢٠.

عليه- بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً)[1].

صيغته:

الصيغة الأصلية للقسم: أن يؤتى بالفعل أقسم أو احلف متعدياً بالباء إلى المقسم به، ثم يأتي المقسم عليه وهو المسمى بجواب القسم[2].

فأجزاء صيغة القسم ثلاثة:

١-الفعل الذي يتعدى بالباء.

٢-المقسم به.

٣-المقسم عليه.

ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر، فصار فعل القسم يحذف ويكتفي بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة، وبالتاء في لفظ الجلالة[3].

أركانه:

أركان القسم أربعة هي: المقسم، والمقسم به، والمقسم عليه، وأداة القسم، وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل منها:

المقسم: هو إما الله سبحانه وتعالى كما ستأتي أمثلته إن شاء الله تعالى، وأما العباد فيقسمون بالله تعالى على ما يستلزم القسم من الأمور المقسم به: قال ابن القيم رحمه الله: (وهو سبحانه يقسم بأمور على أمور، وإنما يقسم بنفسه المقدسة،

---

(١) انظر: مصطفى البغا ومحيي الدين مستو؛ الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٧، الناشر: دار الكلم الطيب -دمشق-الطبعة الأولى ١٩٩٦م،

(٢) انظر: الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٧.، د.عدنان محمد زرزور؛ علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ص٦٢١؛ دار الإعلام -الأردن- الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

(٣) انظر: شمس الدين ابن القيم؛ التبيان في أقسام القرآن، ص١٩؛الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٤م، والواضح في علوم القرآن، ص٢٠٧، علوم القرآن وإعجازه، ص٦٢١.

الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وأقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته)[1].

وقال الدكتور عبدالله شحاته: (أما المقسم به فهو أمر جليل دائماً)[2].

وقد أقسم الله بنفسه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم وأمر نبيه أن يقسم به في ثلاثة مواضع وأقسم فيما بقي من مواضع القسم في القرآن بمخلوقاته[3].

المقسم عليه: قال ابن القيم: (فهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها تارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة على أحوال الإنسان)[4].

أداة القسم: وهي ثلاث الباء والواو والتاء فقيل أن الباء هي الأصل والباقي عوض عنها وقيل الواو والراجح أنه الباء هي الأصل وتعوض عنها الواو في الأسماء الظاهرة والتاء مع لفظ الجلالة فقط وفي المواطن التي يكون فيها معنى التعجب.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (ولما كان القسم يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفي بالباء، ثم عوض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة وبالتاء في لفظ الجلالة)[5].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص١٧.

(٢) د. عبدالله شحاتة؛ علوم التفسير، ص١٣٣؛ طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠١م

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٨-٢٩، الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ص١٩.

(٥) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ص١٩، الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٧، علوم القرآن وإعجازه، ص٦٢١.

وقال أبوعبدالرحمن بن عقيل: أما أن التاء للقسم فليس محل خلاف، وأما أنها للتعجب فالناس في ذلك ثلاثة مذاهب:

١-إنها لا تدل على التعجب.

٢-إنها تلازم التعجب.

٣-إنها تدل على التعجب أحياناً[١].

أغراضه:

الأصل في القسم انه لتوكيد المقسم عليه وتحقيقه، كما ذكر ذلك ابن القيم[٢]، والاستشهاد بالمقسم به على المقسم عليه، كما يرى الفراهي[٣]، وأهم الأغراض التي يأتي لها القسم ما يلي:

١-تحقيق القسم وتوكيده- كما تقدم - ليكون أوقع في التلقي وأرجى للقبول، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

٢-بيان شرف المقسم به وعلو قدره حتى يعرف الناس مكانته عند الله ورفعة منزلته لديه كالقسم بحياة النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢].

٣-توجيه النظر إلى الآيات الكونية والمشاهد الطبيعية للتوصل منها إلى

---

(١) انظر: ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري؛ تاء القسم ودلالاتها، ص٢٢؛ طبعة مطابع الأهرام بكورنيش النيل؛عام ١٩٩١م، د.حسين نصار؛ القسم في القرآن الكريم؛ ص٨٧؛ الناشر: مكتبة الثقافة الدينية؛ الطبعة الأولى ٢٠٠١م

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص١٨.

(٣) عبد الحميد الفراهي؛ إمعان في أقسام القرآن؛ ص٥٣-٥٥؛ الناشر : دار القلم بدمشق؛ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

خالقها والتأمل فيها تأملاً يبين مبلغ نعمتها، وإنها غير جديرة بالعبادة، وإنما الجدير بالعبادة هو خالقها كما في القسم بالآيات والمخلوقات كالسماء والأرض والنجم الليل والنهار والشمس والقمر وغيرها[1]،

كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١-٧].

٤-إظهار التحسر والتألم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤].

٥- الاعتذار وطلب العفو، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾ [الأنعام:٣٠].

وكما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ [يوسف:٩١].

٦-إظهار الشفقة والرحمة كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥].

٧-إظهار اللوم والعتاب والتضجر من أمر ما كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥].

والأربعة الأخيرة استنبطتها من خلال دراستي للآيات التي تعرضت لها في بحثي هذا، وهذا اجتهاد مني بناءً على ما فهمته من النص القرآني الكريم ومن كلام العلماء فيه والله تعالى أعلم.

أنواع القسم في القرآن الكريم:

ينقسم القسم في القرآن الكريم باعتبار المقسم به إلى قسمين هما:

---

(١) انظر: الواضح في علوم القرآن، ص٢٠٧-٢٠٨.

أولهما: القسم المفرد، وهو ما كان المقسم به واحداً سواء أكان المقسم عليه واحداً أم متعدداً، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات:٧]، وما كان على شاكلته من أقسام القرآن الكريم.

وثانيهما: القسم المتعدد، وهو ما كان المقسم به متعدداً سواء أكان المقسم عليه مفرداً أم متعدداً، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج:١-٤].

أما أنواع القسم في القرآن الكريم بالنظر إلى أركانه، فهي نوعان:

الأول: القسم المظهر: وهو ما ظهرت فيه جميع أركان القسم أو أغلبها.

الثاني: القسم المضمر: وهو ما حذف منه أكثر أركان القسم، ودل عليه ما صاحبه من أدوات أو سياق أو معنى قال الزركشي: (وهو ينقسم باعتبار آخر إلى مظهر ومضمر) فالمظهر كقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

والمضمر على قسمين: قسم دلت عليه لام القسم، كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٦].

وقسم دل عليه المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]. تقديره والله[1].

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٠، وقد نقله السيوطي في الإتقان بنصه، ص٧٠٤.

أبرز الشبهات التي تثار حول القسم في القرآن الكريم والرد عليها :

يثير بعض المغرضين عددا من الشبهات حول القسم في القرآن الكريم ومرادهم من ذلك الطعن في القرآن الكريم وتشكيك المسلمين في دستورهم الخالد وإحداث خلل في عقيدة المسلمين في كتاب ربهم وأصول دينهم و هنا سأبين أبرز الشبهات التي يثيرها أولئك المغرضون حول القسم في القرآن الكريم والرد عليهم فأقول مستعينا بالله تعالى : أبرز هذه الشبهات ما يلي:

الشبهة الأولى : قالوا إن الحلف لا يليق بالله تعالى وعظمته ، إذ الحالف يحلف ليُصدَّق والله عز وجل غني عن ذلك لا سيما وقد نهى الله تعالى عن الحلف بقوله تعالى :(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) وبقوله تعالى: (واحفظوا أيمانكم) وذم كثير الحلف بقوله تعالى: (:ولا تطع كل حلاف مهين) القلم

وللرد على هذه الشبهة نقول:

إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب المبينة الواضحة ، ولقد كام من عادة العرب في التعبير عن أقصى درجات الصدق استخدام القسم والقرآن الكريم جاء على هذا النحو من التعبير عن حقيقة القضايا القرآنية بما يناسب تأكيدها بأقوى الصور وأوضح الأساليب ومن ذلك أسلوب القسم ،فوجوده في القرآن يمثل إحدى نقاط القوة ولا يمثل نقطة ضعف أبدا (١).

الشبهة الثانية: قالوا : إن القسم في القرآن الكريم جاء على أمور مهمة كالمعاد والتوحيد والرسالة ؛ والمخاطب بالقسم أحد اثنين : إما مؤمن بها وإما منكر لها، ولا فائدة هنا للقسم لا للمنكر لها ولا للمؤمن بها ؛ لأن منكر هذه الأمور يطلب الدليل والبرهان والقسم ليس دليلا ، والمؤمن لا يحتاج إلى شيء من ذلك لأنه صدق بها أولا(٢)

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب ج٩ ص٣١٦ ، إمعان في أقسام القرآن ص ٢٩

(٢) انظر: إمعان في أقسام القرآن ص ٢٧

وللرد على هذه الشبهة نقول:

قال الرازي إجابة عن ذلك:(والجواب من وجوه:

الوجه الأول :أنه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيدا لما تقدم لا سيما والقرآن إنما أنزل بلغة العرب وإثبات المطالب بالحلف واليمين مألوف عند العرب

والوجه الثاني: في الجوابأنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله [إن إلهكم لواحد] ذكر عقيبه ما هو كالدليل اليقيني في كون الإله واحدا وهو قوله تعالى:[رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق] وذلك لأنه تعالى بين في قوله:[لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا] أن انتظام أحوال السموات والأرض يدل على أن الإله واحد فههنا لما قال: [إن إلهكم لواحد] أردفه بقوله:[رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق] كأنه قيل قد بينا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون إله واحدا فتأملوا في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالتوحيد)([1])

وإن اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها تتميز بدقة التعبير والوصول إلى الهدف المراد إثباته بالطرق المختلفة التي تثبت المطلوب إثباتا قاطعا وتراعي في ذلك أحوال المخاطب وما يناسبه من العبارات والأساليب.

فقد يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم فيلقى إليه الكلام غفلا من التأكيد ويسمى هذا الضرب خبرا ابتدائيا

وقد يكون المخاطب مترددا في ثبوت الأمر وعدمه فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد يزيل تردده ويسمى هذا الضرب خبرا طلبيا

وقد يكون المخاطب منكرا للحكم فيجب أن يؤكد الكلام له بقدر إنكاره قوة وضعفا ويسمى هذا الضرب إنكارا

([1]) مفاتيح الغيب ج٩ ص٣١٦

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه()

الشبهة الثالثة: أن القسم لا يكون إلا بالله تعالى وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى في الكتاب والسنة فكيف يقسم الله تعالى بالمخلوق لا سيما بأشياء مثل التين والزيتون؟

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أولا:أن في هذا السؤال إساءة أدب مع الله تعالى اذ الله تبارك وتعالى :[لايسأل عما يفعل وهم يسألون] فليس لأحد أن يتجرأ على سؤال الله تعالى عن أمر فعله أو قاله ، ثم إن المسلم ليس له إلا التسليم لما جاء في القرآن الكريم جملة وتفصيلا وذلك لأن العقول البشرية قاصرة وقد يؤدي الاجتراء على مثل هذه الأسئلة إلى ما هو أعظم من ذلك

ثانيا: أن النهي عن القسم بغير الله تعالى الذي ورد في نصوص الكتاب والسنة انما كان المقصود به الناس فلا يحل لأحد أن يحلف إلا بربه جل وعلا أما الله تعالى فقد تقرر عند العلماء أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى علمها من علمها وجهلها من جهلها

ثالثا: أن من الحكم التي سيقت في القسم ببعض المخلوقات شرف ذلك المخلوق كما في القسم بالملائكة والتنويه بمكانة المقسم به عندالله تعالى كما في القسم بحياة النبي صلى الله عليه وسلم أو لما فيها من النفع كما في التين والزيتون أو لأنها أدان للذب عن القرآن كما في النجوم أو لأنها من وسائل الدفاع عن الدين ودحر أعدائه كما في القسم بالعاديات ونحو ذلك

رابعا: أن في القسم ببعض الأشياء دلالة على خالقها جل وعلا ولفت للنظر إلى التفكر فيها لأنها من المخلوقات العظام التي تدل على الخالق جل وعلا وعلى وحدانيته

وتدبيره للكون وتسييره وحفظ نظامه وعلى دقه الصنع وإحكام الخلق مما يحقق التوحيد ويرد النفوس إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى والله أعلم

ثالثا: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير

المراد بأثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

المراد بالأثر في اللغة والاصطلاح:

الأثر لغة: قال ابن منظور: **(الأثر بقية الشيء والجمع آثار وأثور وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده وأثرته وتأثرته تتبعت أثره عن... ويقال آثر كذا وكذا بكذا وكذا أي أتبعه إياه ومنه قول الشاعر:**

فآثر سيل الواديين بديمة ترشح وسميا من النبت خروعا[1]

أي أتبع مطرا تقدم بديمة بعده والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء والتأثير إبقاء الأثر في الشيء وأثر في الشيء ترك فيه أثرا....

والإثر والأثر خلاصة السمن إذا سلئ وهو الخلاص والخلاص وقيل هو اللبن إذا فارقه السمن، وكان يقال: الإثر بكسرة الهمزة لخلاصة السمن[2]

وجاء في تاج العروس: **(الأثر، محركة: بقية الشيء. جمعه آثار وأثور، الأخير بالضم. وقال بعضهم: الأثر ما بقي من رسم الشيء)**[3]

المراد بالأثر: الخلاصة التي تظهر للمتأمل عند فراغه من تأمله.

أو هو: الفائدة التي تستفاد من الشيء بعد حصول المعرفة به.

---

(١) قائله: متمم بن نويرة التميمي؛ وهو من قصيدته التي رثى بها أخيه مالك بن نويرة:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول ابتعاد لم نبت ليلة معا

انظر:أبا الحسن البصري ؛ الحماسة البصرية؛ ج١ ص٨٧؛ مصدر الكتاب موقع الوراق (من كتب الموسوعة الشاملة)، ابن قتيبة الدينوري ؛الشعر والشعراء ص٦٧، (من كتب الموسوعة الشاملة)

(٢) انظر: لسان العرب ج٤ص ٥.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ج١٠ص ١٢.

المراد بأثر المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: هي الفائدة التي تحصل عند التامل في الآية أو الآيات، والتوصل إلى المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه فيها. وهذه التعاريف هي استنباط للمعنى المراد من المعنى اللغوي المتقدم ذكره آنفا.

أهمية معرفة المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه :

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه نوع من أنواع المناسبة بين مقاطع الآية الواحدة وله فائدة كبيرة في معرفة المعنى المراد من الآية الكريمة والتوصل إلى الفائدة الكبرى وهي العمل بهذه الآية

وقد بين كثير من العلماء -رحمهم الله- شيئا من أهمية معرفة المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في معرفة معاني القرآن الكريم، جاء ذلك في ثنايا كلامهم عن بعض آيات القرآن الكريم التي كان لمعرفة المناسبة أثر في إيضاحها ، ومن ذلك ما يلي:

اولا: ما ذكره الطبري-رحمه الله- في تفسيره بعد ذكر الاختلاف في جواب القسم في قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص:١-٢] وذكر الأقوال في ذلك قال: (والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: ﴿بَلِ﴾ لما دلت على التكذيب، وحلت محل الجواب، استغني بها عن الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام ﴿صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرين، بل هم في عزة وشقاق)[1].

ثانيا: أشار الرازي إلى الارتباط بين المقسم به والمقسم عليه كثيرا، وبين أن له أهمية في بيان ما تضمنته الآيات الكريمة من دلالات، ومن ذلك قوله في تفسير سورة الذاريات: (المسألة الرابعة: في السورة التي أقسم لإثبات الوحدانية، أقسم في أول الأمر بالساكنات حيث قال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات:١] وفي السور الأربع الباقية أقسم بالمتحركات فقال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ [الذاريات:١]﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [النازعات:١] ويؤيده

---

(١) جامع البيان ج٢٠ ص١٠-١١

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النازعات:٣-٤] وقال: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ [العاديات:١] وذلك لأن الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أليق، أو أن نقول: في جميع السور الأربع أقسم بالرياح على ما بين وهي تجمع وتفرق، فالقادر على تأليف السحاب بالرياح الذارية المرسلة، قادر على تأليف الأجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي يختارها بمشيئته تعالى)[1]

ثالثا: قال ابن القيم رحمه الله في بيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في سورة القيامة، وسبب إقسامة بيوم القيامة والنفس اللوامة على اثبات المعاد، قال: (وجمع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة، ومحل الكسب، وهو النفس اللوامة، ونبه سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها إلى وفاقتها وضرورتها إلى من يعرفها بالخير والشر، ويدلها عليه ويرشدها إليه، ويلهمها إياه فيجعلها مريدة للخير، مرشدة له، كارهة للشر مجانبة له، لتخلص من اللوم ومن شر ما تلوم عليه.

ولأنها متلومة مترددة، لاتثبت على حال واحدة، فهي محتاجة إلى من يعرفها ما هو أنفع لها في معاشها ومعادها فتؤثره، وتلوم نفسها عليه إذا فاتها فتتوب منه إن كانت سعيدة، ولتقوم عليها حجة عدله، فيكون لومها في القيامة لنفسها عليه لوما بحق، قد أعذر الله خالقها وفاطرها إليها فيه، ففي صفة اللوم تنبيه على ضرورتها إلى التصديق بالرسالة والقرآن، وأنها لاغنى لها عن ذلك، ولا صلاح ولا فلاح بدونه ألبتة، ولما كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر)[2].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ج٢٢ ص١٦٠

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن ص٣٠

الفصل الأول

الفصل الأول

التناسب بين المقسم به المفرد والمقسم عليه

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: القسم بالله تعالى، وربوبيته، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: القسم بالقرآن الكريم، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.
- المبحث الثالث: القسم بعمر الرسول ﷺ، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، ومثال ذلك في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع: القسم بآيات الله تعالى ومخلوقاته، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.

المبحث الأول: القسم بالله تعالى وربوبيته والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم

المطلب الأول: القسم بلفظ الجلالة (الله)، وقد أقسم الله تعالى بلفظ الجلالة (الله) في موضعين:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].

تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: الضمير عائد على المشركين والجعل: هو التصيير والوضع تقول جعلت لك في مالي كذا وجيء هنا بصيغة المضارع للدلالة على تجدد ذلك منهم واستمراره على سبيل التكرير[1].

﴿لِمَا﴾: ما موصولة وهي للأصنام وعبر عنهم بـ {ما} التي هي لغير العاقل، لأن تلك المعبودات التي جعلوا لها من رزق الله نصيبا جماد لا تعقل شيئا[2].

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي لآلهتهم وأصنامهم، والمعنى أنهم لا يعلمون لها ضراً ولا نفعاً، أو أنهم لا يعلمون بمعنى أنهم جاهلون فهم يسمونها آلهة ويعتقدون أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك فهذه الآلهة غير موصوفة بالعلم فليس لها حس

---

(١) انظر: أبا حيان الأندلسي؛ البحر المحيط؛، ج٥، ص٤٨٧، الطبعة الثانية٢٠٠٧م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ لبرهان الدين أبو الحسن البقاعي، ج٤، ص٢٧٨، طبعة٢٠٠٦م، محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨١؛ الناشر دار سحنون للنشر والتوزيع – الجمهورية التونسية، نظم الدرر، ج٤، ص.٢٧٨؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ج، ص، طبعة عام ١٩٩٩م.

(٢) انظر: البحر المحيط ج٥، ص٤٨٧، أضواء البيان، ج٢ ص٣٨٦

ولا معرفة فلا تنفع ولا تضر ولا تعلم ما يفعل عبادها من عبادة لها[1].

﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أي حظا وجزء، وهو ما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام ومقصودهم التقرب بهذا النصيب إليها ووصف النصب بأنه ﴿مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ لتشنيع ظلمهم إذ تركوا المنعم فلم يتقربوا إليه بما يرضيه في أموالهم مما أمرهم بالإنفاق فيه كإعطاء المحتاج، وأنفقوا ذلك في التقرب إلى أشياء موهومة لم ترزقهم شيئا.[2]

---

(1) انظر: الطبري أبو جعفر : محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٤، ص٢٥٣، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م،

الزمخشري: محمود بن عمر؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢، ص٤٤٩؛ الناشر: دار الكتاب العربي ٢٠٠٨م،

أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي؛ زاد المسير في علم التفسير، ج٤، ص٤٥٧ الناشر: المكتب الإسلامي ١٩٨٧م، مفاتيح الغيب،

المراغي أحمد مصطفى؛ تفسير المراغي، ج٥، ص٩٥؛ الناشر دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع؛ إرشاد العقل السليم غالى مزايا الكتاب الكريم، ج، ص.

(2) انظر: جامع البيان، ج١٤، ص٢٥٤، الكشاف، ج٢، ص٤٩، زاد المسير، ج٤، ص٤٥٨؛ مفاتيح الغيب، ج٧، ص٢٢٤، التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨١.

البغوي : الحسين بن مسعود؛ معالم التنزيل، ج٢، ص٦١٩؛ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع؛ الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ

أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٦٣٤؛ الناشر: دار ابن الهيثم الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

الشوكاني : محمد بن علي؛ فتح القدير، ج١، ص١٢١٨؛الناشر دار الكتاب العربي -بيروت- ٢٠٠٩م

القاسمي: محمد جمال الدين : محاسن التأويل، ج٦، ص٢٥٣٧؛ الناشر: دار الفكر للنشر- والتوزيع؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي؛الدر المنثو ر في التفسير بالمأثور، ج٥، ص١٣٧؛ الناشر : دار الفكر

﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾: رجع عن الإخبار إلى الخطاب لهم على طريقة الالتفات، وهذا من بديع الكلام، ولا مانع من الالتفات هنا لعدم وجود فاء التفريع والمقصود سؤال توبيخ وتقريع، ويكون ذلك يوم القيامة وهذا وعيد لهم[1].

﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾: عما كنتم تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم أن له شريكاً، وأنه أمركم بهذا وتصييركم لأوثانكم فيما رزقناكم نصيباً، والإتيان بالفعل الكون وبالمضارع للدلالة على أن الافتراء كان من شأنهم، وكان متجدداً ومستمراً منهم، فهو أبلغ من أن يقال عما تفترون أو عما افتريتم[2].

للطباعة والنشر والتوزيع؛ ٢٠٠٩م

(١) انظر: زاد المسير، ج٤، ص٤٥٨؛، التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨١،

القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٠٣؛ الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت-٢٠٠٧م

فتح القدير، ج١، ص١٢١٨؛ التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨٢؛ نظم الدرر، ج٤، ص٢٧٩؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج، ص،

ابو الطيب: صديق بن حسن القنوجي البخاري؛ فتح البيان في مقاصد القرآن؛ ج٤، ص٣٧؛الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت- ٢٠٠٨م

أنور الباز؛ التفسير التربوي للقرآن الكريم، ج٢، ص٢٠١؛ الناشر : دار النشر للجامعات؛ مصر؛ ٢٠٠٧م

(٢) انظر: جامع البيان، ج١٤، ص٢٥٤؛ معالم التنزيل، ج٢، ص٦١٩؛ الكشاف، ج٢، ص٤٤٩؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٠٣؛ البحر المحيط، ج٥، ص٤٨٨؛ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٦٣٤؛ فتح القدير، ج١، ص١٢١٨؛ التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨٢؛ نظم الدرر، ج٤، ص٢٧٩؛ ارشد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٧٠؛ التفسير المنير، ج٧، ص٤٦٦؛ تفسير المراغي، ج٥، ص٩٦.

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية:

المقْسِم: وهو الله جل جلاله وهو سبحانه وتعالى.

المقْسَم به: وهو الله تعالى أقسم بنفسه عز وجل.

المقْسَم عليه: ﴿لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ وهو وقوع سؤال أولئك المشركين عما كانوا يختلقونه من الكذب على الله عز وجل، ويقولون إن له شريكاً.

أداة القسم: وهي التاء.

ثالثاً: الغرض من القسم بالله - تعالى - هنا:

القسم بالله تعالى على سؤال المشركين عن افترائهم الغرض منه إثبات سؤالهم وتحقيقه وتأكيد إيقاع العقوبة التي يستحقونها بهم، فقد أجرموا جرماً عظيماً بافترائهم على الله تعالى وجعلهم نصيباً من رزقه لهم لهذه الأوثان واستخدام نعمته التي من بها عليهم في معصيته سبحانه وتعالى، وهذا من أعظم سوء الأدب مع المنعم جل وعلا، مما أسخط الله تعالى عليهم فاقسم على أنه سيسألهم سؤال توبيخ وتقريع عما فعلوا وأن هذا السؤال واقع لا محالة.

قال ابن عاشور- رحمه الله-: (وتصدير جملة التهديد والوعيد بالقسم لتحقيقه إذ السؤال الموعود به يكون يوم البعث، وهم ينكرونه فناسب أن يؤكد، والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرا عجيبا ومستغرباً)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية:

لما كان أمر المشركين الذي أتوه أمراً عجباً مخالفاً لما يجب أن يكون عليه المرء مع من أحسن إليه ومناقضاً لما يجب من الاعتراف بالنعمة وشكرها حيث عمدوا إلى المهمة العظمى والغاية الكبرى من الخلق - وهي تحقيق العبودية لله تعالى

---

(1) التحرير والتنوير، ج١٤، ص١٨١.

والاعتراف بإلوهيته - كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فاعتدوا عليها وأشركوا معه آلهة لا تضر ولا تنفع ولا يعلمون منها فائدة لهم لا في معاشهم ولا في معادهم -زعماً منهم إنها تقربهم إلى الله زلفى- كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣].

ولما كان هذا العمل جرماً شنيعاً يستحق صاحبه العقاب وجحوداً لنعمة المنعم وإنكاراً لها باستخدامها فيما لا يرضي واهبها - عز وجل- ولما كان هذا نوع من الكفر بإلوهية الله تعالى المألوه المعبود محبة وتعظيماً أقسم الله عز وجل بألوهيته على سؤال هؤلاء المشركين سؤال توبيخ وتقريع عما اقترفوه من الأمور الشنيعة وهذا السؤال فيه معنى الوعيد وهو متضمن معنى العقوبة أيضاً لأن الألوهية - العبادة- حق لله تعالى اعتدوا عليه بصرفها والتقرب به إلى غيره من الأوثان التي لا يعلمون حقائقها بله مبلغ ما ينالهم منها وتخيلات يتخيلونها ليست في الوجود ولا في الإدراك ولا من الصلاحية للانتفاع في شيء، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم:٢٣].

قال الرازي-رحمه الله-: (واعلم أنه تعالى لما حكي عن المشركين هذا المذهب قال: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وهذا في هؤلاء الأقوام خاصة بمنزلة قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وعلى التقديرين[1]، فأقسم الله تعالى بنفسه أنه يسألهم وهذا تهديد منه شديد لأن المراد أنه يسألهم سؤال توبيخ

---

(١) يشير إلى ما تقدم من الكلام على الاختلاف في عودة الضمير سابقاً في قوله تعالى: (لما لا يعلمون) أيعود على المشركين؟ أم على الأصنام؟ فالسؤال هنا واحد والمراد به واحد على أي من التقديرين.

وتهديد)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: (فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وائتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم)[2]

وقال ابن عاشور- رحمه الله-: (والسؤال كناية عما يترتب عليه من العقاب لأن عقاب العادل يكون في العرف عقب سؤال المجرم عما اقترفه إذ لعل له ما يدفع به عن نفسه فأجرى الله أمر الحساب يوم البعث على ذلك السنن الشريف والتعبير عنه بـ ﴿كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ كناية عن استحقاقهم العقاب لأن الكذب على الله جريمة)[3].

وقال الشنقيطي رحمه الله: (وقد أقسم جل وعلا على أنه يسألهم يوم القيامة عن هذا الافتراء والكذب! وهو زعمهم أن نصيبا مما خلق الله للأوثان التي لا تنفع ولا تضر في قوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، وهو سؤال توبيخ وتقريع)[4].

وقال سيد قطب[5] - رحمه الله-: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].

فإذا هم يحرّمون على أنفسهم بعض الأنعام لا يركبونها ولا يذوقون لحومها أو

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٧، ص٢٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٩٧

(٣) التحرير والتنوير، ج٦، ص١٨١-١٨٢؛ تفسير المراغي، ج٥، ص٩٦.

(٤) أضواء البيان ج٢ ص٣٨٧

(٥) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة١٣٢٤هـ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة)، وعُين مدرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف. ثم مراقباً فنياً للوزارة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (١٩٤٨ - ١٩٥١م)، ألّف عدداً من المؤلفات ومنها تفسيره المعروف (في ظلال القرآن) حكم عليه بالإعدام وأعدم سنة١٣٨٧هـ. انظر: الأعلام ج٣ ص١٤٧

يبيحونها للذكور دون الإناث... باسم الآلهة المدعاة التي لا يعلمون عنها شيئاً، إنما هي أوهام موروثة من الجاهلية الأولى والله هو الذي رزقهم هذه النعمة التي يجعلون لما لا يعلمون نصيباً منها، فليست هي من رزق الآلهة المدعاة لهم ليردوها عليها، إنما هي من رزق الله الذي يدعوهم إلى توحيده فيشركون به سواه، وهكذا تبدو المفارقة في تصورهم وفي تصرفهم على السواء الرزق كله من الله والله يأمر ألا يعبد سواه، فهم يخالفون عن أمره فيتخذون الآلهة وهم يأخذون من رزقه فيجعلونه لما نهاهم عنه، وبهذا تتبدى المفرقة واضحة ظاهرة عجيبة مستنكرة..﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦]. بالقسم والتوكيد الشديد، فهو افتراء يحطم العقيدة من أساسها لأنه يحطم فكرة التوحيد)[١].

وقال صاحب التفسير التربوي: (ومن ثم أقسم الله بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وائتفكوه، وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم)[٢].

المقسم به هنا لفظ الجلالة الدال على أنه سبحانه وتعالى المألوه المعبود المستحق للعبادة دون سواه وهؤلاء أشركوا معه غيره فيما يتقربون به من القربات إلى هذه الأصنام -التي لا تنفع ولا تضر- مع كون هذه الأرزاق من الله -سبحانه وتعالى- فناسب أن يقسم بألوهيته لبيان استحقاقه للعبادة دون ما سواه.

ولكون ما فعله هؤلاء المشركون يعد من الأمور المستغربة الداعية إلى التعجب من صنيعهم أُتي بالقسم هنا بالتاء للدلالة على كون هذا الصنيع مستغرباً.

قال ابن عاشور: [والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمراً عجيباً

---

(١) سيد قطب في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٧٧؛ الناشر: دار العلم للطباعة والنشر بجدة؛ الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٦م

(٢) التفسير التربوي للقرآن الكريم، ج٢، ص٢٠١.

ومستغرباً، فالإتيان في القسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يسألون سؤالاً عجيباً بمقدار غرابة الجرم المسئول عنه])[1].

وباختصار فالمناسبة هي: أنه تعالى أقسم بألوهيته على سؤال من اعتدى عليها بصرف شيء من عبادته لغيره، واستخدام نعمه – عز وجل – في التقرب إلى غيره مما لا يضر ولا ينفع وهذا السؤال في ذاته توبيخ لهم على فعلهم الشنيع والتوبيخ نوع من العقاب

أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ثبوت البعث والجزاء وايقاع العقوبة بهؤلاء الكافرين لان السؤال يستلزم الجزاء والمحاسبة للمحسن باحسانه والمسيء باساءته

(١) التحرير والتنوير ج١٤ ص١٨١

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [النحل:٦٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ تَٱللَّهِ ﴾: (هذا تعزية للنبي ﷺ، وهو جار مجرى التسلية له فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم بأن مَنْ تقدمه من الأنبياء قد كفر بهم قومهم)[١].

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ﴾: أي (بما لنا من العظمة رسلاً من الماضين بمثل ما أرسلناك إلى أمتك فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك)[٢].

﴿إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾: (كما أرسلنا إلى الأمم الماضية بمثل ما أرسلناك به إلى أمتك من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وخلع الأنداد والأوثان)[٣].

﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ﴾: (فحسَّن لهم الشيطان)[٤].

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾: (النون فيه أصلية وهو من شطن أي تباعد وهو اسم لكل عارم من الجن والإنس)[٥].

﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: (وهي ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان والتكذيب والعناد مقيمين حتى كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤا به من عند ربهم)[٦].

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾: (فالشيطان ناصر لهم- وبئس الناصر- سماه ولياً لهم

---

(١) انظر: زاد المسير، ج٤، ص٤٦٢؛ مفاتيح الغيب، ج٧، ص٢٣٠؛ الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٠٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٧٢.

(٣) تفسير المراغي، ج٥، ص١٠٠.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٧٢؛ محاسن التأويل، ج٦، ص٢٥٤١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، كتاب الشين(شطن)؛ ص٢٧٩.

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٧٢؛ محاسن التأويل، ج٦، ص٢٥٤١.

لطاعتهم إياه[1].

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: (وهذا حكاية عن الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها جعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا والمقصود بهم كفار مكة أو أنها حكاية عن الحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار يوم القيامة فلا ولي لهم في ذلك الموقف إلا هو) (والمراد نفي الولي عنهم على أبلغ الوجوه لأن الشيطان لا يتصور منه النصرة أصلاً في الآخرة وإذا كان الناصر منحصراً فيه لزم إلا نصرة من غيره)[2].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (أي مؤلم فلا ينفعهم حينئذ ولآية الشيطان ولا هي نفعتهم في الدنيا، بل ضرتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضر)[3].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسِم: هو الله تعالى.

المقسَم به: هو الله تعالى (لفظ الجلالة) أقسم الله عز وجل بنفسه.

المقسَم عليه: هو إرسال الرسل من قبل النبي ﷺ إلى أقوامهم.

أداة القسم: هي التاء في قوله تعالى ﴿تَٱللَّهِ﴾.

---

(1) فتح القدير، ج٢، ص١٢٢١.

(2) فتح القدير، ج٢، ص١٢٢١.

(3) انظر: جامع البيان، ج١٤، ص٢٦٨؛ معالم التنزيل، ج٢، ص٦٢١؛ الكشاف، ج٢، ص٤٥١؛ مفاتيح الغيب، ج٧، ص٢٣٠؛ التفسير المنير، ج٧، ص٤٧٨؛ تفسير المراغي، ج٥، ص١٠٠؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٧٢.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية:

الغرض من قسم الله عز وجل بنفسه الكريمة هو التأكيد على إرسال الرسل إلى الأمم السابقة، وفي ذلك تثبيت لفؤاد النبي ﷺ وتعزيةً له عما يناله من الأذى ومن عدم الإيمان به ومن جنوح قومه إلى طاعة الشيطان وأتباعه يقول يا محمد كما أنك لست بدعاً من الرسل الذين أرسلوا إلى أقوامهم، فقومك أيضاً ليسوا بدعاً من الأمم، حيث سبق أن كذب أقوام قبلك رسلهم مع ما جاؤا به من البراهين والأدلة على وحدانية الخالق واستحقاقه للعبادة دون سواه إلا أنهم كذبوا، فقومك مثلهم يا محمد، فاثبت ولا تحزن فهذه سنّة ماضية، فأكد الله ذلك بالقسم وبقد التي تقتضي تحقيق الأمر[1].

قال د. الزحيلي: (دلت الآية... على أن سنة الله في عباده منذ القديم إرسال الرسل بالحجة الواضحة والبيان الشافي، وما محمد إلا كغيره من الرسل، وشأن الأمم تكذيب المرسلين لتأثرهم بتزيين الشيطان أعمالهم وإغوائهم وصرفهم عن إجابة أنبيائهم، وهكذا كان موقف كفار مكة أغواهم الشيطان كما فعل بكفار الأمم قبلهم)[2].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية هي: أنه لما كانت الدعوة إلى عبادة الله تعالى هي الشغل الشاغل للنبي ﷺ والمرك له للبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس، وقد اجتهد النبي ﷺ في إبلاغ قومه ودعوتهم والسعي إلى هدايتهم، ومع ذلك لقي التكذيب والإعراض، بل ولقي الأذى عليه الصلاة والسلام في نفسه وفي أصحابه، فأثر ذلك في نفسه عليه الصلاة والسلام، وخاصةً أن تكذيبهم لم يقتصر

---

(١) البحر المحيط، ج٥، ص٤٩١.

(٢) التفسير المنير، ج٧، ص٤٧٩-٤٨٠.

على الكفر المجرد فقط، بل صاحبه إدعاء أمور عجيبة من وصفه بما لا يرضونه لأنفسهم من الصفات كل ذلك ألم محمداً ﷺ وأحزنه ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

لما كان الأمر كذلك ولما كانت دعوة الرسل واحدة ومنهجهم واحد وعقيدتهم هي عقيدة التوحيد لله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولما كانت الحالة واحدة والصفة متشابهة، فالدعوة واحدة وموقف المشركين في جميع الأمم واحد وهو تكذيبهم لرسلهم والسبب في ذلك واحد أيضاً وهو ما يقوم به الشيطان من تزيين ما هم عليه من الكفر أقسم الله سبحانه بألوهيته التي يشغل أمر إقامتها في الأرض محمداً ﷺ على إرسال الرسل إلى الأمم الماضية، كما أرسله إلى قومه وأن تلك الأمم حصل منها الكفر والتكذيب كما حصل من قومه؛ وذلك تسليةً للنبي ﷺ عما لقي من التكذيب والأذى.

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى عند الحديث عن هذه الآية: (استئناف ابتدائي داخل في الكلام الاعتراضي قصد منه تنظير حال المشركين المتحدث عنهم وكفرهم في سوء أعمالهم وإحكامهم بحال الأمم الماضية من قبلها الذين استهواهم الشيطان من الأمم البائدة، مثل عاد وثمود، والحاضرة مثل اليهود والنصارى ووجه الخطاب إلى النبي ﷺ لقصد إبلاغه إلى أسماع الناس فإن القرآن منزَّل لهدى الناس، فتأكيد الخبر بالقسم منظور فيه إلى المقصودين بالخبر لا بالموجه إليه الخبر لأن النبي ﷺ لا يشك في ذلك ومصب القسم هو التفريع في قوله: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ وأما الإرسال إلى أمم من قبلهم فلا يشك فيه المشركون وشأن التاء المثناة أن تقع في قسم مستغرب مصب القسم هنا هو المفرد بقوله تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:٦٣]. لأن تأثير تزيين الشيطان لهم أعمالهم بعد ما جاءهم من إرشاد رسلهم أمر عجيب... وتزيين الشيطان أعمالهم كناية عن المعاصي.

فمن ذلك عدم الإيمان بالرسل وهو كمال التنظير، ومنها الابتداعات المنافية لما جاءت به الرسل، مثل ابتداع المشركين: البحيرة والسائبة، والمقصود أن المشركين سلكوا مسلك من قبلهم من الأمم التي زين لهم الشيطان أعمالهم)[1].

فبعد أن فند الله فساد عقائد المشركين وأقوالهم وأمهلهم العذاب سلّى رسول الله ﷺ عما كان يناله من أذى قومه، ونسبتهم إلى الله ما لا يجوز بإخباره بإرسال الرسل إلى الأمم المتقدمة مقسماً على ذلك ومؤكداً بالقسم واللام وقد التي تقتضي تحقيق الأمر، فزين لهم الشيطان أعمالهم من تماديهم على الكفر فهو وليهم اليوم حكاية عن حال ماضية أي لا ناصر لهم في حياتهم إلا هو، أو حكاية عن حالة آنية وهي يوم القيامة، فلا تحزن لتكذيبهم فلست بدعاً من الرسل وليس قومك منفردين بالعتو والاستكبار.... فلا تحزن يا محمد على تكذيب قومك لك، فلك أسوة بالمرسلين قبلك ودع المشركين الذين كذبوا الرسل، فإنما وقعوا فريسة لتزيين الشيطان لهم ما فعلوه.

فالمقسم به هو لفظ الجلالة الدال على انفراد الله بالعبادة واستحقاقه صرف جميع أنواع العبادات والقربات إليه دون ما سواه وهؤلاء المشركون أشركوا بالله وكفروا به واتبعوا الشيطان مع إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم، كما هو حال من سبقهم من الأمم السابقة التي أرسل الله إليها الرسل، فناسب أن يقسم بلفظ الجلالة لما تضمنته من إفراده بالعبادة، وفي القسم بلفظ الجلالة الذي هو اسم الله الأعظم من المهابة ما لا يخفى فأقسم به لبث الخوف في هذه القلوب المريضة التي استمالها الشيطان بما زين لها، فكانت من أتباعه.

وخلاصة القول أن القسم بالألوهية على إرسال الرسل للتأكيد على أن دعوتهم إلى ألوهية الله تعالى وعبادته، وأنها أصل دعوة الرسل كما هي دعوة محمد ﷺ، وأن موقف جميع الأمم منها سابقاً ولاحقاً موقف واحد، فأقسم بالألوهية على

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٤، ص١٩٣-١٩٤.

إرسال الرسل للدعوة إليها، وسلّى النبي ﷺ على موقفهم منه ومن دعوته ببيان ما حصل من السابقين وأن الأمر مستمر معه، كما كان مع إخوانه المرسلين من قبل، وليبين الله تعالى أنه وحده المستحق للعبادة التي أرسل من أجلها الرسل كافة والله أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في هذه الاية الكريمة تثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتطمين له وحث له على السير في دعوته وذلك بالتاكيد على ان ما حصل له من سنن الله في الارض وانه لابد للدعوة من اعداء وللرسل من مكذبين

۞ المطلب الثاني: القسم بربوبية الله تعالى والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وقد جاء ذلك في عدة مواضع هي:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

أولاً: تفسيرمفردات الآية الكريمة:

﴿ فَلَا ﴾ الفاء للتفريع عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠][1]. قال مجاهد[2]، وغيره: (نزلت فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت) ورجحه الطبري[3]؛ لأنه أشبه بنسق الآيات، ،فيكون هذا رد على ما تقدم ذكره من حالهم أي: فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وهم يحتكمون إلى الطاغوت ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد؛ وقيل : في شأن الرجل الذي خاصم الزبير[4] وقدّم لا على القسم اهتماماً بالنفي وإظهاراً لقوته ولتأكيد معنى النفي في قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنه إذا ذكر في أول الكلام وفي آخره

---

(١) التحرير والتنوير، ج٥، ص١١٠.

(٢) **هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب، ولد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر رضي الله عنه ومجاهد رأس المفسرين من طبقة التابعين حتى قيل أنه كان أعلمهم بالتفسير، وقد أخذ تفسيره عن ابن عباس ثلاث مرات ومات سنة ١٠٢هـ.** انظر: سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي؛ التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح تحقيق : د. أبو لبابة حسين؛ الناشر : دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض ؛الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، برع في علوم كثيرة منها : علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وقد صنف في علوم كثيرة وأبدع فيما صنف فيه، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج١١ ص١٦٥

(٤) جامع البيان ج٧ ص١٩٩

كان أوكد وأحسن[1].

وقال أبو السعود[2]: (إن لا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد معنى النفي في جوابها عن قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنها تزاد في الإثبات أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة:٧٥])[3].

وقال الزمخشري[4]: (لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد:٢٩]. لتأكيد وجوب العلم[5].

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠؛ الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٩؛ البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦-٢٩٧؛ مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧؛ معالم التنزيل، ج١، ص٥٥٨؛ أبو الثناء محمود أفندي الآلوسي؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص٩٩؛ الناشر: دار الحديث بالقاهرة ٢٠٠٥م، الدر المنثور، ج٢، ص٥٨٦؛ نظم الدرر، ج٢، ص٢٧٥.

(٢) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية سنة ٨٩٨هـ، ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢هـ، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ومن كتبه (تحفة الطلاب) في المناظرة، و (رسالة في المسح على الخفين) و(رسالة في مسائل الوقوف) وأخرى في (تسجيل الأوقاف) و (قصة هاروت وماروت) وشعره جيد خلص كثير منه من الركاكة، توفي سنة٩٨٢ هـ.انظر: شذرات الذهب ؛ج٨ ؛ص ٣٩٥

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص١٥٨.

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد ٢٧ رجب ٤٦٧هـ بزمخشر، وهي قرية كبيرة من قرى خوازم، وتلقى العلم في بلاده ورحل إلى بخارى في طلبه وأخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضر، ثم رحل إلى مكة وجاور بها زماناً، فقيل له (جار الله) وبها ألف كتابه في التفسير: (الكشاف في حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وتوفى سنه ٥٣٨هـ بجرجانية خوارزم. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٥ ص١٧

(٥) انظر: الكشاف، ج١، ص٤٠٥.

﴿وَرَبِّكَ﴾: قال الطبري: (استأنف القسم جلّ ثناؤه فقال: ﴿وَرَبِّكَ﴾ يا محمد)[1].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لايصدقون بي وبك وما أنزل إليك وهو جواب القسم[2].

﴿حَتَّىٰ﴾: حتى هنا غاية أي ينتفي عنهم الإيمان إلى هذه الغاية فإذا وجد ما بعد الغاية كانوا مؤمنين[3].

﴿يُحَكِّمُوكَ﴾: أي حتى يجعلوك حكما ويفوضوا الأمر إليك ويتحاكموا إليك ويترافعوا إليك، وإنما جيء بصيغة التحكيم مع أنه عليه الصلاة والسلام حاكم بأمر الله سبحانه إيذاناً بأن حقهم أن يجعلوه حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وأن قطع النظر عن كونه حاكماً على الإطلاق، وفي الكلام حذف التقدير فتقضي بينهم[4].

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلط من أمورهم فالتبس عليهم، ومنه الشجر لاختلاف أغصانه ويقال لعصي الهودج شجار لتداخل بعضها في بعض قال طرفة[5]:

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠.

(٢) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠،

(٣) انظر: البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦.

(٤) انظر: البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦؛ تفسير المراغي، ج٢، ص٧٩.

(٥) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين حوالي ٨٦ قبل الهجرة، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شاباً في (هجر) قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين ٦٠ ق هـ. أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقد شرحها كثيرون من العلماء، وجمع المحفوظ من شعره في (ديوان). انظر: الأعلام ج٣ ص٢٢٥

وهـــم الحكـــام أربـــاب الهـــدى وسعاة النـاس في الأمـر الشـجر[1]

واشتجر القوم إذا اختلفوا قال زهير[2]:

متـى يشـتجر قـوم يقـل سرواتهـم هـم بيننـا فهـم رضى وهـم عـدل[3]

وشاجره إذا نازعه، وذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض عند المنازعة[4].

﴿ثُمَّ لَا يَجِـدُواْ﴾: عطف على مقدر ينساق إليه الكلام أي فتحكم بينهم ثم

---

(1) هذا البيت لطرفة من قصيدته التي مطلعها :

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

انظر ديوان طرفة ص٣٩؛ الناشر : دار الكتب العلمية؛ بيروت -لبنان-

(2) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد (مزينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) ويقال: إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء. له (ديوان) ترجم كثير منه إلى الألمانية. قيل أن وفاته سنة ١٣ ق هـ. انظر :الأعلام ج٣ ص٥٢

(3) قائله زهير بن أبي سلمى؛وهو من قصيدته التي مطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثفل

انظر: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم النحوي الشنتمري؛ شرح ديوان زهير بن آبي سلمى، ص٢٠؛ طبع بالمطبعة الحميدية بمصر سنة ١٣٢٣هـ

(4) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠؛ الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٩؛ البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦-٢٩٧؛ مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧؛ معالم التنزيل، ج١، ص٥٥٨؛ روح المعاني، ج٥، ص٩٩؛ الدر المنثور، ج٢، ص٥٨٦؛ نظم الدرر، ج٢، ص٢٧٥.

لا يجدوا[1].

﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾: أي ضيقا وشكا وذكر القرطبي[2]، عن الضحاك[3]: وإنما معناه ثم لا تحرج أنفسهم مما قضيت أي بالإثم بإنكارها ما قضيت وشكها في طاعتك وان الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه فلا يخطر ببالهم ما يأثمون به من عدم الرضا وفي البحر المحيط: (قيل: هما وحزنا وقال مجاهد: شكا، لان الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له البيان)[4]. (إذ الضيق إنما يلازم قلب من لم يخضع)[5].

وقال الألوسي[6]: (واختار بعض المحققين تفسيره بضيق الصدر لشائبة الكراهة والآباء لما إن بعض الكفرة كانوا يستيقنون الآيات بلا شك، ولكن

---

(1) انظر: روح المعاني، ج١، ص١٠٠.

(2) هو أبو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي الأندلسي. كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمر الآخرة كان مستقراً بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى وفيها توفي ليلة التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٦ ص٨٩

(3) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان له أخوان: محمد ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. قال غير واحد وفاة الضحاك في سنة اثنتين ومئة. وقيل توفي سنة خمس ومئة. وقيل توفي سنة ست ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٥٨

(4) البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦.

(5) تفسير المراغي، ج٢، ص٨٠.

(6) الألوسي، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي البغدادي، ولد سنة ١٢١٧هـ في جانب الكرخ من بغداد كان شيخ العلماء في العرق ونادرة من نوادر الأيام كان محدثاً ومفسراً جامعاً للعلوم، قلد إفتاء الحنفية سنة ١٢٤٨هـ، ثم انفصل منه وبقي مشتغلا بالتفسير حتى أتمه وتوفي رحمه الله سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام ج٧ ص١٧٦

يجحدون ظلماً وعتواً فلا يكونوا مؤمنين)[1].

وقال الرازي: (وأما الحرج فهو الضيق قال الواحدي: يقال للشجر الملتف الذي لا يكاد يوصل إليه حرج وجمعه حراج)[2].

﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾: ينقادوا لأمرك ويذعنوا له ويسلموا لقضائك وحكمك إذعاناً منهم لك بالطاعة وإقراراً لك بالنبوة ولا يعارضون فيه بشيء[3].

(وقيل معناه ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك)[4].

قلت: ولا يظهر مانع من أن يكون المعنيان معاً، فالانقياد والإذعان لحكمه ﷺ ومطلوب وهو مستلزم لتسليم جميع الأمور المتنازع فيه لحكمه عليه الصلاة والسلام

﴿تَسۡلِيمًا ﴾: (قال الزجاج[5]: تسليماً مصدر مؤكد، فإذا قلت ضربت ضرباً، فكأنك قلت لا أشك فيه وكذلك ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ أي ويسلموا لحكمك تسليماً لا يدخلون على أنفسهم شكاً)[6]، فهو تأكيد للفعل بمنزلة تكريره أي تسليماً تاماً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لأمر الله وأسلم له بمعنى وحقيقته:

---

(١) روح المعاني، ج١، ص١٠٠.

(٢) مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧.

(٣) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠؛ الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٩؛ مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧؛ زاد المسير، ج٢، ص١٢٤.

(٤) البحر المحيط، ج٣، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٥) الزجاج، الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مصنف كتاب: "معاني القرآن"، وله تآليف جمة، لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً، فنصحه وعلمه مات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وقيل: مات في التاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة. انظر: اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ؛ البداية والنهاية ج١١ص١٤٨؛ الناشر :دار المعارف -بيروت-

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٩.

سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له أي خالصة، وأكد الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة وحسنه كونه فاصله[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: وهو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى المضافة إلى رسوله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وَرَبِّكَ﴾ وفي إضافة اسم الرب إلى ضمير النبي ﷺ تعظيم له وتكريم وتشريف وحث على تعظيم حق النبي ﷺ في وقت كان البعض يرغب عن حكمه وفيه تسلية للنبي ﷺ عما لحقه من الضيق بسبب اعتراض من اعترض على حكمه وفي مخاطبته بالقسم مع كونه لا يشك فيما أخبر الله تعالى به تطمين للنبي ﷺ وربط على قلبه ليصبر ولا يحزن لما سمع من مقالة معترض أو خطأ جاهل وفيه كذلك إظهار للطف الله تعالى به وعنايته به عليه الصلاة والسلام[2].

المقسم عليه: في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عدم إيمان من يدعي الإيمان، وقد فقد واحداً مما اشتملت عليه الآية من شروط وهو تحكيم النبي ﷺ في كل ما تنازعوا فيه بدون ضيق ولا شك وبتسليم وإذعان وقبول لحكمه عليه الصلاة والسلام.

أداة القسم: الواو في قوله عز وجل: ﴿وَرَبِّكَ﴾.

---

(١) انظر: جامع البيان، ج٧، ص٢٠٠؛ الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥-٢٥٩؛ مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧؛ زاد المسير، ج٢، ص١٢٤؛ معالم التنزيل، ج١، ص٥٥٨؛ روح المعاني، ج٥، ص٩٩؛ الدر المنثور، ج٢، ص٥٨٦؛ نظم الدرر، ج٢، ص٢٧٥.

(٢) انظر: الكشاف، ج٢، ص٥١٨؛ مفاتيح الغيب، ج٢، ص٢٤١؛ البحر المحيط، ج٣، ص٢٨٤؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٥، ص٩٢.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة والله أعلم هو التأكيد على جزء لا يتجزأ من أجزاء الإيمان وشرط أساسي لابد من وجوده حتى يكون الإنسان مؤمناً ولو اختل هذا الأمر، فقد اختل الإيمان وهذا الجزء هو تحكيم النبي ﷺ في جميع الأمور التي يختلف فيها مع الرضا بذلك ظاهراً وباطناً والانقياد والإذعان لهذا التحكيم، فأقسم الله تعالى للتأكيد على هذا الأمر ومنزلته وإثبات أنه جزء من عقيدة المؤمن، وأن من لم يكن هذا الأمر من عقيدته فليس بمؤمن وهذا واضح من خلال ما تقدم في شرح معاني هذه الآية الكريمة والله أعلم.

قال ابن عاشور: (وأكده بالقسم وبالتوكيد اللفظي، وأصل الكلام: فوربك لا يؤمنون، والعرب تأتي بحرف النفي قبل القسم إذا كان جواب القسم منفيا للتعجيل بإفادة أن ما بعد حرف العطف قسم على النفي لما تضمنته الجملة المعطوف عليها، فتقديم النفي للاهتمام بالنفي،... ويكثر أن يأتوا مع حرف النفي بعد العاطف بحرف نفي مثله في الجواب، ليحصل مع الاهتمام التأكيد، كما في هذه الآية، وهو الاستعمال الأكثر، ولم أر في كلام العرب تقديم (لا) على حرف العطف إبطالا للكلام السابق،... وليست (لا) هذه هي التي ترد مع فعل القسم مزيدة والكلام معها على الإثبات،... لأن تلك ليس الكلام معها على النفي، وهذه الكلام معها نفي، فهي تأكيد له على ما اختاره أكثر المحققين خلافا لصاحب «الكشاف»، ولا يلزم أن تكون مواقع الحرف الواحد متحدة في المواقع المتقاربة

وقد نفي عن هؤلاء المنافقين أن يكونوا مؤمنين كما يزعمون في حال يظنهم الناس مؤمنين، ولا يشعر الناس بكفرهم، فلذلك احتاج الخبر للتأكيد بالقسم وبالتوكيد اللفظي، لأنه كشف لباطن حالهم. والمقسم عليه هو: الغاية، وما عطف عليها بثم، معا، فإن هم حكموا غير الرسول فيما شجر بينهم فهم غير مؤمنين، أي إذا كان انصرافهم عن تحكيم الرسول للخشية من جوره كما هو معلوم من السياق

فافتضح كفرهم، وأعلم الله الأمة أن هؤلاء لا يكونون مؤمنين حتى يحكموا الرسول ولا يجدوا في أنفسهم حرجا من حكمه، أي حرجا يصرفهم عن تحكيمه، أو يسخطهم من حكمه بعد تحكيمه، وقد علم من هذا أن المؤمنين لا ينصرفون عن تحكيم الرسول ولا يجدون في أنفسهم حرجا من قضائه بحكم قياس الأحرى.وليس المراد الحرج الذي يجده المحكوم عليه من كراهية ما يلزم به إذا لم يخامره شك في عدل الرسول وفي إصابته وجه الحق. وقد بين الله تعالى في سورة النور كيف يكون الإعراض عن حكم الرسول كفرا، سواء كان من منافق أم من مؤمن، إذ قال في شأن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [النور:٤٧-٥١]، لأن حكم الرسول بما شرع الله من الأحكام لا يحتمل الحيف إذ لا يشرع الله إلا الحق، ولا يخالف الرسول في حكمه شرع الله تعالى)[1].

قال الشنقيطي رحمه الله: (فنفي الإيمان حتى يوجد تحكيمه وحده، وهو تحكيمه في حال حياته وتحكم سنته فقط بعد وفاته)[2]

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية:

أما المناسبة بين المقسم به في هذه الآية وهو الربوبية في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ﴾ والمقسم عليه في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى نهاية الآية وهو عدم إيمان من لم يحكم النبي ﷺ في كل أمر اختلف فيه فهي: أنه تعالى أقسم بربوبيته ولفظ الرب يقتضي الإصلاح والرعاية، ومن ضمن ذلك الإصلاح تشريع ما يصلح للناس من

(١) التحرير والتنوير ج٤ ص٣٩

(٢) أضواء البيان ج٤ ص٢٠١

أحكام وأقضية جاء بها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي وأضاف هذه الربوبية إلى النبي ﷺ تكريماً له[1] - عليه الصلاة والسلام -ورداً على من طعن في مقامه ﷺ ولم يرض بحكمه، بل واتهمه بالميل إلى قريبه عليه كما جاء في سبب نزول الآية[2].

قال ابن القيم[3] - رحمه الله تعالى -: (أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وإحكام الشرع وإحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساخ وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى يضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض، فههنا قد يحكم الرجل غيره

---

(١) محمد رشيد رضا؛ تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ (تفسير المنار)؛ ج٥، ص١٤٧٤؛ الناشر: دار الفكر الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

(٢) انظر: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري؛ أسباب النزول؛ ص١٢١؛ الناشر: مكتبة عالم الكتب -بيروت-

(٣) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده في دمشق سنة٦٩١هـ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصى وأطلق بعد موت ابن تيمية. كان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً. وألف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) و(كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء)، توفي في دمشق سنة٧٥١هـ. انظر: الأعلام ج٦ ص٥٦

وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والانقياد إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه، ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضا بحكمه والتسليم أخص من انتفاء الحرج، فالحرج مانع والتسليم أمر وجودي ولا يلزم من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه إذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغاً منه ومن الرضا والتسليم له، فتأمله وعند هذا يعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق وعن الامتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدعي الإسلام أم لا؟)[1].

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله تعالى-: (فأقسم الله بربوبيته لرسوله ﷺ التي هي أخص ربوبية قسماً مؤكداً على أن لا إيمان إلا بأن نحكِّم النبي ﷺ في كل نزاع بيننا وإلا يكون في نفوسنا حرج وضيق مما قضى به رسول الله ﷺ وأن نسلم لذلك تسليماً تاماً بالانقياد الكامل والتنفيذ، وتأمل كيف أكد التسليم بالمصدر فإنه يدل على أنه لابد من تسليم تام لا انحراف فيه ولا توان، وتأمل المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، فالمقسم به ربوبية الله لنبيه ﷺ، والمقسم به هو عدم الإيمان إلا بتحكيم النبي ﷺ تحكيماً تاماً يستلزم الانشراح والانقياد والقبول، فإن ربوبية الله لرسوله تقتضي أن يكون ما حكم به مطابقاً لما أذن به ربه ورضيه، فإن مقتضى الربوبية ألا يقره على خطأ لا يرضاه له)[2].

قال ابن كثير[3]: (يقسم تعالى بنفسة الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٣٠-٤٣١.

(٢) الشيخ محمد بن صالح العثيمين؛ رسالة في زكاة الحلي، ص٣٠ - ٣١؛ الناشر دار المنهاج ٢٠٠٣م.

(٣) هو إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي عماد الدين أبو الفداء الحافظ المحدث الشافعي، ولد سنة ٧٠٥هـ، وقد كان فقيهاً متقناً، ومحدثاً بارعاً ومؤرخاً ماهراً ومفسراً ضابطاً، وقال فيه الحافظ بن حجر: إنه كان من محدثي الفقهاء سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها بعد وفاته ٠ ومن تصانيفه البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، وتوفى سنة ٧٧٤هـ بعد حياة زاخر

يكون حكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مماحكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة)[1].

قال البقاعي – رحمه الله –: بعد أن بين شيئاً من مزاعم الذين يدعون الإيمان، وهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت فهم يزعمون الإيمان مع إصرارهم على ذلك (ولما أفهم ذلك – أي ما تقدم في الآيات من زعمهم الإيمان مع عدم التحاكم إلى النبي ﷺ أن إباءهم لقبول حكمه والاعتراف بالذنب لديه سبب مانع لهم من الإيمان قال مؤكداً للكلام غاية التأكيد بالقسم المؤكد لإثبات مضمونه ولا النافية لنقيضه﴿فلاوَرَبِّكَ﴾، ولما كان الإذعان للحكم بما يخالف الهوى في غاية الشدة على النفس أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥])[2].

وقال الرازي: (اعلم أن قوله تعالى: ﴿فلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قسم من الله تعالى على أنهم لا يصيرون موصوفين بصفة الإيمان إلا عند حصول شرائط أولها: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وهذا يدل على أن من لم يرض بحكم الرسول ﷺ لا يكون مؤمناً، واعلم أن من يتمسك بهذه الآية في بيان أنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بإرشاد النبي المعصوم قال: لأن قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟

بالعلم. انظر:الأعلام ج١ ص٣٢٠

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٧٦٩.

(٢) نظم الدرر، ج٢، ص٢٧٥.

﴿ تَسۡلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. تصريح بأنه لا يحصل الإيمان إلا بأن يستعينوا بحكم النبي - عليه الصلاة والسلام - في كل ما اختلفوا فيه، ونرى أهل العلم مختلفين في صفات الله سبحانه وتعالى، فمن معطل ومن مشبه ومن قدري ومن جبري فلزم بحكم هذه الآية أنه لا يحصل الإيمان إلا بحكمه وإرشاده وهدايته، وحققوا ذلك بأن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافيه بإدراك هذه الحقائق، وعقل النبي المعصوم كامل مشرق فإذا اتصل إشراق نوره بعقول الأمة قويت عقولهم وانقلبت من النقص إلى الكمال ومن الضعف إلى القوة، فقدروا عند ذلك على معرفة الأسرار الإلهية، والذي يؤكد ذلك أن الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ كانوا جازمين متقنين كاملي الإيمان والمعرفة والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا...

الشرط الثاني: قوله ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قال الزجاج [لا تضيق صدورهم من أقضيتك] واعلم أن الراضي بحكم الرسول عليه الصلاة والسلام قد يكون راضياً به في الظاهر دون القلب، فبين في هذه الآية أن لابد من حصول الرضا به في القلب واعلم أن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر فليس المراد من الآية ذلك، بل المراد منه أن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به الرسول هو الحق والصدق.

الشرط الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، واعلم أن من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً وصدقاً قد يتمرد من قبوله على سبيل العناد أو يتوقف في ذلك القبول، فبيّن تعالى أنه لابد في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب، فلابد أيضاً من التسليم معه في الظاهر فقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. المراد به الانقياد في الباطن وقوله:

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]. المراد من الانقياد في الباطن والله أعلم)[١].

قال الشنقيطي[٢]: (أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً ويسلمه تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي والانقياد التام ظاهراً وباطناً لما حكم به ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة مع مناسبتها لحال المخاطب بالقسم وهو النبي ﷺ الذي لا يشك طرفة عين فيما أقسم الله عليه، ولكن كان عليه الصلاة والسلام في حالة ضيق من اعتراض المعترض على حكمه، فكان في ذلك تسلية له وتطمين لقبله عليه الصلاة والسلام، وكذلك مناسبتها لحال المقصودين بالحكم وهم المعترضون على حكم النبي ﷺ والراغبون عنه، فهم يحتاجون إلى الرادع القوي المؤكد ليكون مانعاً لهم من تجاوز حكم النبي ﷺ والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٤، ص١٢٧.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي: مفسر- مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد بها سنة ١٣٢٥هـ، وتعلم بها وحج (١٣٦٧) واستقر مدرساً في المدينة المنورة، ثم الرياض وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة سنة١٣٩٣هـ. له كتب منها: (أضواء البيان في تفسير القرآن)، و (منع جواز المجاز) و(منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات) صغير و (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) و (آداب البحث والمناظرة) جزآن و (ألفية في المنطق) و (رحلة خروجه من بلاده إلى المدينة). انظر: الأعلام ج٦ ص٤٥

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دل التناسب بين المقسم به وهو ربوبية الله تعالى المضافة الى ضمير الخطاب المقصود به النبي صلى الله عليه وسلم والمقسم عليه وهو عدم ايمان من لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم ويرضي بحكمه وينقاد له ويسلم على ان التحاكم الى ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الركائز الاساسية في الايمان وانه لا يصح ايمان العبد حتى يكون منه ذلك عقيدة وعملا

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء للتفريع وهذا تفريع على ما سبق من قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ أي فتسبب ونتج عن فعلهم هذا إنا نقسم بالموجد لك المدبر لأمرك المحسن إليك بإرسالك والواو للقسم ﴿وَرَبِّكَ﴾ أي قسماً بربك يا محمد، أقسم تعالى بذاته وربوبيته مضافاً إلى رسوله على جهة التشريف[1].

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير يظهر عوده على المقتسمين، وهو وعيد وسؤال تقريع وتوبيخ وتأنيب ويقال أنه يعود على الجميع من كافر ومؤمن إذ قد تقدم ذكرهما والسؤال عام للخلق، ويجوز أن يكون السؤال كناية عن الجزاء، فهو يقول قسماً بربك أيها النبي لنسألن هؤلاء الكفرة يوم القيامة عما فعلوا من المعاصي وعملوا في الدنيا من أعمال يؤاخذون عليها من كفر وتكذيب وقال أبو العالية: يسأل العباد عن خلتين: عما كانوايعبدون وعما أجابوا المرسلين أخرج الترمذي[2]،

---

(١) انظر: جامع البيان، ج١٤، ص١٣٩؛ البحر المحيط، ج٥، ص٤٥٥، الدكتور وهبة الزحيلي؛ التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ص٢٦٨؛ الناشر: دار الفكر-دمشق-سوريا، التحرير والتنوير، ج١٤، ص٨٧؛ نظم الدرر، ج٤، ص٢٣٧؛ التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٤٥٦؛ التحرير والتنوير، ج١٤، ص٨٧؛ مفاتيح الغيب، ج٧، ص١٦٤؛ روح المعاني، ج١٤، ص٤٤٢- ٤٤٣؛ الكشاف، ج٢، ص٤٣٣؛ معالم التنزيل، ج٢، ص٥٩٨؛ تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص١٦١٦؛ تفسير المراغي، ج١٤، ص٤٧.

(٢) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى، أبو عيسى الترمذى الضرير الحافظ صاحب "الجامع" و غيره من المصنفات أحد الأئمة الحفاظ المبرزين، و من نفع الله به المسلمين. قيل : إنه كان أكمه، طاف البلاد و سمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم مات أبو عيسى الترمذى الحافظ بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين. اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٣٧٠

وأبو يعلى[1]، وابن جرير، وابن المنذر[2]، وابن أبي حاتم[3]، وابن مردويه[4].

عن أنس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: [عن قول لا اله إلا الله][5]، وقال ابن عباس يقال لهم لم عملتم كذا وكذا قال ابن عمر

---

(١) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، أبو يعلى: حافظ، من علماء الحديث.ثقة مشهور، نعته الذهبي بمحدث الموصل. عمر طويلا حتى ناهز المئة.وتفرد ورحل الناس إليه وتوفي بالموصل سنة٣٠٧ هـ. له كتب منها (المعجم) في الحديث، و (مسندان) كبير وصغير، أحدهما مخطوط في ١٨٢٦ صفحة، أربع مجلدات، انظر: سير أعلام النبلاء ج١١ ص٢٠٧

(٢) ابن المنذر، الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه نزيل مكة وصاحب التصانيف، ولد في حدود موت أحمد بن حنبل، وعداده في الفقهاء الشافعية له من التحقيق في كتبه ما لا يقارن بأحد له تفسير في بضعة عشر مجلداً يقضي له بالإمامة في علم التأويل، مات بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء ج١١ ص٣٠٠

(٣) هو الإمام عبدالرحمن بن الإمام محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران يكنى أبا محمد ولد سنة أربعين ومائتين أو إحدى وأربعين، أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار له تفسير في عدة مجلدات عامته آثار بأسانيده من أحسن التفاسير، توفي ابن أبي حاتم في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالري وله بضع وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٣٦٦

(٤) الشيخ الإمام المحدث العالم أبو بكر ابن الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى الأصبهاني، ولد سنة تسع وأربع مائة كان ثقة جليلاً مات بسوذر جان من قرى أصبهان سنة ثمان وتسعين وأربع مائة وله تسع وثمانون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٧٧

(٥) أخرجه الترمذي برقم ٣١٢٦، انظر: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي؛ الجامع الصحيح (سنن الترمذي)؛ تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون؛ الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت (الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها)، وأبو يعلى في مسنده برقم ٤٠٥٨ ؛انظر: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي؛ مسند أبي يعلى؛ الناشر : دار المأمون للتراث - دمشق؛ الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه ج١٣، ص٣٦٥،، وانظر: أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي؛ المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق : كمال يوسف الحوت؛ الناشر : مكتبة الرشد - الرياض؛ الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ومجاهد السؤال عن (لا اله إلا الله)، وإذا ثبت ذلك فيكون عن الوفاء بلا إله إلا الله والصدق لمقالها، وإن قيل كيف يجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩]، فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها والسؤال مستعمل في لازم معناه وهو عقاب المسئول كقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]، فهو وعيد للفريقين[1].

ثانياً: أركان القسم في الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية الكريمة هي:

المقسم: وهو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى وأضافها إلى نبيه محمد ﷺ على وجه التشريف له عليه الصلاة والسلام.

المقسم عليه: هو سؤال المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أو سؤال جميع الناس مؤمنهم وكافرهم وعاصيهم عن أعمالهم سواء إدعاء الأولين أن القرآن سحر أو شعر أم أعمال جميع الناس، والتي بلا شك يدخل فيها ما قاله هؤلاء عن القرآن الكريم، والذي يدل على العقوبة لمن أساء لأن السؤال يقتضي لازمه وهو العقوبة.

قال ابن عطية[2]: (ضمير عام ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه

---

(١) انظر: البحر المحيط، ج٥، ص٤٥٥؛ التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٤٥٦؛ التحرير والتنوير، ج١٤، ص٨٧؛ الكشاف، ج٢، ص٤٣٣؛ معالم التنزيل، ج٢، ص٥٩٨.

تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله والصحابة والتابعين؛ ج٢، ص١٦١٦؛ تحقيق: أسعد محمد الطيب؛ الناشر: مكتبة مصطفى نزار الباز-مكة المكرمة، الرياض-؛الطبعة الأولى ١٩٩٧م، تفسير المراغي، ج١٤، ص٤٧.

(٢) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي الغرناطي المالكي الإمام

وعصيانه، فالكافر يُسْأَل عن لا اله إلا الله وعن الرسل وعن كفره وقصده، والمؤمن العاصي يُسْأَل عن تضييعه، والإمام عن رعيته، وكل مكلف عما كلف به)[1].

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو تأكيد حدوث السؤال يوم القيامة وتحققه، وبالتالي الجزاء على الأعمال التي عملوها أو الأقوال التي قالوها سواء ما تجرأوا عليه من وصفهم القرآن الكريم بأنه سحر أو شعر، أو ما تجرأوا عليه من المعاصي والجرائم، وهذا مقتضى العدل الإلهي أن كل إنسان يجازى على ما عمل.

قال أبو السعود – رحمه الله–: (وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعي على أعمالهم التي ذكر بعضها)[2].

وقال ابن عاشور – رحمه الله–: (والمقصود بالقسم تأكيد الخبر وليس الرسول عليه الصلاة والسلام ممن يشك في صدق هذا الوعيد، ولكن التأكيد متسلط على ما في الخبر من تهديد معاد ضمير النصب في ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾)[3].

الحافظ الناقد المجود صاحب التفسير الكبير، كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله عالما بالرجال ذاكراً لمتونه ومعانيه، كان أديباً ولغوياً وشاعراً وفاضلاً، ولد سنة إحدى وأربعين وأربع مائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وخمسمائة. انظر الأعلام ج٣ ص٢٨٢

(١) أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٨، ص٣٥٧.؛ تحقيق : عبدالسلام عبدالشافي محمد؛ الناشر : دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م؛ الطبعة : الأولى

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٤، ص٣٦.

(٣) التحرير والتنوير، ج١٤، ص٨٧.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

أما المناسبة بين المقسم به وهو ربوبية الله تعالى المضافة إلى رسوله ﷺ تشريفاً له عليه الصلاة والسلام، والمقسم عليه وهو سؤال أولئك المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب هي: أنه لما كان ما قاله أولئك المقتسمون عن القرآن- أنه سحر أو شعر- جرماً واضحاً شنيعاً، وما يفعله الكفار عموماً من الكفر والشرك، وما يفعله العصاة من الاعتداء على حرمات الله تعالى أمراً منكراً يستحقون عليه جميعاً العقاب كل حسب جرمه وذنبه أقسم الله تعالى بربوبيته التي تقتضي أن لا يختار لعباده إلا ما ينفعهم وما يصلح شأنهم ويدبر إلى الصالح أمورهم في حياتهم الدنيا وبعد مماتهم على سؤالهم سؤالاً فيه تأنيب وتقريع لهم على ما أحدثوه من الذنب العظيم والمنكر الشنيع، وهذا يقتضي نتيجة السؤال وهو الجزاء على ما فعلوه والعقاب الذي يستحقونه جزاء ما اقترفوه، وهذا إثبات للبعث الذي أنكروه إذ البعث من خصائص الربوبية فهو من تدبير أمور الآخرة التي تقتضيها ربوبيته لجميع الخلائق.

قال ابن الجوزي[1] - رحمه الله -: (هذا سؤال توبيخ يسألون فيما أمروا به من التوحيد والإيمان فيقال لهم: لِمَ عصيتم وتركتم الإيمان فتظهر فضيحتهم عند تعذر الجواب)[2].

---

(1) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر شيخ الإسلام مفخرة العراق: الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن علي بن عبيدالله بن عبدالله بن محمد القرشي التيمي البغدادي، الواعظ صاحب التصانيف، ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة، حفظ الحديث وصنف في التفسير كتابه زاد المسير وهو مختصر المغني الكبير، وله كتاب الوجوه والنظائر وغيرها، توفي رحمه الله ليلة الجمعة بين العشاءين في الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر : سير أعلام النبلاء ج١٥ ص٤٥٥

(2) زاد المسير، ج٤، ص٤١٩.

وقال الرازي: (قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين؛ لأن عود الضمير إلى الأقرب أولى، ويكون التقدير أنه تعالى أقسم بنفسه أن يسأل هؤلاء المقتسمين عما كانوا يقولونه من اقتسام القرآن وعن سائر المعاصي ويحتمل أن يكون راجعاً إلى جميع المكلفين لأن ذكرهم قد تقدم في قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩]. أي لجميع الخلق، وقد تقدم ذكر المؤمنين وذكر الكافرين فيعود قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على الكل ولا معنى لقول من يقول أن السؤال إنما يكون عن الكفر أو عن الإيمان، بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال لأن اللفظ عام فيتناول الكل)[1].

وقال البقاعي – رحمه الله تعالى –: (﴿فَوَرَبِّكَ﴾: أي فتسبب عن فعلهم هذا أنا نقسم الموجد لك المدبر لأمرك المحسن إليك بإرسالك ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي هؤلاء وأولئك)[2].

وقال ابن عاشور – رحمه الله تعالى –: (ووصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ إيماء إلى أن في السؤال المقسم عليه حظاً من التنويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله عليه الصلاة والسلام والسؤال مستعمل في لازم معناه وهو عقاب المسئول كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فهو وعيد للفريقين)[3].

وبعد هذا الإنذارمن الله –عز وجل– اقسم الله تعالى بذاته العلية على وقوع الحساب على الأعمال فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي فوالله لنسألن جميع الكفار سؤال توبيخ وتأنيب لهم عن أقوالهم وأعمالهم وسيجازيهم عليها الجزاء

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٧، ص١٦٤.

(٢) نظم الدرر، ج٤، ص٢٣٧.

(٣) التحرير والتنوير، ج١٤، ص٨٧.

الأوفى على ما اقترفه من جرم عظيم، ففي قول المكذبين وزعمهم أن القرآن شعر وسحر ونحو ذلك مما قالوا فيه طعن في القرآن الكريم وفي رسول الله ﷺ المبلغ لهذا القرآن، فأقسم الله تعالى بربوبيته لرسوله ﷺ والربوبية تقتضي اختيار الأصلح للعباد وتقتضي الرعاية والتدبير والدفاع عن رسول الله ﷺ فرد الله جل وعلا عليهم بهذا القسم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دل التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة على تحقق عقاب اولئك القوم لان السؤال يقتضي وقوع لازمه وهو المحاسبة وجزاء كل بما عمل ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

الموضع الثالث: **قوله تعالى**: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: المحسن إليك بالانتقام منهم وإقسامه باسمه عزت أسماؤه مضافاً إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتحقيق الأمر بالإشعار بعليته وتفخيم شأنه عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته والفاء للتفريع[(١)].

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: الضمير إما أنه يعود على الكفرة والمشركين المنكرين للبعث وفي هذا تحقير لهم بأنهم يحشرون مع أحقر جنس وأفسده، وإما أنه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، والمعنى لنجمعن القائلين في المعاد بالسوق إلى المحشر بعدما أخر جناهم من الأرض أحياء والثاني أقرب[(٢)].

﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: الواو للعطف أو بمعنى يحشرون مع قرنائهم من الشياطين كل منهم مع قرينه في سلسلة للإشارة إلى أن الشياطين هم سبب ظلالهم الموجب لهم هذه الحالة، فحشرهم مع الشياطين إنذار لهم بأن مصيرهم هو مصير الشياطين وهو محقق عن الناس كلهم[(٣)].

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾: في جهنم وذلك إن حول الشيء يجوز أن يكون داخله تقول جلس القوم حول البيت إذا جلسوا داخله مطيفين به وقيل يجثون حولها قبل أن يدخلوها، وهذا إعداد للتقرب من العذاب، فهو إنذار على

---

(١) انظر: نظم الدرر، ج٤، ص٥٥١؛ زاد المسير، ج٥، ص٢٥٢؛ معالم التنزيل، ج٣، ص٩٨؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٢٥٢؛ التحرير والتنوير، ج٧، ص١٤٧.

(٢) انظر: معالم التنزيل، ج٣، ص٩٨؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٢٥٢؛ البحر المحيط، ج٦، ص١٩٥؛ التحرير والتنوير، ج٧، ص١٤٧.

(٣) انظر: معالم التنزيل، ج٣، ص٩٨؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٤، ص٢٥٢؛ البحر المحيط، ج٦، ص١٩٥؛ التحرير والتنوير، ج٧، ص١٤٧.

إنذار وتدرج في إلقاء الرعب في قلوبهم، وثم للترتيب الرتبي لا للمهلة إذ ليست المهلة مقصودة، وإنما المقصود أنهم ينقلون من حالة عذاب إلى أشد[1].

﴿جِثِيًّا﴾: الجثي جمع جاثي يعني القعود جمع جثوة، وهو المجموع من التراب والحجارة، قال ابن عباس: جماعات، وقال مجاهد والحسن[2] على الركب، وقال السدي[3]: قياماً على الركب لضيق المكان، ولما يدهمهم من هول المطلع وهذا الجثو هو غير جثو الناس في الحشر- المحكي بقوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٨]، فإن ذلك جثو خضوع لله وهذا الجثو حول جهنم جثو مذلة فهم مستوفزين تهيئوا للمبادرة إلى امتثال الأوامر[4].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى لمحمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾.

المقسم عليه: هو حشر هؤلاء المكذبين مع قرنائهم من الشياطين وإحضارهم حول جهنم جثيا.

---

(١) انظر: زاد المسير، ج٥، ص٢٥٢؛ معالم التنزيل، ج٣، ص٩٨.

(٢) هو السيد الإمام الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت الأنصاري الغني بشهرته عن تعريفه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً رأى عثمان وطلحة والكبار وروى عن عمران بن الحصين والمغيرة بن شعبة وغيرهم من الصحابة توفى سنة ١١٠ هـ. انظر: الأعلام ج٢ ص٢٦٦

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السدي أحد موالي قريش حدث عن أنس وابن عباس مات سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٢٣

(٤) انظر: جامع البيان، ج١٥، ص٥٨٧؛ زاد المسير، ج٥، ص٢٥٢؛ معالم التنزيل، ج٣، ص٩٨؛ البحر المحيط، ج٦، ص١٩٦؛ التحرير والتنوير، ج٧، ص١٤٧؛ نظم الدرر، ج٤، ص٥٥١.

أداة القسم: الواو في قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ﴾.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية:

أقسم الله تعالى بربوبيته المضافة لرسوله محمد ﷺ على إحضار أولئك المكذبين أو إحضار الناس جميعاً إلى جهنم، والغرض من هذا هو التأكيد على حساب أولئك وعلى معاقبتهم على أعمالهم التي اقترفوها، ودلالةً على تحقق البعث بعد الموت والحساب للجميع وعرضهم على النار ونجاة المؤمنين وخسران الكافرين؛ لأن هؤلاء الكافرين أنكروا ذلك وجحدوه، وكذلك الرد على أولئك الكفار الذين يعد ردهم لكلام النبي ﷺ استهزاء به، فهذا رد عليهم وتحقير لهم حيث وجه الخطاب في الآية إلى النبي ﷺ للدلالة على أنهم هم الخاسرون في هذا الأمر، وأن تكذيبهم جر عليهم الوبال والبوار، وهذا أيضاً متضمن الوعيد الشديد لهم على ما أقدموا عليه من إنكار البعث والتكذيب به.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية الكريمة:

لما كان أولئك الكفار يكذبوا بالبعث وينكرون الحساب والجزاء وقد ذكر الله قولهم في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم:٦٦]. وأن في هذا استهزاء منهم برسول الله ﷺ وتكذيب لما أخبر به من البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الأعمال أقسم الله تعالى بربوبيته التي تقتضي تربية الناس وتدبير شؤونهم الدينية والدنيوية وتصريف أمورهم في حياتهم الدنيا وفي حياتهم الآخرة، ومنها ما يتعلق بالبعث والثواب على الأعمال للمطيعين المؤمنين والعقاب للكافرين المكذبين، فيبعث هؤلاء الكفرة جميعاً وقرنائهم من الشياطين وحشرهم إلى جهنم في حالة الذل والانكسار وهم جاثين على ركبهم خاضعين لله يوم لا ينفعهم خضوعهم، وهذا يقابل حال تكبرهم وعنادهم في الدنيا وتكذيبهم لمحمد عليه الصلاة والسلام، فالله ربهم ومصرف أمورهم في الدنيا وخالقهم ورازقهم ومن بيده تدبير أمور السموات والأرض باعترافهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١]. وهو كذلك مدبر أمورهم في الآخرة، فهو الذي يبعثهم ويحشرهم إلى جهنم جميعاً لما كان الأمر كذلك أقسم الله تعالى على تحقق البعث تأكيداً لكلام الرسول ﷺ وانتصاراً له عليه الصلاة والسلام ورداً على المستهزئين به الكذبين لخبره وبيان عاقبتهم بعد ذلك وهو نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين، حيث قال الله تعالى بعدها: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢].

قال البقاعي: (ولما كان كلام الكافر صورته صورة الاستفهام وهو جحد في الحقيقة وإنكار، وكان إنكار المهدد لشيء يقتدر المهدد عليه المهدد سبباً لأن يحققه له مقسماً عليه قال تعالى مجيباً عن إنكاره مؤذناً بالغضب عليهم بالإعراض عنهم مخاطباً لنبيه ﷺ؛ تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ المحسن إليك بالانتقام منهم)[1].

وقال ابن عاشور: (وواو القسم لتحقيق الوعيد والقسم بالرب مضافاً إلى ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ إدماج لتشريف قدره وعطف الشياطين على ضمير المشركين لقصد تحقيرهم بأنهم يحشرون مع أحقر جنس وأفسده، وللإشارة إلى أن الشياطين هم سبب ظلالهم الموجب لهم هذه الحالة فحشرهم مع الشياطين إنذاراً لهم بأن مصيرهم هو مصير الشياطين، وهو محقق عند الناس كلهم، فلذلك عطف عليه جملة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ والضمير للجميع وهذا إعداد آخر للتقرب من العذاب، فهو إنذار على إنذار وتدرج في إلقاء الرعب في قلوبهم)[2].

قلت: ومما يمكن استنباطه من أوجه المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أنه لما كان في كلام الكفار استهزاء بالنبي ﷺ، وتكذيب له أقسم الله تعالى بربوبيته لرسوله - عليه الصلاة والسلام - تفخيماً لشأنه على تحقير وإذلال أولئك الكفار بحشرهم

---

(١) نظم الدرر، ج٤، ص٥٥١.

(٢) التحرير والتنوير، ج٧، ص١٤٦-١٤٧.

مع أسوأ الخلق وأفسدهم وهم الشياطين.

ومن هذه الأوجه أيضاً أن الله تعالى لما أنكر المشركون البعث أكد على إثباته بالقسم على إثبات لازمه، وهو الحشر فهو هنا تجاوز ما أنكروه إلى أمر يعد نتيجة من نتائجه، هو إحضارهم وحشرهم حول جهنم في حالة الذل والخضوع مما يعد مع البعث أمراً مفروغاً منه، فالكلام جاء على ما يحصل بعده باعتباره أمراً مسلماً والله أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية دلالة على الرد على منكري البعث والجزاء والحساب الذين تقدم ذكرهم في الايات السابقه واثبات الجزاء والعقاب لهم على انكارهم ووقوع الذلة والهوان عليهم جزاء ما اقترفوه من جرم عظيم

الموضع الرابع: **قوله تعالى**: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿فَوَرَبِّ﴾: أي مبدعها ومدبرها[١].

﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: بما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه للاستدلال بهما على حقيقة ما أخبر[٢].

﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾: اختلف العلماء في معاد الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ وفيه أربعة أقوال للعلماء:

الأول: أنه القرآن الكريم[٣]، وهو قول الطبري، والماوردي[٤]، وأبي حيان، والشوكاني[٥].

---

(١) نظم الدرر، ج٧، ص٢٧٧.

(٢) انظر: نظم الدرر، ج٧، ص٢٧٧؛ محاسن التأويل، ج٩، ص٣٧٣٤.

(٣) انظر: جامع البيان، ج٢١، ص٥٢٣؛ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري؛ (تفسير الماوردى) النكت والعيون؛ ج٥، ص٣٦٨؛ تحقيق : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم؛ الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -، البحر المحيط، ج٩، ص٥٥٢؛ فتح القدير، ج٤، ص٩٨.

(٤) الماوردي، علي بن محمد حبيب، أبو الحسن، أقضى قضاة عصره من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة،.ولد في البصرة، سنة٣٦٤هـ، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللاً أو يزيل خلافاً. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد سنة٤٥٠هـ. من كتبه " أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية والنكت والعيون ثلاثة مجلدات في تفسر القرآن، والحاوي في فقه الشافعية، نيف وعشرون جزءًا، وغير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٣١١

(٥) هو القاضي محمد بن علي بن عبدالله، الشوكاني ثم الصنعاني والإمام المجتهد، ناصر السنة، وقامع

الثاني: أنه أمر النبي ﷺ[1]، وقد ذكر هذا القول القاسمي[2].

الثالث: أنه ما ذُكِرَ في الآية السابقة من أمر الرزق وما وُعِدوا به[3]، وهو قول البغوي[4].

الرابع: أنه ما توعدهم به من الجزاء والبعث والنشور والخير والشر والجنة والنار، وهذا هو الراجح من الأقوال والله أعلم، وهو قول ابن كثير والبقاعي والقاسمي والشيخ السعدي وابن عاشور[5].

البدعة، وولد سنة ١١٧٣هـ في بلدة هجرة شوكان ونشأ بصنعاء فقرأ القرآن وأخذ يطلب العلم وسمع من العلماء الأعلام وحفظ كثيراً من متون النحو والصرف والبلاغة والأصول وآداب البحث والمناظرة حتى صار إماماً يشار إليه بالبنان، له مؤلفات عديدة في شتى الفنون منها: تفسيره فتح القدير، وشرحه وهو خير من كتب في الحديث على أبواب الفقه، وكتابه في الأصول: إرشاد الفحول، وفتاواه المسماة بـ الفتح الرباني، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام ج٦ ص٢٩٨

(١) محاسن التأويل، ج٩، ص٣٧٣٤.

(٢) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل القاسمي الدمشقي، من سلالة الحسين بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ إمام الشام في عصره علماً بالدين وتضلعاً من فنون الأدب، ولد سنة ١٢٨٣هـ بدمشق ودرس فيها وكان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، انقطع بعد رحلاته في العلم والتعليم، تعرض لمحنة سجن فيها ثم أخلي سبيله فانقطع للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، ونشر بحوثاً كثيرة في مختلف المجلات، توفي رحمه الله في دمشق سنة ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام ج٢ ص١٣٥

(٣) معالم التنزيل، ج٤، ص٢٣١.

(٤) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، العلامة الفقيه الشافعي، كان إماماً في التفسير والحديث له التصانيف المفيدة، ومنها معالم التنزيل، ومنها مصابيح السنة وغيرها، توفي بمرو الروذ سنة ٥١٦هـ. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛، ج١، ص٤٠٢؛ تحقيق : إحسان عباس؛ الناشر : دار صادر – بيروت؛ شذرات الذهب، ج٤، ص٤٨-٤٩.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣٥؛ محاسن التأويل، ج١٥، ص١٩٨، عبدالرحمن بن ناصر

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: نطقاً مجدداً في كل وقت مستمراً ليس هو بخيال ولا سحر[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: ربوبية الله تعالى المضافة إلى السماء والأرض.

المقسم عليه: إثبات حقيقة معاد الضمير، وهو على القول الراجح البعث والجزاء والحساب وتحققه مثل تحقق نطق كل آدمي، فكما أن ذلك حق فهذا أيضاً حق.

أداة القسم: الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة: هو التأكيد على المعاد والبعث والجزاء الذي كذب به أولئك الكفار، وأقسم الله تعالى عليه مرتين في أول السورة

قال الهرري الشافعي[2]، عند ذكره إعراب الآية: (و﴿مَآ﴾ زائدة، وجملة ﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ في تأويل مصدر مجرور بإضافة ﴿مِّثْلَ﴾ إليه أي: إن ما توعدون لحق حال كونه مثل نطقكم أي: كما أنه لا شك لكم في نطقكم ينبغي أن لا تشكوا في حقيقة ما توعدون، أو على أنه صفة لمصدر محذوف أي: إنه لحق حقاً مثل نطقكم

السعدي؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٧٥٢؛ اعتنى به سعد بن فواز الصميل؛ الناشر : دار ابن الجوزي، التحرير والتنوير، ج٢٦، ص٣٥٥؛ نظم الدرر، ج٧، ص٢٧٧.

(١) نظم الدرر، ج٧، ص٢٧٧.

(٢) الشيخ العلامة الشافعي، محمد الأمين بن عبدالله الأُرمي العلوي الهرري، المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة.

فإنه لتوغله في الإبهام لا يتعرف بإضافته إلى المعرفة)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

في هذه الآية الكريمة تناسب بين المقسم به والمقسم عليه ووجه المناسبة هو: أنه لما كان أولئك الكفار مكذبون بالبعث، وقد أقسم الله عليه أولاً في بداية السورة وسار السياق كاملاً على التأكيد عليه وعلى موقف المشركين المنكرين له، ولما كانت الربوبية تقتضي تربية الناس وإصلاح شؤونهم وتدبير أمورهم إلى ما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم، ولما كان من أعظم ما تستقيم به أمور حياتهم وتصلح به أمورهم الإيمان بالبعث والجزاء والحساب لما كان الأمر كذلك أقسم الله تعالى بربوبيته للسماء والأرض على ثبوته وحقيقته وأنه صدق لا مرية فيه، وكذلك لما في الإقسام بربوبيته تعالى للسماء والأرض من تسيير الأمور وتقليب الأحوال والموت والحياة، ولما فيهما من عظم الخلقة وهوان ما سواهما، ففي هذا كله دليل على صدق ما يوعدون من البعث والجزاء، ولذا مهد للقسم بهما بذكر شيء من الآيات الدالة على قدرته وعظمته في والأرض السماء والأنفس[2].

وقد ترقى القسم هنا من الأدنى إلى الأعلى، حيث أقسم أولاً بالذاريات وما تبع ذلك من الأمور الأرضية والعلوية، ثم في الثاني جاء بالقسم بالسماء ذات الحبك، ثم ترقى به هنا إلى القسم برب السماء والأرض سبحانه وتعالى، وكل هذه الأقسام على إثبات حقيقة واحدة وهي البعث والجزاء والحساب، ومما يؤكد أن الإقسام بالسماء والأرض دليل على البعث ما جاء في آيات القرآن الكريم، مما يدل على ذلك مثل قول الله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧].

---

(١) محمد الأمين بن عبدالله الأرمي الهرري الشافعي؛ حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج٢٧، ص٥١٨؛ الناشر: دار طوق النجاة

(٢) إمعان في أقسام القرآن، ص٨٧.

ومثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١].

قال ابن القيم رحمه الله: (ثم أقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجل مقسم عليه وأكّد الإخبار بهذا القسم، ثم أكّد بتشبيهه بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣])[1].

وقال أيضاً: (وههنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الرب تعالى شهد بصحة ما أخبر به وهو أصدق الصادقين، وأقسم عليه وهو أبر المقسمين، وأكّده بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه...)[2].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه هنا ترد على منكري البعث باقوى رد حيث اكدت على حقيقته وانه لا شك فيه كما ان الناطق لا يشك في نطقه فجاء الرد عليهم كما دلت ايضا على مشروعية مخاطبة كل بما يناسبه فلما كان القسم ابتداء اقسم لهم بالذاريات ذروا والحاملات وقرا والجاريات يسرا والمقسمات امرا وهي من اياته العظيمة ولما لم يقتنعوا اقسم بالسماء وهي اعظم مما سبقها من الايات فلما كان انكارهم مستمرا اقسم لهم على ثبوت البعث بما لا يستطيعون انكاره وهو مسواة حقيقته وثبوته بحقيقة نطقهم وثبوتها لهم فلاعتداء على خصائص الربوبيةوانكار

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٢٢.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٢٣.

شيء منها اعظم جرم وشنعه وقد فعلوا وانكروا البعث فكان التاكيد على ثبوته بهذه القوة والجزم

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج:٤٠-٤١].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: الفاء استئنافية ولا صلة من حيث الإعراب مزيدة مؤكدة من حيث المعنى، والمعنى فأقسم برب المشارق والمغارب[١].

﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: أي مشارق الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل يوم من أيام السنة[٢].

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: أي على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء[٣].

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: وما نحن بمغلوبين ولا عاجزين إن أردنا ذلك، بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر، ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر، فهو -

عز وجل - لا يسبقه شيء إلى ما يريد[٤].

---

(١) انظر: فتح القدير، ج٤، ص١٠٨٦، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن؛ ج٢٣، ص٢٨٢؛ تحقيق : أحمد محمد شاكر؛ الناشر : مؤسسة الرسالة؛الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، سليمان بن إبراهيم اللاحم؛ تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن، ج٢، ص٤٢٣؛ الناشر دار العاصمة للنشر والتوزيع؛ الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

(٢) انظر: فتح القدير، ج٤، ص١٠٨٦؛ جامع البيان، ج٢٣، ص٢٨٢؛ تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن، ج٢، ص٤٢٣.

(٣) انظر: فتح القدير، ج٤، ص١٠٨٦؛ جامع البيان، ج٢٣، ص٢٨٢؛ تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن، ج٢، ص٤٢٣.

(٤) انظر: البحر المحيط، ج٨، ص٣٣٠؛ فتح القدير، ج٤، ص١٠٨٦؛ جامع البيان، ج٢٣، ص٢٨٢؛

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى للمشارق والمغارب قال ابن القيم رحمه-الله-: (أقسم سبحانه برب المشارق والمغارب وهي إما مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، وإن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب، فلذلك جمع في موضع وأفرد في موضع وثنى في موضع آخر)[1].

المقسم عليه: قدرة الله تعالى على تبديل أولئك الكفار المكذبون وبعثهم مرة أخرى من قبورهم.

أداة القسم: هي الباء.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إثبات قدرة الله تعالى

على البعث واستبدال المكذبين بقوم أفضل منهم استجابة وأسرع منهم سيراً إلى الخير، وفي هذا أيضاً وعيد شديد لهم إن لم يتوبوا عما هم فيه من التكذيب بالهلاك والاستبدال بمن هم خير منهم عملاً واستجابة.

قال الشافعي الهرري: (ثم توعدهم بأنهم إذن لم يثوبوا إلى رشدهم أهلكوا واستبدل بهم قوماً غيرهم خيراً منهم)[2].

تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن، ج٢، ص٤٢٣.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص٢٨٨.

(٢) حدائق الروح والريحان، ج٣٠، ص٢٢٣.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما كانت الربوبية تقتضي إصلاح الأمور وتدبيرها وربوبية الله تعالى للمشارق والمغارب وما بينهما تبع لهما، فاقتضى هذا تدبيره للعالم كله أقسم الله تعالى بربوبيته للمشارق والمغارب على قدرته على تبديله هؤلاء المشركين بخير منهم وأصلح وإنشائهم مرة أخرى ببعثهم من قبورهم.

ولما كان هو رب المشارق والتي هي مكان بدء ظهور الشمس والقمر وما يظهر منها من الكواكب، ورب المغارب التي هي محل غروبها فالمشارق محل بدء والمغارب محل انتهاء أقسم الله تعالى بهما لكون ما بينهما هو محل بدء حياة الإنسان وانتهائها، فكما أن الشمس تبدأ وتنتهي وتعود مرة أخرى، فالإنسان يبدأ وينتهي ويبعث مرة أخرى، وفي هذا أيضاً بيان لسهولة ذلك وأن قدرة الله تعالى على البعث كقدرته على تسيير هذه الكواكب والنجوم والشمس والقمر من مشارقها إلى مغاربها وبدئها وإنهائها، فالله تعالى بقسمه هذا يلفت انتباه هؤلاء إلى أمر محسوس يدل على قدرة الله تعالى على البعث مؤكداً لهم ذلك بالقسم بربوبيته لما يرونه كل يوم ويشاهدونه بأعينهم ولا يشكون فيه، وهو مكان شروق الشمس والقمر والكواكب والنجوم ومكان غروبها.

قال أبو حيان: (أقسم بمخلوقاته على إيجاب قدرته)[1].

وقال ابن القيم – رحمه الله –: (.... وأما سورة {سأل سائل}، فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكمالها وصحة تعلقها بإعادتهم بعد العدم، فذكر المشارق والمغارب بلفظ الجمع إذ هو أدل على المقسم عليه سواء أريد مشارق النجوم ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب، فكل

---

(1) البحر المحيط، ج٨، ص٣٣٠.

آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون، فيأتي بهم في نشأة أخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع ويذهب بها في مغرب..... وفي ربوبيته سبحانه للمشارق والمغارب تنبيه على ربوبيته السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم

وربوبيته ما بين الجهتين وربوبيته الليل والنهار وما تضمناه...)[1].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية على سعة علم الله واحاطته وقدرته على اهلاك المعاندين في كل زمان ومكان فلا احد يخرج عما بين مشارق الارض ومغاربها فهو تحت القدرة الالهية للباري سبحانه وتعالى

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص١٩١-١٩٢.

۞ المطلب الثالث: القسم بالله تعالى على لسان رسوله ﷺ والتناسب بينه وبين المقسم عليه:

جاء الإقسام بالله تعالى (لفظ الجلالة) في موضعين هما:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾: أي ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد[١].

﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي أحق ما تقول وتعدنا به من العذاب أو الشر أو القرآن والنبوة والشرائع أو أمر الساعة أو الوعيد والاستفهام منهم على جهة الاستهزاء والإنكار، وقدم المبتدأ للاهتمام به[٢]. قلت: والأول أولى لأنه أقرب مذكور في السياق: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٥٠] إلى أن وصل إلى هذه الآية والضمير يعود على أقرب مذكور والله أعلم.

﴿قُلْ﴾: أي لهم غير ملتفت إلى استهزائهم مغضياً عما قصدوا وبانياً للأمر على أساس الحكمة[٣].

﴿إِى﴾: أي نعم وربي و(أي) تستعمل في القسم خاصة، ولذلك يوصل بالواو بهاء السكت.

أيضاً فيقولون (أيوه) وهذه اللفظة شائعة اليوم في لسان المصريين وأهل ذلك

---

(١) انظر: جامع البيان، ج١٢، ص١٩١؛ البحر المحيط، ج٥، ص١٦٦؛ روح المعاني، ج١١، ص١٧٦.

(٢) انظر: جامع البيان، ج١٢، ص١٩١؛ مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٢٦٤؛ البحر المحيط، ج٥، ص١٦٦؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٣، ص٢٥٠؛ روح المعاني، ج١١، ص١٧٦.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٣، ص٢٥٠.

الصقع[1]. قلت: بل هي شائعة اليوم عند أكثر العرب.

﴿وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾: الضمير يعود على العذاب الموعود أي أن حصوله لثابت البتة لا شك فيه هو هنا يؤكد الجواب بأتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكاره موقوتة[2].

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: فآيتين العذاب المسئول عنه والمعنى وما أنتم بمعجزي الله إذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع، بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه، وهذا زيادة في التحقيق والتقرير لما سبق والمقصود بيان عجزهم عن الخلاص والغرض منه التنبيه على أن أحداً لا يجوز أن يمانع ربه ويدافعه عما أراد وقضى[3].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

المقسم: هو الرسول ﷺ.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى المضافة إلى ضمير المتكلم والعائد على النبي ﷺ في قوله تعالى: (**قُلۡ**): أي يا محمد.

المقسم عليه: هو إثبات حقيقة البعث وحصوله وحصول الجزاء لهم وأنه لامناص لهم منه.

أداة القسم: الواو

---

(1) انظر: البحر المحيط، ج٥، ص١٦٧؛ روح المعاني، ج١١، ص١٧٦.

(2) انظر: جامع البيان، ج١٢، ص١٩١؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٣، ص٢٥٠؛ روح المعاني، ج١١، ص١٧٦.

(3) انظر: البحر المحيط، ج٥، ص١٦٧؛ جامع البيان، ج١٢، ص١٩١؛ مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٢٦٤؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٣، ص٢٥٠؛ روح المعاني، ج١١، ص١٧٦.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إثبات البعث والحساب والجزاء وأنه حق لا جدال فيه ولا شك، وقد أثبت ذلك القرآن في هذه الآية بطريقة عجيبة تدل على إعجازه وعظمة منزله على محمد ﷺ، فقد استخدم القرآن ما وقر في نفوس المشركين منذ القدم اتفاقهم على صدق محمد ﷺ وأمانته والتي لم تتغير عندهم حتى مع إنكارهم لأمر الرسالة إلا أنهم حين يرونه يؤكد أمراً، فإنهم يعودون إلى ما عهد عنه من الأمانة والصدق قال الخطيب الشربيني[1] - رحمه الله -: (فإن قيل كيف يفيد القسم في إخباره عن البعث وهم قد أنكروا الرسالة؟ أجيب: بأنهم أنكروا الرسالة، لكنهم يعتقدون أنه يعتقد في ربه اعتقاداً جازماً، فيعلمون أنه لا يقدم على القسم بربه الأوان يكون الأخبار عنده صدقاً أظهر من الشمس)[2].

ومن فائدة القسم هنا ما ذكره الرازي عند تفسير الآية حيث قال: (ثم أنه تعالى أمرهم أن يجيبهم بقوله: ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ والفائدة فيه أمور:

أحدها: أن يستميلهم ويتكلم معهم بالكلام المعتاد ومن الظاهر أن من أخبر بشيء وأكده القسم، فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد.

وثانيها: أن الناس طبقات، فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الاقناعية نحو القسم فإن الأعرابي الذي جاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وسأل عن نبوته ورسالته

---

(١) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها السراج المنير أربعة مجلدات، في تفسير القرآن، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع مجلدان، وشرح شواهد القطر، ومغني المحتاج أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبين للنووي، فقه، و تقريرات على المطول في البلاغة، ومناسك الحج توفي سنة٩٧٧هـ. انظر: الأعلام ج٦ ص٦

(٢) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين؛ السراج المنير، ج٤، ص٣٠٣؛ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

اكتفى في تحقيق ذلك بالقسم، فهكذا هنا).[1]

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به وهو ربوبية الله تعالى المضافة إلى نبيه محمد ﷺ والمقسم عليه وهو إثبات حقيقة البعث التي لا شك فيها وإثبات ما يترتب عليه من الجزاء وأنه لا مناص لأحد من المشركين منه هي: أنه لما كانت الربوبية تقتضي تدبير الأمور وإصلاح الأحوال وإضافتها إلى النبي ﷺ إضافةً فيها تلطف به عليه الصلاة والسلام، ولما كان النبي ﷺ محل ثقة عند الكفار من قبل إرساله إليهم وحتى بعد الرسالة، ولما كان في تذكيرهم بما يعرفونه عنه من الأمانة والصدق من إلزام لهم بقبول ما يقوله وتصديقه فيما يؤكده لما كان الأمر كذلك أمره الله أن يجيبهم عن سؤالهم الذي سألوه استهزاءً وإنكاراً للبعث ومتعلقاته ونتائجه بإجابة هم يعرفون صدقه فيها مسبقاً لما يعلمون من يقينه بربه جلّ وعلا وعلمهم بما تدل عليه كلمة ﴿وَرَبِّي﴾ الذي اعتنى بي ورباني، والتربية هي ما يوليه المربي لمرباه من العناية الشاملة والحب والرحمة، وهذا الشعور الحي النابض هو الذي يجعل القسم بالغاً غاية التأكيد؛ لأنه مع مثل هذا الاستحضار لا يتصور أن يتزايد صاحبه على ربه جلّ وعلا أو يكذب عليه، لما في قلبه من مهابته والإيمان به، فهو عليه الصلاة والسلام بهذا (يعرف ربوبيته فلا يقسم به حانثاً، ولا يقسم به إلا في جد ويقين)[2]، فلا يقسم به إلا على صدق وحق ظاهر، فأمره أن يقسم لهم بربوبيته له عليه الصلاة والسلام على إثبات حقيقة البعث، وأنه حق لا شك فيه ولا جدال، فكان هذا القسم تأكيداً على الرسالة كلها، وليس على البعث والحساب فقط، وكذلك فإن المقسم به وهو الربوبية المضافة إلى ضمير المتكلم وهو النبي ﷺ مناسباً للمقسم عليه، وهو إثبات البعث الذي هو من أنواع التدبير وتصريف الأحوال الأخروية،

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٦، ص٢٦٤.

(٢) في ظلال القرآن، ج٤، ص١٧١.

وهذا من خصائص الربوبية، وهذا تأكيد بالغ الغاية في القوة، ولم يقتصر السياق القرآني على هذا المؤكد، بل أردفه مؤكداً آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ إمعاناً في ضرب إقفال قلوبهم التي أغلقوها عن قبول الحق، بل وقابلوه بالاستهزاء والسخرية، فتوعدهم تعالى على لسان رسوله بالعذاب الذي يستلزمه فعلهم السيئ، وقدرة الله على مجازاتهم وعقابهم، وفي هذا أيضا تلطف بالنبي ﷺ إذ أمره أن يقسم بربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام لإشعاره بقربه منه وتأييده له، وهذا جار على ما عهد من القرآن الكريم حين يجيء القسم فيه مصحوباً بوعيد للكافرين، ويكون خطابه موجهاً إلى النبي ﷺ، ومن زيادة التأكيد على المقسم عليه، وهو إثبات البعث والجزاء والحساب أن الله جلّ وعلا ذكر المقسم به صراحةً مع إمكان الاستغناء عنه، فقد أقسم النبي ﷺ على ثبوته جواباً لسؤال الكافرين بما يدل دلالة واضحة على المقسم به، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِي وَرَبِّيٓ﴾ إذ التقدير لو لم يظهر في الآية ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، ولكن إمعاناً في التأكيد وزيادةً في الدلالة على ثبوته ذكر الله المقسم عليه في الآية فقال تعالى على لسان رسوله: ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وزاد في التأكيد عليه وجود إن وكذلك اللام، فكان توكيداً على توكيد على توكيد[1]، والله تعالى أعلم.

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على الوعيد الشديد والتهديد لمنكري للبعث فإن الاقسام هنا على انه حق كما انهم يعلمون ان الله تعالى حق ويقرون بانه الرب الخالق الرازق وينكرون تفردهب العبادة فان من خصائص ربوبيته البعث والجزاء والحساب والعقاب لمن انكر وحدانيته كما ان الثواب لمن اثبتها وعمل بما تقتضيه

---

(١) البحر المحيط، ج٥، ص١٦٧.

الموضع الثاني: **قوله تعالى**: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ [سبأ:٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾: أي أي جنس الكفرة و منكرو البعث عموما، أو كفار مكة على الخصوص، فقد ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من براهينها الظاهرة[١].

﴿لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة وإدعاء بأن الإخبار عنها باطل[٢].

﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾: أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى أن الأمر ليس إلا إتيانها[٣].

﴿وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾: ثم أعيد إيجابه مؤكداً بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله – عز وجل، ثم أمد التوكيد القسمي بما تبع المقسم به من الوصف ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾.

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: قرأ حمزة[٤]، والكسائي[٥]، {علاّم} بصيغة المبالغة،

---

(١) انظر: نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢، فتح القدير ج٤ ص٥٣٧

(٢) انظر: نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢؛ فتح القدير ج٤ ص٥٣٧،

(٣) عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بـ(تفسير النسفي)، ص٩٥٦؛ اعتنى به عبدالحميد طعمة الحلبي؛ الناشر: دار المعرفة –بيروت– لبنان؛ الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

(٤) أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، مولى عكرمة بن ربيع التيمي كان ورعاً، عالماً بكتاب الله مجوداً له عارفا بالفرائض والعربية، توفي بحلوان سنة ١٥٦هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ج٦ ص٥٢٩

(٥) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، النحوي، لقب بالكسائي لأنه كان في الإحرام لابساً كساء، قيل عنه: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم بالغريب، وكان أوحد الناس بالقرآن فكانوا يكثرون عليه حتى يضطر أن يجلس على الكرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون ويضبطون عنه،

كما هو أليق بالموضع[1].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: لا يغيب ويبعد يقال عزب يعزب إذا غاب وبعد[2].

﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: هي نملة حمراء صغيرة جداً صارت مثلا في أقل القليل، فهي كناية عنه والمعنى مقدار أصغر نملة[3].

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: هذا بيان لعلمه بأمور السماء والأرض وأكّد النفي بتكرير لا في السموات إشارة إلى علمه بالأرواح والأرض إلى علمه بالأشياء[4].

﴿وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾: أقل من الذرة أو أكبر منها، وهذا إشارة إلى أنّ ذكر مثقال الذرة ليس للتحديد، بل الأصغر منه لا يعزب[5].

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: إلا في اللوح المحفوظ، فهو مبين لا يغيب عنه ولا ينسى مكانه فيصعب عليه استخراجه[6].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية:

أركان القسم في هذه الآية الكريمة هي:

المقسم: هو النبي ﷺ.

توفي سنة ١٨٩هـ. انظر : سير أعلام النبلاء ج٧ ص٥٥٣

(١) نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢.

(٢) انظر: تفسير النسفي، ص٩٥٦؛ نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢، معالم التنزيل؛ ج٣ ص٥٩٣.

(٣) انظر: تفسير النسفي، ص٩٥٦؛ نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٩٢؛ البحر المحيط، ج٧، ص٢٤٩؛ نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢

(٥) مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٩٢.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٩٢؛ تفسير النسفي، ص٩٥٦؛ نظم الدرر، ج٦، ص١٥٢.

المقسم به: هو ربوبية الله تعالى المضافة إلى ياء المتكلم الدالة على النبي ﷺ.

المقسم عليه: هو إتيان الساعة وتحقق مجيئها.

أداة القسم: الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو الرد على المنكرين للبعث ومجيء الساعة المكذبين للنبي ﷺ الذين بادروا بنفي مجيء الساعة وأنها لا تأتيهم، فأمر الله تعالى نبيه أن يرد عليهم ببيان ثبوتها بقوله بلى إلا يكتفي بإثبات مجرد زاد من تأكيد مجيئها بالقسم بربوبية الله تعالى له، ثم أكد ذلك بلام التوكيد، ثم بنون التوكيد الثقيلة، وأكد ذلك أيضاً بذكر إحاطة علمه جلّ وعلا بجميع ما في السموات والأرض دقيقة وجليلة صغيرة وكبيرة، ومما يؤكد ذلك أيضاً كونه في كتاب واضح بين لا ينسى ولا يغيب عن رب العزة جلّ وعلا، وقد جاء الرد هنا انتصاراً من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ، بل جعل الله تعالى الرد على لسانه ليكون أبلغ في رد تكذيبهم لخبره ﷺ عن الساعة وليكون أشد في النكاية بهم يوم القيامة حينما يعاينون ما اخبرهم به، بل وأقسم عليه لهم ليؤمنوا، فيكون ذلك زيادة في الحسرة عليهم عندما يقول أحدهم: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧]، وقد شدد الله تعالى في الرد عليهم بأمر النبي ﷺ أن يقسم لهم بربوبيته المضافة إلى ضمير المتكلم لأنهم يؤمنون بالله ويعتقدون وجوده، فلم يقسم لهم بما يعتقدونه حقيقة، ولكن أقسم لهم بما يعتقده هو، وذلك هو ربوبيته للنبي ﷺ ليكون الرد بهذا أكد وأشد قال أبو حيان: (وجاء القسم بقوله ﴿وَرَبِّي﴾ مضافاً إلى الرسول ليدل على شدة القسم إذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة، وهو لفظ الله)[1].

---

(١) البحر المحيط، ج٧، ص٢٤٨.

وقال الرازي: (اخبر بإتيانها وأكده باليمين)[1].

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية:

المناسبة بين المقسم به وهي ربوبيته تعالى المضافة إلى ضمير المتكلم الدال على النبي ﷺ هي: أنه لما أنكر المشركون مجيء الساعة على نحو يعد - إضافة لأي تكذيب النبي ﷺ - استهزاء وسخرية واجتراء على أمر عظيم، ولما كان أمر الساعة وتصريفها والعلم بمجيئها من خصائص الربوبية، ولما كان ما أقدموا عليه من الإنكار يحتاج إلى رد عاجل شديد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد بإثبات مجيئها بلفظ ﴿بَلَىٰ﴾ ثم يتبعه بالقسم على ذلك بربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام تأكيداً على إثباته لمجيء الساعة الذي أنكروه.

فالرب هو المصرف المدبر الباعث الوارث والساعة مما يصرفه ويدبره وهم ينكرون الساعة وتصريفها ومجيئها، فاحتاج الأمر إلى قوة رد وردع شديدين فأمر الله نبيه بأن يقسم بربوبيته له على ثبوتها.

ومن أوجه المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه أن المقسم به هنا وهو ربوبية الله تعالى لرسوله ﷺ قد تعددت صفاته في الآية الكريمة والمنكرون للساعة قد تعددت مواقف كفرهم التي أشير إليها في أكثر من موطن في آيات السورة الكريمة، ومنها أنه تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقسم بربوبيته على إثبات ما أنكروه تسجيلاً للمفارقة بينهم وبينه، فهو يؤمن بالله تعالى وهو يعتقد كمال ربوبيته ومقتضياتها وهم ينكرون بعض مقتضياتها وهو مجيء الساعة وقيامها، وكذلك فإن الأوصاف التي ذكرت هنا تدل على كمال القدرة على جمع الأجزاء المتفرقة لكمال الإحاطة بجميع ما في السموات وما في الأرض صغيرةً وكبيرةً دقةً وجلة، ومن ذلك جمع الأجساد التي ماتت وتفرقت عند قيام الساعة وهم ينكرون ذلك، وبما أن القدرة على هذا الجمع

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢٥، ص١٩٢.

والإحاطة الكاملة به من خصائص الربوبية أمر الله تعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يقسم بها على مجيء الساعة وجمعهم لها، وكذلك في القسم بالربوبية، ثم وصف الرب المقسم به بهذه الأوصاف دليل على ثبوت المقسم عليه، حيث أن هذه الأوصاف دليل على قدرة المقسم به على جمع هذه الأجزاء، وذلك يكون يوم القيامة، فهذا إثبات لمجيء الساعة الذي أنكروه.

قال الزمخشري: بعد أن تحدث عن بعض هذه المعاني: (فإن قلت: هل للوصف الذي وصف به المقسم به، وجه اختصاص بهذا المعنى؟(يقصدوصفه جلّ وعلا بأنه: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾

قلت: نعم، وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعةً إلى القلب إذا قيل عالم الغيب، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة، ثم وصف بما يرجع إلى عالم الغيب وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحت إحاطته بوقت قيام الساعة، فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئاً واضحاً)[1].

قال الهرري الشافعي: (ثم بعد أن أكد الجواب بالقسم على البعث أتبع القسم بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ...﴾ وما بعده ليعلم أن إتيانها من الغيب الذي تفرد الله به سبحانه وتعالى وجاء القسم بقوله: ﴿وَرَبِّي﴾مضافاً إلى الرسول ليدل على شدة القسم إذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة وهو لفظ الله)[2].

وكذلك مجيء المقسم به الموصوف بهذه الأوصاف بعد المقسم عليه وإثباته وتأخر الأوصاف دليل على قرب حصول المقسم عليه وليس تحققه فقط، وهو

---

(1) الكشاف، ج٣، ص٢٧٩.

(2) حدائق الروح والريحان، ج٢٣، ص١٨٥.

مناسب أيضاً للحال والمقام، فحال الكفار الإنكار والمقام مقام رد وردع وكلما كان الرد أسرع وأقوى كان أبلغ وأشد والأوصاف المذكورة التي أتت تباعاً تعتبر مؤكدات أخرى تقوي ما سبق من القسم وتعضده مع كفاية القسم في الإثبات، ووقوع المقسم عليه بين المقسم به وأوصافه دليل على أن المقسم عليه من خصائصه التي يدبرها ويصرفها كيف يشاء وأنها داخلة في علمه وإحاطته، فالمقسم عليه هنا واقع موقع الجملة الاعتراضية وهو موقع يفيد الاحتفاء والاهتمام وربط المتقدم عليه بالمتأخر عنه، فكونه رد على الكفار بهذه الشدة والقوة يثير انتباههم إليه ويدفعهم إلى الاهتمام به، كما أنه يتضمن الوعيد على إنكارهم بالعقاب والجزاء والله أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه تنبيه على ان الساعة مما اختص الله بعلمه فلم يطلع عليه احد من خلقه وانها قرية المجيء ليستعد لها كل احد بالايمان والعمل الذي ينجي عند مجيئها

الموضع الثالث: **قوله تعالى**: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿زَعَمَ﴾: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، وهو إدعاء للعلم، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به (كان ابن عمر يقول: زعموا كناية عن الكذب وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان)[١].

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: المشركون من أهل مكة ومن على دينهم[٢].

﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾: لن جيء بها لتأكيد النفي فهم موقنون بانتفاء البعث[٣].

﴿قُلْ﴾: يا محمد رداً لهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه[٤].

﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لإبطال خاص بجواب الكلام المنفي لإبطاله أي تبعثون، فإن بلي لإيجاب النفي الذي قبله[٥].

﴿وَرَبِّي﴾: هذا قسم على لسان الرسول ﷺ أي أقسمت لكم بربي ومالك أمري[٦].

﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾: **أي** من قبوركم وهذا جواب القسم السابق[٧].

---

(١) انظر: زاد المسير، ج٨، ص٢٨٢؛ مفردات ألفاظ القرآن، ص٢٣٠؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧١؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧١؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٤) حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧١؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٦) حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٧) محاسن التأويل، ج٩، ص٣٩١٧.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾: ثم للتراخي الرتبي والإنباء هو الإخبار[1].

﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾: لأن إنباءهم بما عملوا أهم من إثبات البعث إذ هو العلة للبعث والإنباء الإخبار، وإنباؤهم بما عملوا كناية عن محاسبتهم عليه، فإن الجزاء يستلزم علم المجازى بعمله الذي جوزي عليه، فكان حصول الجزاء بمنزلة إخباره بما عمله كقوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ [لقمان:٢٣]، وهذا تهديد ووعيد بجزاء سيء لأن المقام دليل على أن عملهم سيء، وهو تكذيب الرسول ﷺ وإنكار ما دعاهم إليه[2].

﴿وَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى البعث، وإما إلى معنى المذكور من مجموع ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[3].

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي هين لقبول المادة وثبوت القدرة، وهذا رد

على إحالتهم البعث بعلة أن أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها، فذكروا بأن العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧][4].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية الكريمة هي:

المقسم: هو النبي ﷺ.

المقسم به: هي ربوبية الله تعالى المضافة إلى ياء المتكلم الدالة على النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧١؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٢) التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧٢.

(٣) التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧٢.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٧٢؛ محاسن التأويل، ج٩، ص٣٩١٧.

المقسم عليه: هو ثبوت البعث وأنهم ينبئون بما عملوا، وأن ذلك على الله يسير.

أداة القسم: الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إثبات البعث والتأكيد على حصوله ونفي مزاعم الكافرين بأنه لا بعث ولا حساب حيث ذكر الله عنهم ذلك في ايات اخرى منها قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٧].

وكذلك ما صدر عنهم في هذه الآية مما سماه الله زعماً، فجاء الرد المباشر بالإثبات ببلى المصحوب بالقسم المؤكد لهذه الحقيقة المستقرة عند النبي ﷺ، بل ويؤكد وقوع البعث بتأكيد ما يحصل بعده، وهو إنباؤهم بما عملوا لمحاسبتهم عليه ومجازاتهم بما يستحقون عليه، ثم أردف بتأكيد آخر، وهو بيان يسر ذلك الأمر على الله تعالى وسهولته، فبما أنه في غاية اليسر فهو حق ثابت لا مرية فيه ولا يصدق عليه شيء من مزاعمهم التي قالوها عن البعث.

قال الهرري الشافعي: (ولعل فائدة الإخبار بالقسم مع أن المشركين ينكرون الرسالة، كما ينكرون البعث إبطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الإنصاف، وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروماً بالكلية[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

أما المناسبة بين المقسم به وهو ربوبية الله تعالى لرسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّي﴾، والمقسم عليه وهو ثبوت البعث والجزاء للناس على ما عملوا المذكور في

---

(١) حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

قوله تعالى: ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ هي: لما كان الكفار يزعمون أنهم لن يبعثوا، ولما كان الزعم في حد ذاته يتضمن تكذيب زعمهم، ويتضمن الإشعار بصدق ما أخبر به النبي ﷺ من البعث والحساب على الأعمال والجزاء عليها لما كان الأمر كذلك أمر الله تعالى نبيه أن يؤكد نفي زعمهم بتأكيد إيجاب البعث، وزيادة التأكيد بالقسم بربوبية الله تعالى له ﷺ مصرحاً بذكر حقيقة البعث، وما يحدث بعده من أمور مذكراً بأن ذلك كله على الله تعالى في غاية اليسر والسهولة، ولما كان إنكارهم للبعث إنكاراً أبدياً في زعمهم المدلول عليه في الآية بقوله تعالى عنهم: ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ أكد الله -عز وجل- بطلان زعمهم بأمور عدة تتناسب مع هذا الإنكار وتفند هذه المزاعم، وأول هذه المؤكدات نفي زعمهم بكلمة ﴿بَلَىٰ﴾ التي تفيد تأكيد نفي نفيهم وإيجاب ما بعدها، ولذلك جاءت أولاً في سياق الرد عليهم، ثم تلاها مؤكد يعتقدون قوته ويرون أن الكذب فيه شؤم على الكاذب ودمار، وهذا المؤكد هو القسم بربوبية الله تعالى المضافة إلى نبيه ﷺ وتلحظ فيها قوة تأكيد المقسم عليه من حيث أن النبي ﷺ أقسم على ثبوت البعث وهذا القسم منه ﷺ يؤكد لهم أنه لا يخاف سوء عاقبته؛ لأنه يعتقد يقينا صدقه في يمينه.

قال الهرري الشافعي: (ولعل فائدة الإخبار بالقسم مع أن المشركين ينكرون الرسالة، كما ينكرون البعث إبطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الإنصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروماً بالكلي). قال بعضهم: ولعل حكمة اختيار لفظ الرب في القسم ههنا الإشارة إلى أن في البعث إظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة، وإلى دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة)[1].

ويضاف إلى هذه المؤكدات ما اشتملت عليه عبارة القسم من مؤكدات لفظية، وهي اللام ونون التوكيد المشددة، ثم زيد مؤكد للقسم بالربوبية على إثبات البعث،

---

(1) حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

وهو ذكر النتيجة التي تأتي بعد البعث، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَنلَّن يُبْعَثُواْۚ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾ فإنباؤهم بما عملوا ومحاسبتهم عليه أمر يقتضي إثبات البعث؛ لأن هذه الأمور من مقتضياته، وهذا تحقيق لمقتضيات الربوبية المقسم بها في المقسم عليه وهو إثبات البعث، وكما تقدم أن البعث والحساب والجزاء وما يتبع ذلك من أمور كلها من خصائص الربوبية، وقد أضيف إلى كل هذه المؤكدات مؤكد آخر، وهو سهولة البعث على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض كل هذه المؤكدات مناسبة للرد على إنكارهم، وهي تعضد القسم في الرد على مزاعمهم والقسم على إثبات البعث بلفظ الربوبية تأكيد للمقسم عليه لأنه قسم بالاسم المتضمن القدرة على البعث، وكذلك القسم بهذا الاسم الكريم يتضمن الوعيد والتهديد لهؤلاء الكافرين إضافة إلى تضمنه التلطف بالنبي ﷺ وطمأنته ومن معه بخروجهم مما تضمنه القسم من الوعيد، حيث أن إضافة الربوبية إلى النبي ﷺ يؤكد إيمانه بالبعث، ويؤكد التسليم بمقتضيات هذه الربوبية منه عليه الصلاة والسلام ومن أصحابه، ومن ذلك أمر البعث الذي هو موضوع الآية الكريمة، وكذلك فالقسم بلفظ الرب على إثبات البعث يناسب موضوعات السورة كاملة، فأغلب آياتها تتحدث عن خصائص الربوبية كالخلق والعلم والإحاطة وخلق السموات والأرض وإثبات الجزاء والحساب والتحذير من فتنة الأموال والأولاد، وكل هذه الأمور ذات صلة وثيقة بمعنى الربوبية، وكذلك ذات صلة وثيقة أيضاً بموضوع البعث، مما زاد من الترابط الكبير بين الربوبية المقسم بها والبعث المقسم على ثبوته والله تعالى أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان الكفار يعرفون في قرارة انفسهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانهم يزعمون فقط من باب المكابرة والعناد

فقطولذلك لم كتف باثبات البعث فقط وانما اخبرهم بما يحدث بعده وهو اخبارهم بهذه الاعمال وهذا دليل على مجازاتهم عليها

۞ المطلب الرابع: القسم بالله تعالى على ألسنة الأنبياء والصالحين والتناسب بينه وبين المقسم عليه:

الموضع الأول: القسم على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء:٥٧].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ وَتَٱللَّهِ ﴾: أي القوي العظيم أصله والله، وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته لقوة سلطة نمرود[١].

﴿لَأَكِيدَنَّ﴾: لأكسرنها قال مجاهد وقتادة: قال إبراهيم عليه السلام هذه المقالة سراً من قومه، ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم فأفشاه عليه[٢].

﴿أَصْنَٰمَكُم﴾: جمع صنم، وهي جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب مثلا كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله تعالى[٣].

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾: أي بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم قال ذلك سراً من قومه[٤].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

---

(١) انظر: الكشاف؛ ج٤ ص٩٢، تفسير النسفي؛ ص٧١٩؛ حدائق الروح والريحان؛ ج١٨، ص١٢٣.

(٢) انظر: تفسير النسفي، ص٧١٩؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص.

(٤) انظر: تفسير النسفي، ص٧١٩؛ حدائق الروح والريحان، ج٢٩، ص٣٦٧.

المقسم به: هو الله تعالى (لفظ الجلالة).

المقسم عليه: أن يكد لأصنامهم بعد أن يتركوها خلفهم ويذهبوا لعيدهم.

أداة القسم: هي التاء.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو: التأكيد على عزمه الكيد للأصنام وتحطيمها، فأكّد على ذلك بعدد من المؤكدات الجازمة، وهي القسم بالله تعالى واللام ونون التوكيد الثقيلة.

فالغرض من القسم تأكيد عزمه على تحطيم هذه الأصنام والبطش بها

وفيه أيضا بيان سهولة تحطيمها والكيد لها الدال على عجزها فلو كانت قادرة على نفعهم لامتنعت من كيد إبراهيم عليه السلام

بمفرده لها ولهذا صدر القسم بالتاء الدالة على التعجب كما قال الزمخشري: (فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: أن الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب، كانه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه، لأن ذلك كان مقنوطا منه لصعوبته وتعذره، ولعمري إن مثله متعذر في كل زمان، خصوصا زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله: (ثم انتقل إبراهيم – عليه السلام – من تغيير المنكر باللسان إلى تغييره باليد معلناً عزمه على ذلك بقوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ مؤكداً عزمه بالقسم، فالواو عاطفة جملة القسم على جملة الخبر

(١) الكشاف ج٣ ص٩٢

بعدها)[1].

وقال أيضاً: (وإنما قيد كيده بما بعد انصراف المخاطبين إشارةً إلى أنه يلحق الضر بالأصنام في أول وقت التمكن منه، وهذا من عزمه - عليه السلام- لأن المبادرة في تغيير المنكر مع كونه باليد مقام عزم، وهو لا يتمكن من ذلك مع حضور عبدة الأصنام، فلو حاول كسرها بحضرتهم لكان عمله باطلاً، والمقصود من تغيير المنكر: إزالته بقدر الإمكان، ولذلك فإزالته باليد لا تكون إلا مع المكنة)[2].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة: لما كان أمر المشركين من قوم إبراهيم عليه السلام، حيث عبدوا أصناماً لا تضر ولا تنفع، ولما كان إبراهيم عليه السلام قد دعاهم وأمرهم بالمعروف بلسانه ودعاهم إلى الحق والصواب، ولكنهم أعرضوا عنه، فأقسم بالله - عز وجل -مستخدماً أداة التعجب [التاء] على أن يكيد لأصنامهم بعد ذهابهم إلى عيدهم وابتعادهم، فكأنه انتقل عليه الصلاة والسلام من تغيير المنكر بلسانه إلى تغيير المنكر بيده، فالمقسم به لفظ الجلالة الذي يستحق الألوهية الحقة، فتحطيم الأصنام تحطيم لكل عبودية غير العبودية لله تعالى

وفي القسم بالله تعالى على تحطيم آلهتهم إظهار لضعفها، فالله هو المألوه إما هذه الأصنام فهي غير قادرة حتى على حماية ذاتها، فكيف بمن عبدها.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان من يدعو الى الله تعالى يجب ان

---

(1) التحرير والتنوير، ج١٧، ص٩٧.

(2) التحرير والتنوير، ج١٧، ص٩٧.

يكون جريئا في مواجهة اصحاب الباطل وتغيير المنكر كما فعل ابراهيم عليه السلام حيث اقسم بمن يستحق الالوهية على تهشيم ما لايستحقها وهي اصنامهم مع علمه بما سيحدث له منهم

الموضع الثاني: القسم الذي جاء على ألسنة أخوة يوسف وجاء ذلك في الآيات التالية من سورة يوسف:

الأولى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ قَالُواْ ﴾: قول البريء[١].

﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم[٢].

﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم ﴾: **بما جربتم من أمانتنا قبل هذا في كرتي مجيئنا**[٣].

﴿مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾: لنوقع الفساد استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم، حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم[٤].

﴿وَمَا كُنَّا ﴾: بوجه من الوجوه[٥].

﴿سَٰرِقِينَ﴾: وما كنا نوصف قط السرقة لأن السرقة من أكبر أنواع الفساد[٦].

---

(١) نظم الدرر، ج٤، ص٧٧.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٨٧؛ تفسير النسفي، ص٥٣٩.

(٣) انظر: نظم الدرر، ج٦، ص٧٧؛ مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٨٧.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٨٧؛ تفسير النسفي، ص٥٣٩.

(٥) نظم الدرر، ج٦، ص٧٧.

(٦) انظر: تفسير النسفي، ص٥٣٩،

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: أخوة يوسف عليه السلام.

المقسم به: الله سبحانه وتعالى.

المقسم عليه: أنهم لم يأتوا للإفساد في الأرض وأنهم لا يسرقون أبداً.

أداة القسم: هي التاء.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو نفي هذه التهمة الشنيعة التي رميت عليهم وهم يعرفون بعدهم عنها، وهي نوع من الفساد الذي أبعدوا عنه جملةً وتفصيلا.

قال الرازي: قال المفسرون: حلفوا على أمرين:

أحدهما: على أنهم ما جاؤا لأجل الفساد في الأرض؛ لأنه ظهر من أحوالهم امتناعهم من التصرف في أموال الناس بالكلية لا بالأكل ولا بإرسال الدواب في مزارع الناس حتى روي أنهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم لئلا تعبث في زرع، وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ومن كانت هذه صفته فالفساد في الأرض لا يليق به.

والثاني: أنهم ما كانوا سارقين وقد حصل لهم شاهد قاطع، وهو

أنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر ولم يستحلوا أخذها والسارق لا يفعل ذلك البتة)[1].

محمد بن صالح العثيمين؛التفسير الثمين، ج٥، ص٧٩؛ اعتنى به: أشرف بن كمال؛ الناشر: مكتبة الطبري للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م

(١) مفاتيح الغيب، ج١٧، ص٤٨٧.

ولذلك جاءت عباراتهم النافية للتهمة عنهم متضمنة مؤكدات تقابل المؤكدات التي ذكرها المؤذن في ندائه، حيث نادى العير التي كانت معهم وهي محل حمل المتاع وإخفاء المسروق، وكذلك النداء يتعلق بأصحاب العير، فكأنه اتهم جميع من في القافلة بهذه التهمة، وأكد كلامه بأن والضمير اللام والجمع واسمية الجملة، وتوكيده هذا يدل على ثقته فيما قال ولهذا قابلوه بنفي التهمة والتأكيد على بعدهم عنها، وأكدوا كلامهم بالمؤكدات الجازمة التي يأتي في مقدمتها القسم بلفظ الجلالة، حيث لاسم الله - جلّ وعلا - هيبة وتعظيم عند المقسم لهم، وجاؤا بحرف التعجب التاء أداة لهذا القسم، ثم زادوا في التأكيد على علم المخاطبين بغرض مجيئهم وهو التزود من خيرات مصر فحسب، وأنهم لم يأتوا للإفساد في الأرض بأي وجه من الوجوه لا بسرقة ولا بغيرها، ثم خصصوا من وجوه الإفساد التي نفوها نفي السرقة التي اتهموا بها، ونفوا أن تكون صفة لهم أو سجية من سجاياهم.

قال ابن كثير رحمه الله: (ليست سجايانا تقتضي هذه الصفة)[1].

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي:

أنه لما كانت السرقة جريمة شنيعة وعار في الدنيا والآخرة، وكانت حالهم وشيمتهم تنفيان عنهم ما نسب إليهم منها، ولما كان الحال يستدعي رد هذه التهمة رداً قوياً يساوي قوة الصدمة من هذا الاتهام لما كان الأمر كذلك رد أخوة يوسف عنهم هذه التهمة بأقوى ما يمكن من رد، وهو القسم بالله تعالى مستخدمين أداة القسم التي تناسب الأمر العجيب الذي رموا به على أنهم لم يأتوا للفساد في الأرض بأي صورة من صوره ولم يأتوا للسرقة أبداً فهم واثقون من أنفسهم وأن السارق ليس منهم، ولذلك أقسموا بلفظ الجلالة ذي الهيبة في نفوس السامعين مستخدمين أداة توحي بعجبهم الشديد مما رموا به كون حصوله منهم مستبعداً في أذهانهم، وكذلك في أذهان المتهمين لهم الذين يعلمون من حالهم ومقصدهم من المجيء غير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٨٥.

ما اتهموهم به، فالحكم بانتفاء الإفساد في الأرض عنهم وانتفاء السرقة معه أمر متيقن.

فالقسم بلفظ الجلالة مناسب مع نفيهم للتهمة عنهم، حيث أنه أكثر تحقيقاً وتأكيداً للمقسم عليه، فوجود الله تعالى هي الحقيقة الأكيدة عند الجميع، ولذلك فكأنهم يقولون: إنكم كما تعلمون أن وجود الله حق لا شك فيه فبراءتنا من السرقة حق لا شك فيه، وكذلك فاسم الله (لفظ الجلالة) فيه معنى التفرد والوحدانية، حيث لا يطلق على غيره لا بإضافة ولا بدونها، فهم يؤكدون بالقسم به وحدة غرضهم وهدفهم الذي جاؤا من أجله وأنهم لم يأتوا لغيره أبدا وكأنهم يقولون أيضاً في قسمهم، كما أن الله واحد لا شريك له نقسم به أن هدفنا من المجيء إلى هنا واحد لا ثاني له وألوهية الله المغروسة في نفوسنا تمنعنا من الوقوع في هذا الجرم العظيم، وقد عرفتم حالنا وتهمتكم لنا مع علمكم بنا غريبة أشد الغرابة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وإنما اقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين لأنهم عرفوا أنهم سيروا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم وورعهم وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة من أن لو قالوا: [تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق][1].

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية على ان استشعار الوهية الله من قبل العبد ما نعة له من ارتكاب المعاصي والذنوب حيث اقسموا بالالوهية على نفي ما يخالفها وهي الفساد في الارض وخصوا منه السرقة لانها هي التهمة الموجهة اليهم فمن كانت حاله كحالهم فهو ابعد ما يكون عن ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة

---

(١) التفسير الثمين، ج٥، ص٧٩.

الثانيـة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف:٨٥].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿قَالُواْ﴾: القائلون (الأظهر أن هؤلاء ليسوا هم الأخوة الذين قد تولى عنهم، بل الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاد أولاده وخدمه)[١].

﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب من كثرة ذكره ليوسف.

﴿تَفْتَؤُاْ﴾: أي لا تفتأ، فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس إذ لو كان إثباتاً لم يكن بد من النون ومعنى لا تفتأ: لا تزال تذكره قاله ابن عباس وقتادة[٢].

﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشفياً على الهلاك، والحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب وقوله: حرضت فلاناً على فلان: أفسدته وأحميته[٣].

قال الراغب: (الحرض: ما لا يعتد به ولا خير فيه، ولذلك يقال لمن أشرف على الهلاك: حرض)[٤].

﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: أي من الأموات[٥].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: أخوة يوسف عليه السلام.

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٠.

(٢) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٩٩؛ تفسير النسفي، ص٥٤٢.

(٣) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٤٩٩؛ تفسير النسفي، ص٥٤٢.

(٤) مفردات القرآن، ص١٦٣.

(٥) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٠.

المقسم به: الله سبحانه وتعالى.

المقسم عليه: هو فساد جسم يعقوب عليه السلام أو هلاكه إن استمر في ذكره ليوسف بالبكاء والحزن والغم عليه.

أداة القسم: هي التاء.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو: إظهار الإشفاق على يعقوب من عاقبة ما هو فيه، ومحاولة منعه عليه السلام من الاستمرار في البكاء على يوسف والحزن عليه، وذلك بتخويفه من عاقبة ذلك وبيانهم أن ذلك يؤدي إلى الفساد في الجسم والعقل، فيكون قريباً من الهلاك أو يؤدي إلى الهلاك فعلاً.

قال الرازي: (ومعنى الآية أنهم قالوا لأبيهم إنك لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت من الغم كأنهم قالوا: أنت الآن في بلاء شديد ونخاف أن يحصل ما هو أزيد منه وأقوى، وأرادوا بهذا القول منعه من كثرة البكاء والأسف.

فإن قيل: لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك قطعاً؟

قلنا: إنهم بنوا ذلك على الظاهر)[1].

فظاهر حاله انه يستمر على هذا الحزن استمرار من لا يعرف العاقبة منه مع أنه يعرفها، لكنهم أقسموا له لتتقوى محاولتهم لثنيه عن الاستمرار في هذا لإشفاقهم عليه مما يرونه فيه.

وقال ابن عاشور رحمه الله: (وجواب القسم هو ﴿تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ باعتبار ما بده من الغاية لأن المقصود من هذا اليمين الإشفاق عليه بأنه صائر إلى

---

(1) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٠.

الهلاك بسبب عدم تناسيه مصيبة يوسف- عليه السلام - وليس المقصود تحقيق أنه لا ينقطع عن تذكر يوسف)[1].

فالغرض هنا هو الإشفاق على يعقوب - عليه السلام - مما هو فيه من الحزن والألم، ومن عاقبة ذلك والله أعلم.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في الآية الكريمة هي: أنهم لما كان حال يعقوب - عليه السلام - الاستمرار على الحزن على يوسف مع طول مدة بعده عنه واستمراره أيضاً على تذكره والحزن عليه حزناً شديداً يؤدي إلى فساد الجسم والقرب من الهلاك، ولما كان أبناؤه مشفقون عليه من هذا المصير، ولما كان هدفهم ثنيه عن الاستمرار في ذلك الحزن، ولما كان حاله الظاهر يوحي بأنه لا يعلم بهذه العاقبة أقسموا بالله تعالى على أنه إن استمر على هذه الحال من الحزن والبكاء فسيؤدي به ذلك إلى الفساد والخلل الذي يهلكه أو يجعله قريباً من الهلاك فالمقسم به يشير إلى معنى قريب مما في المقسم عليه والتاء معه تشير إلى ذلك أيضاً، فالله تعالى متفرد بالوحدانية سبحانه وتعالى، وهو كذلك متفرد باسم الجلالة، فكأنهم يتعجبون من انفراد يوسف بهذه المكانة عند والده، حيث أحبه حباً مبالغاً فيه - في رأيهم- إلى درجة قد تؤدي به إلى الهلاك.

قال ابن عاشور رحمه الله: (وفسره الطيبي: إن المقسم عليه بالتاء يكون نادر الوقوع لأن الشيء المتعجب منه لا يكثر وقوعه، ومن ثم قل استعمال التاء إلا مع اسم الجلالة لأن القسم باسم الجلالة أقوى القسم)[2].

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٣، ص٤٤.

(٢) التحرير والتنوير، ج١٣، ص٤٤.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية على اشفاق ابناء يعقوب عليه وشدة خوفهم ان يلحقه الضرر مما هو فيه من الحزن ولذلك اقسموا له بالله مستخدمين اداة التعجب التاء لبان ان حاله تدعو الى العجب حيث انه باستمراره في ذكر يوسف والحزن عليه يؤذي نفسه ويهلكها وهذا هو الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة

الثالثة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب من حال يوسف عليه السلام بعد ما فعلوا به ما فعلوا.

﴿لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾: اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والحسن والملك[1].

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: الخاطئ هو الذي أتى بالخطيئة عمداً أي: وإن شأننا وحالنا إنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك[2].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: أخوة يوسف عليه السلام.

المقسم به: الله سبحانه وتعالى.

المقسم عليه: هو إيثار الله تعالى ليوسف وتفضيله تعالى له عليه السلام عليهم وخطئهم فيما فعلوه به وما قالوه عنه.

أداة القسم: هي التاء.

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٥؛ تفسير النسفي، ص٥٤٣.

(٢) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٥؛ تفسير النسفي، ص٥٤٣.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو: التأكيد على تفضيل الله تعالى ليوسف عليه السلام عليهم والذي يحمل في طياته الاعتذار عما فعلوه به من قبل، حيث ألقوه في الجب وأبعدوه عن أهله ولم يخبروا أباهم بالحقيقة وكأنهم يقولون: قد أخطأنا في حقك بما فعلنا، وقد أتاك الله تعالى من العلم والنبوة والحكم ما لم يعطنا، ففضلت علينا بهذه الصفات التي من وجدت فيه كان جديراً بالعفو والصفح، فاعترافهم بالخطأ يعنى طلب العذر والصفح عنهم، فهم يعترفون بفضل يوسف عليهم طلباً لأن يعاملهم بما له من الفضل ولا يعاملهم بما كان منهم من الخطأ.

قال الرازي: (وأكثر المفسرين على أن الذي اعتذروا منه هو إقدامهم على إلقائه في الجب وبيعه وتبعيده عن البيت والأب)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما تبيّن لهم يقيناً ما صار إليه أمر يوسف عليه السلام مما كانوا يعتقدون أنه على خلافه، ولم يكن أمامهم إلا الاعتراف بخطئهم وتأكيد توبتهم منه واعتذارهم عنه أقسموا بالله تعالى على أن الله تعالى قد فضّل يوسف عليهم، وأنهم كانوا على خطأ عظيم فيما فعلوه بيوسف، وفيما قالوه عنه في حال تدل على الاعتذار والتوبة منه، ولهذا نجد أن اسم الله تعالى (لفظ الجلالة) هو أنسب شيء للمقام، حيث أنه يدل على التفرد والوحدانية، وقد نسبوا تفضيل يوسف إلى الله تعالى، والفضل كله بيد الله تعالى وليس لغيره فضل، فلما أقسموا على أمر مما اختص الله به وأثبتوا إيثار الله ليوسف عليه السلام بفضل لا يهبه إلا هو ناسب أن يقسموا بالاسم الذي يختص به سبحانه ولا يطلق على غيره.

وكما أن الفضل بيد الله في تفضيل يوسف عليهم، فإن قبول التوبة أيضاً بيد

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٥.

الله تعالى والعفو عن الزلة بيده – عز وجل –، وفتح قلب يوسف لقبول اعتذارهم بيد الله تعالى، ولا يختص بذلك أحد غيره – عز وجل–، فناسب أن يكون المقسم به لفظ الجلالة الدال على التفرد والوحدانية والله تعالى أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان الغرض من القسم هنا الاعتذار وطلب الصفح حيث ذكروا يوسف بما فضل بت مقسمين له بمن فضله وهو الله تعالى واستخدموا لفظ الجلالة هنا لهيبته عند يوسف وليكون اوقع في نفسه فيعفو عنهم ويصفح وقد حصل لهم ما ارادوا حيث قال مباشرة ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ يوسف: ٩٢

الرابعة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿قَالُواْ﴾: أي أسباطه[١].

﴿تَٱللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب من شدة محبته ليوسف حتى مع عدم وجوده.

﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: لفي ذهابك عن الصواب قديماً في إفراط محبتك ليوسف أو في خطئك القديم من حب يوسف، وكان عندهم قد مات[٢].

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الخطأ... والثاني: أنه الجنون... والثالث: أنه الشقاء والعناء)[٣].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: أخوة يوسف عليه السلام.

المقسم به: الله سبحانه وتعالى.

المقسم عليه: هو أن يعقوب - عليه السلام -ما يزال في خطئه الذي كان عليه من القدم بإفراطه في محبة يوسف عليه السلام.

أداة القسم: هي التاء.

---

(١) تفسير النسفي، ص٥٤٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٨، ص٥٠٨؛ تفسير النسفي، ص٥٤٤.

(٣) زاد المسير، ج٤، ص٢٨٦-٢٨٦.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إظهار اللوم ليعقوب عليه السلام على كثرة ما يذكر يوسف مع اعتقادهم أنه قد مات وأن المداومة على ذكره بهذه الصورة خطأ قديم استمر عليه يعقوب منذ القدم، وأكدوا ذلك بالعديد من المؤكدات، فالمقسم عليه مؤكد بإن والضمير واللام والجار والمجرور واسمية الجملة ونسبة الضلال إليه، وأيضاً وصف الضلال بالقدم حيث يقصد به ما كان منه من محبة يوسف وهو عندهم قد مات.

قال البغوي - رحمه الله -: (فإن عندهم أن يوسف قد مات ويرون يعقوب قد لهج بذكره)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما كان أمر يعقوب عليه السلام أمراً عجيباً غريباً، حيث استمر على تذكر يوسف عليه السلام حتى وصل إلى وقت كانوا يعتقدون أنه لم يعد يتذكره من طول الزمن، ولما كان بقاؤه على هذه الحال أمراً أثار تعجبهم وأثار مكامن مشكلتهم القديمة التي يرون أن أباهم قد أخطا فيها، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف:٨]. أقسموا بالله تعالى على استمراره في ذلك الضلال وبقاؤه عليه في صورة اللوم له على هذا الأمر وإظهاراً للضيق من استمراره عليه والتأنيب له على الاستمرار في هذا الضلال؛ فإقسامهم بلفظ الجلالة للتأكيد على ما تضمنه التعبير بأقوى ما يقسم به وهو لفظ الجلالة الذي يحمل معاني الوحدانية، فكأنهم يرون أن يعقوب عليه السلام قد تفرد بمنهج خاص لم يشاركه فيه غيره، وهو الحب النادر الوحيد الذي جعله يتصور وجود ريح يوسف بعد هذه

---

(١) معالم التزيل، ج٢، ص٤٤٨.

المدة الطويلة في البعد عنه.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية على شدة لوم ابناء يعقوب له وتضجرهم مما هو مستمر عليه مما يرونه خطأ وهو تفضيله يوسف عليهم –في رايهم– وانه ما زال في ذلك رغم بعد الزمن بينه وبين ذهاب يوسف عليه السلام

۞ المطلب الخامس: القسم بالله تعالى على ألسنة الكفار والمنافقين والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلته من القرآن الكريم:

ورد القسم بالله تعالى من الكفار والمنافقين في عدة مواضع، وقد اقتصرنا منها على أربعة أمثلة هي على النحو التالي:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: الخطاب للنبي ﷺ حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمراً عظيما[١].

﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه، والمقصود منه التعبير عن المقصود بالألفاظ الفصيحة البليغة[٢].

﴿قَالَ﴾: هذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قال ربهم إذ وقفوا عليه[٣].

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾: أي البعث الذي ينكرونه[٤].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالكائن الموجود، وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٥١٢؛ تفسير النسفي، ص٣١٨.

(٢) تفسير النسفي، ص٣١٨.

(٣) تفسير النسفي، ص٣١٨، فتح القدير؛ ج٢ ص٦٣٩

(٤) تفسير النسفي، ص٣١٨.

(٥) تفسير النسفي، ص٣١٨.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أقروا وأكدوا الإقرار باليمين[1].

﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: أي قال الله تعالى وخص لفظ الذوق لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في قوة الإحساس[2].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي بسبب كفركم واعلم أن الله تعالى ما ذكر هذا الكلام احتجاجاً على صحة القول بالحشر والنشر؛ لأن ذلك الدليل قد تقدم ذكره.. بل المقصود من هذه الآية الردع والزجر عن هذا المذهب والقول[3].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هم المشركون الذين يتحدث عنهم السياق من بداية الآيات من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام:٢٢]. إلى أن يصل إلى هذه الآية.

المقسم به: ربوبية الله تعالى المضافة إلى نون الجمع العائدة على المشركين.

المقسم عليه: الإقرار بأن البعث حق المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ وقولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ إذ التقدير: بلى إنه لحق.

أداة القسم: الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة: هو تأكيد الإقرار بالبعث من الكفار يوم القيامة حين يوقفون على ربهم ولا يكون لديهم مجال للعودة لإنكار البعث، كما

---

(١) فتح القدير ج٢ ص٦٣٩، تفسير النسفي، ص٣١٨.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٥١٢؛ تفسير النسفي، ص٣١٨.

(٣) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٥١٢.

كانوا يفعلون في الدنيا حينما يرون ما أنكروه رأي العين، فيقسمون على إثبات البعث والإقرار به قسم المتحسر المتألم على عدم الإيمان به، ولذلك جاءت بعده عبارة التوبيخ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ فكان إقرارهم هنا والإقسام عليه إقرار الغرض منه إظهار الحسرة والندم على ما فرطوا فيه من التصديق بما أخبر به محمد ﷺ من البعث والحساب والجزاء، وبالتالي الإيمان بما يتطلبه الأمر من أوامر ونواهي، وما يقتضيه ذلك الإيمان من أقوال وأفعال تنجيهم يوم الوقوف على الله تعالى، فحسرتهم هنا كبيرة وألمهم عظيم، وهذا تصوير دقيق لما في خفايا نفوسهم وهم في الدنيا من العناد والمكابرة والإصرار على عدم الإيمان، فهم يعتقدون يقيناً صدق النبي ﷺ، ولكن منهم الكبر من الإيمان وأدى بهم العناد إلى الموت على الكفر، وعندما يأتي الوقوف على الله تعالى، فإنهم يُسألون سؤال توبيخ وتقريع ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ﴾، فيجيبون إجابة المتحسر ﴿بَلَىٰ﴾، ثم يردفون بالقسم ﴿وَرَبِّنَآۚ﴾، فلا يمهلهم ليعتذروا أو يبرروا؛ وإنما يسوق لهم عبارة التوبيخ الأخرى ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ زيادةً لهم في الألم وفي الحسرة.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما كان المشركون ينكرون البعث في الدنيا وينفون مجيئه صور الله لنا ما سيحدث منهم يوم القيامة، وكأنه مرئي رأي العين فهم يوقفون على ربهم جلّ وعلا وقوف خضوع وتذلل عند معاينتهم صدق ما أنكروه، ثم يُسألون عنه سؤال توبيخ وتقريع لهم على موقفهم في الدنيا، فيجيبون عنه إجابة المتحسر النادم على عدم الإيمان به، فلما كان موقفهم هو عدم الإيمان بالبعث الذي هو من خصائص الربوبية، ولما كانوا في موقف الذل والخضوع الذي يستلزم منهم إثبات كلامهم، ولما كانوا في موقف المتألم المتحسر الذي يبدي ندمه وحسرته أقسموا بربوبية الله تعالى لهم، وقد كانوا كفروا بها في الدنيا على إثبات البعث الذي هو من خصائص الربوبية وعلى إيمانهم بالبعث

الذي كان كفرهم به مستلزم لكفرهم بربوبية الله تعالى، فلما كان ما أقسموا على حقيقته من البعث، وما يتبعه من الجزاء والحساب من خصائص الربوبية، وهم لم يؤمنوا بها أولاً أقسموا بالاسم الجامع لذلك وهو الرب، فمن مقتضياته البعث ومتعلقاته، ومنها إضافته إليهم في قوله ربنا فتدل على ما يقابل كفرهم وهو إيمانهم به، ولكن بعد فوات الأوان فإيمانهم هنا إيمان المتحسر المتندم المقر الذي لا ينفعه إقراره ولا يستفيد من توبته وندمه.

وكذلك فإن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ متضمن لتهويل موقفهم أمام ربهم جلّ وعلا، وكذلك مجيء إذ مكان إذا وبناء الفعل للمجهول ومجيئه بصيغة الماضي وأيضاً مجيء الدلالة على الكفار بالضمير دون التصريح بهم، وإلحاق ذلك كله بسؤال توبيخي تقريري لا يسعهم إلا الإقرار به كل ذلك مناسب للقسم بالربوبية، وممهد للموقف الذي يقال فيه القسم وهو موقف الكفار في خضوع وذل، وكذلك فإن القسم بالربوبية هنا مناسب لما ورد من وقوفهم على ربهم، حيث أنكروا ربوبيته أولاً وعند معاينة حقيقة ما كفروا به يؤمنون به ويعترفون بهذه الربوبية، وكذلك فإن اسم الرب قد تكرر في مواقف المشركين من أول السورة أكثر من مرة، فالقسم به مناسب لهذا التكرار، لكنه جاء هنا للاعتراف به والإقرار بمقتضياته وخصائصه.

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة على ندم المشركين على عدم اقرارهم بربوبية الله تعالى لهم فيقسمون هنا بالربوبية على اثباتها واثبات خصائصها متحسرين نادمين على تفريطهم ولات ساعة مندم

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: ظرف عامله قول مضمر، والتقدير ويوم يُعرض الذين كفروا على النار يقال: أليس هذا بالحق، وقد قدم الظرف على عامله للاهتمام بذكر ذلك اليوم لزيادة تقريره في الأذهان[١].

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾: الإشارة إلى العذاب الذي يشاهدونه، وهو نار جهنم التي يعرضون عليها من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه إذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه، وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين[٢].

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك[٣].

﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾: معنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم[٤].

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بكفركم بها في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٦، ص٨٠؛ التحرير والتنوير، ج٢٦، ص٦٦.

(٢) انظر: تفسير النسفي، ص١١٣١؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٦، ص٨٠

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٦، ص٨٠.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٦، ص٨٠.

(٥) انظر: تفسير النسفي، ص١١٣١؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم، ج٦، ص٨٠.

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: الكفار حينما يعرضون على النار.

المقسم به: ربوبية الله تعالى المضافة إلى نون الجمع العائدة على الكفار.

المقسم عليه: هو أن العذاب الذي وعدهم النبي ﷺ حق.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة أمران:

الأول: إظهار الخضوع والتذلل والإذعان والطمع في عفو الله تعالى وكرمه، حيث بدا لهم حقيقة ما كانوا ينكرونه ويجحدون به وعاينوه يقيناً لا يمكن معه إعادة الإنكار والجحود، فهم يطمعون هنا في رحمة الله وكرمه، حيث عاينوا العذاب الذي سيصيبهم ورأوا مصيرهم المحتوم الذي أجابوا عن حقيقته مسبقاً بقولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ مكذبين لأنفسهم في الإنكار السابق له، فلم يحتاجوا إلى أمر آخر يؤكد تصديقهم بالبعث أكثر من هذه الكلمة، فكان القسم منهم لغرض الرجاء قال البقاعي: (وما كفاهم البدار إلى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعد للإقرار، وذكروا صفة الإحسان زيادةً في الخضوع والإذعان)[1]، والمقصود من قول البقاعي (ذكروا صفة الإحسان) الربوبية فمن مقتضياتها الإحسان إلى الخلق بتصريف أمورهم إلى ما فيه الخير لهم.

والثاني: التأكيد على تصديقهم بما جحدوا به من قبل خلافاً لما كان معهوداً من حالهم، وهو الإنكار لكل أمر من أمور الآخرة ابتداء بالبعث وانتهاءً بما يتبعه من

---

(١) نظم الدرر، ج١٨، ص١٨٩.

الحساب والجزاء والعقاب، فقد كان المعهود منهم الإنكار فبادروا إلى القسم تأكيداً على إقرارهم، حيث أن هذا الإقرار مخالف لما هو معهود عنهم من التكذيب والجحود، ولذلك جاء الإقسام بالرب كذلك محاكياً للمؤمنين في دعائهم ربهم، وذلك من خلال إضافة كلمة الرب إلى ضمير المتكلم إمعاناً في محاولة تحليهم بالإيمان الذي يؤكد إقرارهم بما جحدوا، وفي الوقت نفسه يفتح لهم باباً من الطلب للرحمة والعفو عما كان منهم في وقت لا ينفعهم شيء من ذلك كله والله المستعان.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية هي: أنه لما كان موقف المشركين عند العرض على النار موقفاً رهيباً مهيباً لاسيما، وقد كانوا منكرين لها من جملة ما أنكروه من البعث ومقتضياته، وما يكون فيه من الجزاء للمؤمنين بجنات النعيم والعقاب للكافرين بالعذاب المقيم في نار جهنم وبئس المصير لما كان أمرهم أولاً الإنكار، وحالهم الآن معينة ما أنكروه عين اليقين، وكانوا قد سئلوا سؤال توبيخ وتقريع عن حقيقة النار التي كذبوا بها مع الإشارة إليها في هذا السؤال إشارة تنفي أن يفهم أن المراد غيرها، وقد سقط في أيديهم وألجمت ألسنتهم، ولم يكن أمامهم إلا الإقرار بما جحدوا وتأكيد إيمانهم بما كفروا به من قبل، حيث لم يكتفوا بالمبادرة إلى الإقرار فقط، بل أكدوا إقرارهم بالقسم، ولما كان موقفهم موقف الذل والخضوع وموقف الضعف والخجل والانكسار إضافةً إلى ما استقر في أذهانهم من رحمة الله وقوته وقدرته، وكانوا يطمعون في العفو والصفح ويظهرون التألم والحسرة والندم ولات ساعة مندم لما كان أمرهم كذلك أقسموا بربوبية الله تعالى لهم، حيث أضافوا كلمة الرب إلى ضمير المتكلمين الدال عليهم، فأقسموا بالربوبية على صدق ما أنكروه وتكذيبهم لأنفسهم فيما جحدوه، ولم يسعهم الموقف لذكر المقسم عليه لما هم فيه من الخوف والفزع والهول والرهبة، حيث يدل عليه السؤال والإشارة الموجودة فيه، ولم يكن قسمهم بالربوبية على إقرارهم بهذا الأمر إلا لكون ما يقرون به من البعث والجزاء بالنار، وما يتبع ذلك وكذلك ما يرجون من اللطف والعفو

من خصائص الربوبية، فكان المقسم به وهو الربوبية المضافة إلى ضمير المتكلم الدال على المشركين مناسبة للمقسم عليه وهو حقيقة النار التي يعرض عليها المشركون يوم القيامة، وأنها من مقتضيات البعث الذي كذبوا به أولاً، حيث أن ذلك من خصائص الربوبية إضافةً إلى كون ما يرجونه من القسم من خصائصها أيضاً.

وإن من أوجه التناسب أن يكون المقسم هو المشركون والمقسم به هي الربوبية التي أنكروا مقتضياتها، ومنها البعث والمقسم عليه هو البعث، فهنا يقسم الكافر على كذب نفسه وعلى ضعف عقله عندما عزف عن الإيمان ومال إلى التكذيب ويبدي ندمه على التفريط، فهو عظة لكل متعظ وعبرة لكل معتبر.

قال البقاعي: (وما كفاهم البدار إلى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعداً للإقرار، وذكروا صفة الإحسان زيادة في الخضوع والإذعان)[1].

وقال أبن عاشور - رحمه الله تعالى -: (وإنما أقسموا على كلامهم بقسم ﴿وَرَبِّنَآ﴾ قسماً مستعملاً في الندامة والتغليظ لأنفسهم، وجعلوا المقسم عليه بعنوان الرب تحنناً وتخضعاً)[2].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على خضوع المشركين واقرارهم بما كذبوا به من قبل لما استقر في اذهانهم من سعة رحمة الله تعالى فكانهم باقرارهم يطلبون العفو والصفح والمغفرة عما بدر منهم من التكذيب بالربوبية وخصائها ومنها البعث الذي يعاينونه الان حقيقة بين ايدهم وهم يحاولن النجاة فتارة يقرون بما كذبوا به وتارة يتلبسون بحال المؤمنين فيقولون {وَرَبِّنَآ}

---

(١) نظم الدرر، ج١٨، ص١٨٩.

(٢) التحرير والتنوير، ج٥، ص٢٧.

وكذلك تدل المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على اهانة واذلال كل من اعتدى على ربوبية الله تعالى في القديم والحديث والله اعلم

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾: كفرهم وافتتانهم بالأوثان[١].

﴿إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: أي(ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به)[٢].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هم الكفار.

المقسم به: الله سبحانه وتعالى (لفظ الجلالة) الموصوف بصفة الربوبية المضافة إلى نون الجمع العائدة على الكفار.

المقسم عليه: هو عدم إيمانهم بالشرك وانتفاؤهم من التدين به.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو تأكيد نفي الشرك

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٥٠٢؛ تفسير النسفي، ص٣١٧.

(٢) تفسير النسفي، ص٣١٧.

عنهم وإثبات إيمانهم بالله تعالى الذي أثبتوا ربوبيته لهم وإيمانهم بها بالقسم بالله تعالى الموصوف بها، وهذا قسم منهم على خلاف ما كانوا عليه في الدنيا، فلماذا أقسموا على خلاف ما كانوا عليه وما كانوا يعتقدونه في الدنيا ؟

السبب في ذلك والله أعلم هو أنهم يطمعون في أن يغفر الله لهم شركهم لما يرون من سعة رحمته في الآخرة، فيطمعون أن يدخلوا فيها أو أنهم يرون ألا سبيل لهم للنجاة إلا الحلف جرياً على ما كانوا عليه في الدنيا كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة:١٨].

وأما أن قسمهم على نفي الشرك مرده إلى حقيقة ما كانوا عليه في الدنيا، حيث كانوا يعلمون صدق النبي ﷺ فيما أخبرهم، والذي دفعهم إلى الكفر مجرد المكابرة والعناد والجحود، كما ذكر الله تعالى عنهم بد هذه الآية بقليل في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر:٣٥]، فهم بهذا يرجعون إلى علم الله تعالى بما استقر يقلوبهم من الإيمان الذي لم يظهروه في الدنيا.

وقد فصل الرازي في تفسيره القول في هذا المعنى تفصيلاً كاملاً مع إيراد الأقوال وأدلتها والردود والترجيح وليس هذا مقام بسطه فليرجع إليه عند الحاجة للاستزادة[1].

وأياً كان قصدهم من هذه المعاني فإن الهدف واحد، وهو رجاؤهم أن

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٥٠٣-٥٠٤.

ينفعهم شيء من ذلك وينجيهم من العذاب، ولكن هيهات أن ينفعهم أو ينجيهم أو يعود عليهم إلا بالحسرة والندامة والألم، فلم يكن يكلفهم إظهار الإيمان شيئاً يضرهم، بل كان نفعاً محضاً في الدنيا والآخرة ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٦].

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: (وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا عند معاينتهم سعة رحمة الله تعالى يومئذ)[١].

وقال أبو السعود: (وإنما يقولون ذلك مع علمهم أنه بمعزل من النفع من فرط ما يجدون من الحيرة والدهش)[٢].

ويقول البقاعي أن شأنهم في ذلك كله شأن: (الحائر المدهوش يفعل مثل ذلك في الدنيا فهو أيأس من فلاحهم أو يكون المعنى تنديماً لهم وتأسيفاً على معنى أنهم لم يكن عاقبة كفرهم الذي فتنوا به وبالتزامه والافتخار به والقتال عليه إلا جحوده والبراءة منه والحلف على الانتفاء من التدين به[٣].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هو: أنه لما كان اسم الله تعالى: (الله) لفظاً فريداً لا يطلق على أحد غير الله تعالى لا بإضافة ولا بغيرها، وكان من دلائله الدلالة على توحيد الله تعالى وتفرده لما كان الأمر كذلك أقسم المشركون بهذا الاسم على نفي شركهم بالله تعالى قسماً مؤكداً بوصف ربوبيته تعالى لهم نافين لما كان عليه حالهم في الدنيا من الشرك بالله تعالى، فقسمهم بلفظ الجلالة دليل على إقرارهم بمضمونه ومدلوله، فهم يؤكدون التوحيد من جانبين.

---

(١) جامع البيان، ج١١، ص٣٠٢.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العظيم، ج٣، ص١٢٠.

(٣) نظم الدرر، ج٧، ص٨١.

الجانب الأول: جانب القسم بالاسم الدال على التوحيد.

والجانب الثاني: جانب التصريح بنفي الشرك في المقسم عليه، وهذا تناسب فريد بين المقسم به والمقسم عليه، حيث أن المقسم به يدل على ما يدل عليه المقسم عليه.

قال البقاعي – رحمه الله –: (فذكروا الاسم الأعظم الذي تندك لعظمته الجبال الشم وتنطق بحكمته الأحجار الصم الجامع لمعاني الأسماء الحسنى التي ظهر لهم كثير منها في ذلك اليوم)[1].

ومما يلحظ من أوجه التناسب بين المقسم به والمقسم عليه ما جاء في الآية من وصف لفظ الجلالة المقسم به بصفة الربوبية التي تدل كذلك على التوحيد ونفي الشرك، ومما زاد في نفي الشرك إضافتها وصف الربوبية إلى ضميرهم الذي يدل على توحيدهم، حيث علموا أنه لا ينجو من العذاب إلا مؤمن موحد، فحاولوا بهذا القسم التنصل من الشرك طمعاً في مغفرة الله تعالى لهم، فهم ينفون عن أنفسهم الشرك المتولد عن العقيدة الفاسدة والتكذيب للنبي ﷺ، وكذلك الشرك الناتج عن العناد والمكابرة ويبالغون في ذلك أيما مبالغة لعل ذلك إن ينفعهم عند الله تعالى لما يرون من هول المطلع يوم القيامة.

قال أبو السعود: (ووصفه تعالى بالربوبية لهم مبالغة في التبرؤ من الإشراك وقرئ ربنا على النداء، فهو لإظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة)[2].

وأبو السعود هنا يشير إلى القراءة الأخرى، حيث قرئ {ربنا} بالنصب على أنه منادي فيكون المعنى: [والله يا ربنا] فهو جواب على السؤال المتقدم بالتوجه بالخطاب إلى من سألهم بما يتضمن معنى الخضوع والتذلل والطلب، وفي هذا المعنى

---

(1) نظم الدرر، ج٧، ص٨١.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٣، ص١٢٠.

يقول القرطبي – رحمه الله تعالى –: (لأن فيها معنى الاستكانة والتضرع)[1].

وفي وصف اسم الله تعالى المقسم به بالربوبية وإضافتها إلى ضمير المتكلم الدال على المشركين إقرار بفضله عليهم مما يستدعي توحيدهم له ليكون ذلك داعماً آخر يؤكد ما أقسموا عليه من نفي الشرك.

قال البقاعي –رحمه الله– في هذا المعنى: (تذكير بتربيته لهم ودوام الإحسان منه إليهم)[2].

وفي هذا أيضاً توثيق للصلة بين الوصف الذي اتبع بع المقسم به وهو وصف الربوبية وبين المقسم عليه وهو الانتفاء من الشرك المراد إثباته بالقسم، وذلك أنه لما كان المقصود هو نفي الشرك عنهم نفياً قاطعاً ناسب أن يقسموا باسم الله تعالى الدال على وحدانيته؛ ثم وصفوه بالربوبية وأضافوها إلى أنفسهم زيادة في المبالغة والتأكيد على بعدهم وتنصلهم من هذا الشرك.

يقول ابن عاشور في هذا المعنى: (وذكرهم الرب بالإضافة إلى ضميرهم مبالغة في التنصل من الشرك أي: لا ربّ لنا غيره)[3].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم كان بدافع الكبر والعناد حيث كانوا يعرفون صدقه فيما يدعوهم اليه ولذلك فهم هنا يعتمدون على علم الله بما كان في نفوسهم من معرفتهم لصدقة صلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٤٠٣.

(٢) نظم الدرر، ج٧، ص٨١.

(٣) التحرير والتنوير، ج٧، ص١٧٧.

الله عليه وصلم فيحلفون انهم لم يكونوا مشركين في حقيقة الامر ظانين ان ذلك سوف ينفعهم في ذلك المقام

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٢].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿ فَكَيْفَ ﴾: هذا بيان لعاقبة أمرهم أي: كيف تكون حالهم وكيف يصنعون؟ [١].

﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: أي: وقت إصابتهم فإنهم يعجزون عند ذلك ولا يقدرون على الدفع ضد أي نوع من المصائبأوالمراد بذلك قتل عمر رضي الله عنه بشراً[٢].

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بسبب ما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم[٣].

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾: أي أصحاب القتيل من المنافقين[٤].

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾: حال[٥].

﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك[٦].

﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾: إلى خصومنا لا إساءة[٧].

---

(١) الكشاف؛ ج١ ص٤٠٤، فتح القدير ج١ ص٤٧٥

(٢) فتح القدير ج١ ص٤٧٥، تفسير النسفي، ص٨٥١.

(٣) الكشاف؛ ج١ ص٤٠٤، تفسير النسفي، ص٨٥١.

(٤) تفسير النسفي، ص٨٥١.

(٥) تفسير النسفي، ص٨٥١.

(٦) الكشاف؛ ج١ ص٤٠٤، تفسير النسفي، ص٨٥١.

(٧) تفسير النسفي، ص٨٥١.

﴿وَتَوۡفِيقًا﴾: بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هم المنافقون.

المقسم به: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم عليه: هو أن غرضهم وقصدهم من التحاكم إلى غير الرسول ﷺ هو الإحسان والتوفيق بين الخصمين، وليس الإساءة أو المخالفة لحكمه ﷺ.

أداة القسم: هي الباء.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إثبات حسن قصدهم ونيتهم وتبرير موقفهم حينما تركوا التحاكم إلى النبي ﷺ وتحاكموا إلى غيره، حيث أنهم فسروا تحاكمهم إلى غير النبي ﷺ بأنهم يقدرون أن يرفعوا أصواتهم عند غيره ولا يرفعونها عنده تأدباً معه عليه الصلاة والسلام، أو أنهم أرادوا الهرب من الحق الذي يحكم به إلى غيره ليحكم بغير الحق أو بما يكون فيه تراض بينهم وبين خصمهم، فأرادوا بهذا القسم تحويل حقيقة موقفهم المبغض للنبي ﷺ ودينه وحكمه ومحبة التحول عنه، فما تخفيه صدورهم غير ما يقسمون عليه ولذلك قاتل الله تعالى في الآية التي بعد هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغًا ٦٣﴾ [النساء:٦٣]، فهم في حال الرخاء يطلبون التحاكم إلى غير النبي ﷺ، وكذلك وقت المصيبة والشدة هواهم غير ما جاء به النبي ﷺ.

---

(١) الكشاف؛ ج١ ص٤٠٤، تفسير النسفي، ص٨٥١.

قال الرازي- رحمه الله - بعد أن بيّن الأقوال في اتصال الكلام أو وجود اعتراض فيه قال: (والغرض من هذا الكلام بيان أن ما في قلوبهم من النفرة عن الرسول ﷺ لا غاية له سواء غابوا أم حضروا وسواء بعدوا أم قربوا، ثم أنه أكد هذا المعنى بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾ [النساء:٦٣]. والمعنى أن من أراد المبالغة في شيء قال: هذا شيء لا يعلمه إلا الله يعني أنه لكثرته وقوته لا يقدر أحد على معرفته إلا الله تعالى، ثم عرف الرسول -عليه الصلاة والسلام - شدة بغضهم ونهاية عداوتهم ونفرتهم أعلمه أنه كيف يعاملهم فقال: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما أقدم المنافقون على جنايتهم العظيمة بالتحاكم إلى غير النبي ﷺ وحصل لهم ما حصل من قتل عمر للرجل الذي صدرت منه هذه الجناية، ولما كان ديدنهم الكذب وكفرهم وكذبهم معلوم للنبي ﷺ، ولما كان اسم الله تعالى الذي لا يطلق على غيره دالاً على الوحدانية ومن يقسم به فهو معتقد للواحدانية، ولما كانت جنايتهم عظيمة تستدعي إيجاد مبرر لها ويستدعي ذلك المبرر ما يصدقه ويدعمه، ولما كان القسم من الأهمية في التأكيد بمكان يعلمونه أقسموا بالله تعالى على حسن قصدهم وسلامة طويتهم ونيتهم وأنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى غير النبي ﷺ إلا الإحسان والتوفيق، ولم يقصدوا الإساءة أو الخروج على حكمه عليه الصلاة والسلام، فهم يقسمون بالله لإثبات توحيدهم ظناً منهم أن ذلك مقبول منهم، ويقسمون على قصد الإحسان والتوفيق ليعفى عنهم إذا نتج عن فعلهم خطأ ويقسمون بالله على حسن نيتهم

---

(1) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص١٢٢-١٢٣.

ليثبتوا سلامة قلوبهم ليحيلوا السامع عن التثبت من غرضهم إلى علم الله تعالى، ولذلك رد الله - عز وجل - عليهم بما يبين ضد قولهم فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾، وليس فيها إلا الكذب والبغض لمحمد عليه الصلاة والسلام ودينه وحكمه.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان طبيعة المنافقين الجبن والخوف والمبادرة الى نفي التهم والاقسام عليها باغلظ الايمان حتى ولو لم يرمهم بها احد فهم هنا ارادوا تاكيد ايمانهم فاقسموا بالله (لفظ الجلالة)الذي هو الاسم الاعظم بما يعرفون له من الهيبة والعظمة عند النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه انهم ما ارادوا الا الاحسان والتوفيق جريا على عادتهم عندما يشعرون بالخوف من امر ما فيبادرون الى الاقسام واليمين ولذلك رد الله عز وجل عليهم بما يبين ضد قولهم فقال تعالى:{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ } التي ملئت بالفساد والبغض للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

المبحث الثاني: القسم بالقرآن الكريم والتناسب بينه وبين المقسم عليه وأمثلة ذلك من القرآن الكريم

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:١-٣].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿يسٓ﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا إنسان في لغة طيئ، وعن ابن الحنفية: يا محمد، وقيل: يا سيد[١].

قال ابن كثير-رحمه الله-: (... وإنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها)[٢].

﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: الواو للقسم والقرآن علم بالغلبة على الكتاب الموحى به إلى محمد ﷺ من وقت مبعثه إلى وفاته للإعجاز والتشريع[٣].

﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم، فوصف بصفة المتكلم به ويجوز أن يكون بمعنى المحكم بفتح الكاف أي المجعول ذا إحكام والإحكام الإتقان بماهية الشيء فيما يراد منه[٤].

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست

---

(١) انظر: تفسير النسفي؛ ص٩٨٣؛ التحرير والتنوير؛ ج٢٢ ص٣٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٨

(٣) تفسير النسفي، ص٩٨٣.

(٤) انظر: الكشاف؛ ج٤ ص٥، تفسير النسفي؛ ص٩٨٣.

مرسلاً[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو القرآن الحكيم.

المقسم عليه: أن النبي ﷺ من المرسلين.[2]

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمات هو إثبات رسالة النبي محمد ﷺ، وأنه أرسل لينذر قومه السادرون في غفلتهم المنهمكون في غيهم وشركهم بالله تعالى.

وقد أورد الرازي بياناً للحكمة من القسم هنا فقال: (الكفار أنكروا كون محمداً مرسلاً والمطالب تثبت بالدليل لا بالقسم، فما الحكمة في الإقسام؟ نقول فيه وجوه:

الأول: هو أن العرب كانوا يتوقون الأيمان الفاجرة، وكانوا يقولون أ اليمين الفاجرة توجب خراب العالم، ثم إنهم كانوا يقولون أن النبي ﷺ يصيبه من آلهتهم عذاب وهي الكواكب، فكان النبي ﷺ يحلف بأمر الله وإنزال كلامه عليه وبأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب، بل كان كل يوم أرفع شأناً وأمنع مكاناً، فكان ذلك يوجب اعتقاد أنه ليس بكاذب.

---

(١) تفسير النسفي، ص٩٨٣.

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون؛ ج٩ ص٢٤٥.

الثاني: هو أن المتناظرين إذا وقع بينهم كلام وغلب أحدهما الآخر بتمشية دليله وأسكته يقول المطلوب أنك قررت هذا بقوة جدالك وأنت خبير في نفسك بضعف مقالك، وتعلم أن الأمر ليس كما تقول وإن أقمت عليه صورة دليل وعجزت أنا عن القدح فيه، وهذا كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لأن الساكت المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الأول فلا يجد أمراً إلا اليمين، فيقول والله إني لست مكابراً وإن الأمر على ما ذكرت ولو علمت خلافه لرجعت إليه، فههنا يتعين اليمين فكذلك النبي ﷺ لما أقام البراهين وقالت الكفرة: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ:٤٣]. تعين التمسك بالإيمان لعدم فائدة الدليل.

الثالث: هو أن هذا ليس مجرد الحلف، وإنما دليل خرج في صورة اليمين لأن القرآن معجزة ودليل كونه مرسلاً هو المعجزة والقرآن كذلك، فإن قيل فلم لم يذكر في صورة الدليل ؟ وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين ؟ قلنا الدليل أن ذكره في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع، فلا يقبله فؤاده فإذا ابتدئ به على صورة اليمين واليمين لا يقع لاسيما من العظيم إلا على أمر عظيم والأمر العظيم تتوافر الدواعي على الإصغاء إليه فلصورة اليمين تشرئب إليه الأجسام، ولكونه دليلاً شافياً يتشربه الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب)[1].

وقال ابن عاشور: (والقسم بالقرآن كناية عن شرف قدره وتعظيمه عند الله تعالى، وذلك هو المقصود من الآيات الأولى من هذه السورة، والمقصود من هذا القسم تأكيد الخبر مع ذلك التنويه)[2].

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) التحرير والتنوير، ج٢٢، ص٣٤٥.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به وهو القرآن الحكيم والمقسم عليه وهو إثبات رسالة النبي ﷺ هي: أنه لما أنكر المشركون رسالة النبي ﷺ إنكاراً يلزم منه إثبات هذه الرسالة بما يناسب عظمتها من الإثبات، ولما كان هذا الإنكار من القوة بحيث يستدعي إثباتاً أقوى منه أقسم الله تعالى على إثبات رسالة النبي ﷺ بالقرآن الحكيم الذي يعتقد المشركون صدق الإقسام به لصدق اعتقاد النبي ﷺ فيه، ولما استقر عندهم من صدق وأمانة محمد ﷺ، حيث أن القرآن هو دليل رسالته وهو الذي جاء به ويعلمون صدق اعتقاده فيه، فناسب أن يقسم على صدق رسالته بدليلها ومعجزتها التي أبهرتهم وعجزوا أن يأتوا بمثلها، فيكون القسم بالقرآن دليلاً مضافاً إلى ذات القرآن في الدلالة على صدق محمد ﷺ.

قال الرازي: (أن العاقل لا يثق بيمين غيره إلا إذا حلف بما يعتقد عظمته، فالكافر إن حلف بمحمد لا نصدقه كما نصدقه لو حلف بالصليب أو الصنم، ولو حلف بديننا الحق لا يوثق بمثل ما يوثق به لو حلف بدينه الباطل، وكان من المعلوم أن النبي ﷺ وأصحابه يعظمون القرآن، فحلفه به هو الذي يوجب ثقتهم به)[1].

قال البقاعي – رحمه الله –: (ولما تقدم في الملائكة إثبات رسالة النبي ﷺ وتهديد قومه على النفرة عنه وأن مرسله بصير بعباده عالم بما يصلحهم ومن يصلح منهم للرسالة وغيرها، وكان مدار مادة قرأ كما مضى في سورة الحجر الجمع مع الفرق، وكان ذلك أعلى مقامات السائرين إلى الله، وهو وظيفة القلب عبر في القسم بقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ ووصفه بصفة القلب العارف فقال ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ أي الجامع من الدلالة على العلم المزين بالعمل والإرشاد إلى العمل المحكم بالعلم.

ولما كان قد أثبت في سورة الملائكة أنه سبحانه الملك إلا على لما ثبت له من تمام

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص٢٥٢.

القدرة وشمول العلم، وكان من أجل ثمرات الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك وردهم عما هم عليه، مما دعت إليه النفوس وقادتهم إليه الشهوات والحظوظ إلى ما يفتحه لهم من الكرم ويبصرهم به من الحكم، وكانت الرسالة أحد الأصول الثلاثة التي تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، وكانت هي المنظور إليها أولاً لأنها السبب في الأصلين الآخرين، وكانوا قد ردوا رسالته نفوراً واستكباراً قال مقدماً لهم تقديم السبب على مسببه على وجه التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذي لا يحتمل لبساً: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورانية كالملائكة الذين قدم في السورة الماضية أنهم رسله وفي عدادهم بما تخلقوا به من أوامره ونواهيه وجميع ما يرتضيه، ولما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره ﷺ لأنه أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً، فكانوا في الحقيقة إنما هم ممهدون لشرعه، وكان سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق، وكان قد جعل سبحانه من المكارم ألا يكلم الناس إلا بما تسع عقولهم، وكانت عدة المرسلين كما في حديث أبي إمامة الباهلي عن أبي ذر رضي الله عنهما عند أحمد في المسند ثلاثمائة وخمسة عشر، وفيه أن الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وهو في الطبراني الكبير عن أبي إمامة رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فذكر عدد الرسل فقط وكانت عقول العرب لاتسع بوجه قبل الإيمان أنهم منه أقسم سبحانه ظاهراً أنه منهم ورمزاً للأصفياء باطناً إلى أنهم منه بجعلهم عدد أسماء حروف اسمه محمد ﷺ الذي رمز إليه بالحرفين أول السورة، فكانه قال: إنك يا ياسين الذي تأويله محمد الذي عدد أسماء حروفه بعددهم لأصلهم، فصار رمزاً في رمز وكنزاً نفيساً داخل كنز وسراً من سر وبراً إلى بر، وهو أحلى في منادمة الأحباب من صريح الخطاب)[1].

وقال ابن عاشور: (وجملة ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم وتأكيد هذا

---

(1) نظم الدرر، ج٦، ص٢٤٣-٢٤٤.

الخبر بالقسم وحرف التأكيد ولام الابتداء باعتبار كونه مراداً به التعريض بالمشركين الذين كذّبوا بالرسالة، فهو تأنيس للنبي ﷺ وتعريض بالمشركين فألتاكيد بالنسبة إليه زيادة تقرير، وبالنسبة للمعنى الكنائي لرد إنكارهم والنكت لا تتزاحم)[1].

فردّ الله تعالى على إنكارهم للرسالة بإثباتها عن طريق القسم بدليلها، وهو القرآن الكريم.

وقال أبوالسعود: (وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولاً وبوصفه بالحكيم ثانياً تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته ﷺ من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية أيضاً لما أن الإقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق مضمون الجملة القسمية وتقويةً لثبوته، فيكون شاهداً به ودليلاً عليه قطعاً)[2].

وقال الشيخ السعدي-رحمه الله -: (ولا يخفى ما بين المقسم به وهو القرآن الحكيم وبين المقسم عليه وهو رسالة محمد ﷺ من الاتصال، وإنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلاً وشاهداً على رسالة محمد، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد ﷺ)[3].

والقسم بالقرآن دليل ثبوته وشرفه، وثبوته ثبوت للرسالة التي هو جزء منها وهذه هي العلاقة بين المقسم به وهو القرآن والمقسم عليه وهو إثبات رسالة محمد ﷺ، ومما يزيد في التأكيد على ذلك ما ورد آنفا من وجود المؤكدات اللفظية بأن والضمير واللام، وكل هذه زيادة في قوة العلاقة والتأكيد على الرسالة، وبهذا تتبين

---

(١) التحرير والتنوير، ج٢٢، ص٣٤٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٧، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ج٤، ص٦٣٨.

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة والله أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المنا سبة بين المقسم به والمقسم عليه على التنويه بالقران الكريم وشرفه حيث اقسم به الله تعالى على ثبوت الرسالة فجعله دليلا لها وشاهدا على ثبوتها وهذا دليل شرفه وعلو مكانته

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿صٓ﴾: ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه، ويجوز أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم للسورة كأنه قال: هذه ص أي هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر، كما تقول هذاحاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء، وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال: أقسمت بص والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز[١].

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾: الواو للقسم أقسم بالقرآن قسم تنويه به {القرآن} أي: الجامع - مع البيان لكل خير - لأتباع لا يحصيهم العد ولا يحيط بهم الحد[٢].

﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾: ذي تضاف إلى الأشياء الرفيعة، فتجري على متصف مقصود التنويه به ومعنى ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ ذي الشرف والموعظة والتذكير للناس بما هم عنه غافلون، ويجوز بالذكر ذكر اللسان وهو على معنى الذي يذكر بالبناء للنائب أي والقرآن المذكور أي الممدوح المستحق الثناء أنه لكلام معجز[٣].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص٣٦٥؛ تفسير النسفي،.١٠١٤

(٢) نظم الدرر، ج٦، ص٢٤٣.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص٣٦٥؛ تفسير النسفي، ١٠١٤؛ نظم الدرر، ج٦، ص٣٥٧؛ التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٠٣.

المقسم به: هو القرآن ذي الشرف والمكانة العالية.

المقسم عليه: محذوف تقديره إنه لمعجز دلّ عليه وجود التحدي في أول الكلام، وهذا قول الزمخشري[١]، وقال قتادة[٢]: أي ما الأمر كما تزعمون واختاره الطبري وابن عطية والإمام الشنقيطي[٣].

وقيل: مثل هذا القسم لايحتاج إلى جواب لكون الجواب معلوماً ويدل على ذلك قول ابن القيم -رحمه الله-: (وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف، وإما بدلالة الحال.... أو بدلالة السياق وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه، وهي طريقة القرآن، فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز....، ومن هذا قوله تعالى: إن﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾، ف في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ﴿ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه وللشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه، وكونه حقاً غير مفترى كما يقوله الكافرون، وهذا معنى قول كثير من المفسرين متقدميهم ومتأخريهم: أن الجواب محذوف تقديره: إن القرآن لحق وهذا مطرد في كل من شأنه ذلك)[٤].

---

(١) الكشاف، ج٣، ص٩١٨.

(٢) أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن غنى السدوسي البصري، وقيل: هو قتادة بن دعامة بن عكاشة بن عزيز بن كريم بن عمرو بن الحارث السدوسي، وكان أعمى، وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه، وكان ولد ضريراً، فلما ترعرع شرع في تحصيل العلم، وصار من حفاظ أهل زمانه، وجالس الحسن اثنتي عشرة سنة يروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٢٧

(٣) انظر: جامع البيان، ج٢٠، ص١٠؛ المحرر الوجيز، ج٢، ص٤١٦؛ أضواء البيان، ج٧، ص٩.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ص٢٤-٢٥.

قال الإمام الشنقيطي: (اعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ فقال بعضهم: إن المقسم عليه مذكور والذين قالوا أنه مذكور اختلفوا في تعيينه وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط) ثم أخذ رحمه الله في سردها بقوله: (فمنهم من قال:.....) وفي نهايتها قال رحمه الله: (إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سقوطها.

وقال بعض العلماء: أن المقسم عليه محذوف واختلفوا في تقديره، فقال الزمخشري في الكشاف التقدير ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إنه لمعجز، وقدّره ابن عطية وغيره فقال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ما الأمر كما يقوله الكفار إلى غير ذلك من الأقوال.

قال مقيده[1] - عفا الله عنه وغفر له -: الذي يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن: إن جواب القسم محذوف وإن تقديره ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ وإن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة.

الأول: منها أن النبي ﷺ مرسل من الله حقاً، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

والثاني: أن الإله المعبود -جلّ وعلا-واحد، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

والثالث: أن الله- جل وعلا- يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: {واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ

---

(١) هذه العبارة من كلام تلميذ الإمام الشنقيطي الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله الذي أكمل تفسير أضواء البيان بعد موت شيخه رحمهما الله.

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٣٨] } .....

أما دلالة القرآن على أن المقسم عليه محذوف، فهو قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص:٢]؛ لأن الإضراب بقوله بل دليل واضح على المقسم عليه المحذوف أي ما الأمر كما يقوله الذين كفروا، بل الذين كفروا في عزة أي حمية وأنفةٍ واستكبار عن الحق، وشقاق أي مخالفة ومعاندة.

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة فدلالته آيات كثيرة.....)[1].

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إظهار التحدي بهذا القرآن الكريم لهؤلاء المعاندين الذين نزلت هذه الآيات فيهم، فكأنه يقول لهم من حرف صاد وأمثاله يتكون هذا القرآن، لكنه ليس ككلامكم، بل هو رفيع المنزلة عظيم المكانة وأنتم أقل وأضعف من أن تأتوا بمثله، ولذلك أقسم على شرفه ورفعته، وأضرب عن جواب القسم ببيان تعززهم وتكبرهم عن الإذعان للحق ريع الشأن، ومحاولتهم مطاولته بالعناد والتكبر، ولكنهم مهما بلغوا لن يصلوا إليه؛ فترك الجواب عن القسم لأنه مفهوم من مجرد صدور القسم والإضراب عنه أبلغ من ذكره.

قال ابن عاشور: (وقد تردد المفسرون في تعيين جواب القسم على أقوال سبعة أو ثمانية وأحسن ما قيل فيه هنا أحد وجهين:

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؛، ص٨-١٠؛ الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

أولهما: أن يكون محذوفاً دلّ عليه حرف ص، فإن المقصود منه التحدي بإعجاز القرآن وعجزهم عن معارضتهم بأنه كلام بلغتهم ومؤلف من حروفها، فكيف عجزوا عن معارضته والتقدير: والقرآن ذي الذكر إنه لمن عند الله لهذا عجزتم عن الإتيان بمثله.

وثانيهما: الذي أرى أن الجواب محذوف أيضاً دلّ عليه الإضراب الذي في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ بعد أن وصف القرآن بـ﴿ذِي ٱلذِّكْرِ﴾؛ لأن ذلك الوصف يشعر بأنه ذكر وموقظ للعقول، فكأنه قيل: إنه لذكر ولكن الذين كفروا في عزة وشقاق يجحدون ويقولون: سحر مفترى وهم يعلمون أنه حق، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]. فجواب القسم محذوف يدل عليه السياق، وليس حرف ص هو المقسم عليه أي ليس دليل الجواب من اللفظ، بل من المعنى والسياق.

والغرض من حذف جواب القسم هنا الإعراض عنه إلى ما هو أجدر منه بالذكر، وهو صفة الذين كفروا وكذّبوا القرآن عناداً أو شقاقاً منهم)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما تكبر كفار قريش عن الإيمان بالقرآن، ولما كان كفرهم به يستدعي إظهار فضله عليهم وشرفه العالي عنهم، ولما كان التأكيد على ذلك أمراً في غاية الأهمية أقسم الله تعالى بالقرآن ذي الشرف والرفعة والمكانة العالية على أن القرآن الكريم معجز لهم بعيد الوصول إلى الإتيان بمثله قليلاً كان أم كثيراً، فأقسم بالقرآن على إعجازه للكفار، وهذا من أكبر التحدي، فقد أقسم بالقرآن لشرفه وبيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ مما يرد على تكبرهم وعنادهم، وعلى أن الذي جاء بالقرآن الكريم مرسل حقاً، وأن الله

---

(١) التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٠٤.

تبارك وتعالى واحد قادر على أن يبعث من في القبور، ولم يذكر المقسم عليه في الجملة للدلالة عليه من السياق كما قال ابن عاشور:

(وثانيهما الذي أرى أن الجواب محذوف أيضاً دلّ عليه الإضراب الذي في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ بعد أن وصف القرآن بـ ﴿ذِي ٱلذِّكْرِ﴾؛ لأن ذلك الوصف يشعر بأنه مذكر وموقظ للعقول فكأنه قيل: أنه لذكر، ولكن الذين كفروا في عزة وشقاق يجحدون ويقولون: سحر مفترى وهم يعلمون أنه حق، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، فجواب القسم محذوف يدل عليه السياق، وليس حرف ص هو المقسم عليه أي ليس دليل الجواب من اللفظ، بل من المعنى والسياق)[1].

وأما المقسم عليه فإن المخاطبين هنا جاحدون له ومتكبرين عليه، فاستدعى الأمر إثباته وذكر شرفه وعلو مكانته في القسم، وقد دل على صدق الرسالة وتحقق ما فيها؛ وقد وصفه بهذا الوصف ليكون رداً على كبرهم وتعاليهم على محمد ﷺ، وما دعا إليه من **الإيمان بالله وحده؛ وليكون رداً على إنكارهم للقرآن وجحوده وترك الإيمان به، وليكون أدعي للثقة بالقسم إذا تبيّن للمخاطب علوه وشرف مكانته عند المقسم به.**

قال البقاعي: (ولما كان القسم لا يليق ولا يحسن إلا بما يعتقدالمقسم له شرفه قال: ﴿ذِي ٱلذِّكْرِ﴾)[2].

وقال المراغي[3]: (إنهم ما كفروا به لأنهم لم يجدوا فيه ما يصلح حالهم في

---

(١) التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٠٤.

(٢) نظم الدرر، ج٦، ص٣٥٧.

(٣) أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس، وعُين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة١٣٧١ هـ. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام) رسالة، و

دينهم ولا دنياهم، بل كذّبوا به لاستكبارهم عن إتباع الحق ومشاقتهم لرسول الله ﷺ وحرصهم على مخالفته).

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على اعجاز القران الكريم وان الله تعالى قد تحدى به كفار قريش وهو المكون من لغتهم ان ياتوا بمثله واقسم على ذلك بالقران نفسه

(الوجيز في أصول الفقه) مجلدان، و (تفسير المراغي) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة). انظر : الأعلام ج١ ص٢٥٨

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾ [الطور:١-٣].

وسيتم الكلام على هذا الموضع بالتفصيل في الفصل القادم إن شاء الله تعالى، حيث أن فيها تعدد للقسم ومن ضمن الأمور التي أقسم الله بها القرآن الكريم.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:١-٤].

أولاً: تفسيرمفردات الآية الكريمة:

﴿حمٓ﴾: أي هذه حم[١].

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: أقسم بالكتاب المبين، وهو القرآن والمبين البين للذين أنزل عليهم؛ لأنه بلغتهم وأساليبهم، أو الواضح للمتدبرين، أو الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة من أبواب الديانة)[٢].

﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ﴾: صيَّرْناه معدى إلى مفعولين[٣].

﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾: جواباً للقسم[٤].

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: لكي تفهموا معانيه فإن العقول هي المحتاجة إلى التحقيق والتأكيد، لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم إزاحة أعذارهم[٥].

﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وإن القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج:٢١-٢٢] وسمي أم الكتاب؛ لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٦١٦.

(٢) تفسير النسفي، ص١٠٩٥.

(٣) الكشاف ج٤ ص١٨٠

(٤) انظر: الدر المصون ج٩ ص٢٤٥، تفسير النسفي، ص١٠٩٥.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٢٦

(٦) تفسير النسفي، ص١٠٩٥.

﴿لَعَلِيٌّ﴾: خبر إن أي في أعلى طبقات البلاغة، أو رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزاً من بينها شريفا من بين الكتب السماوية[1].

﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة وهو خبر ثان[2].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: الكتاب المبين الواضح، وهو القرآن الكريم.

قال أبو السعود: (بالجر على أنه مقسم به)[3]

المقسم عليه: هو كون القرآن نزل باللغة العربية لتفهم معانيه وتعقل، وكونه محفوظ في اللوح المحفوظ.

قال أبو السعود: (جواب للقسم)[4]

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو: التأكيد على أن الله تعالى جعل القرآن عربياً واضحاً؛ لكي يصل إلى عقولهم فيكون له أثر عليهم بأن يصدقوا به ويؤمنوا به.

قال ابن عاشور- رحمه الله -: (أقسم بالكتاب المبين، وهو القرآن على أن

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٢٦

(٢) الكشاف ج٤ ص١٨٠

(٣) انظر: الدر المصون ج٩ ص٢٤٥، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٢٦

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٢٦

القرآن جعله الله عربياً واضح الدلالة، فهو حقيق بأن يصدقوا به لو كانوا غير مكابرين، ولكنهم بمكابرتهم كانوا كمن لا يعقلون.

فالقسم بالقرآن تنويه بشأنه، وهو توكيد لما تضمنه جواب القسم إذ

ليس القسم برافع لتكذيب المنكرين إذ لا يصدقون بأن المقسم هو الله تعالى، فإن المخاطب بالقسم هم المنكرون بدليل قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وتفريع ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف:٥] عليه وتوكيد الجواب بـ{إن} زيادة توكيد للخبر أن القرآن من جعل الله)[١].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما كذّب المشركون بالقرآن الكريم وطعنوا فيه أقسم الله تعالى بالقرآن المبين على أن الله تعالى جعله عربياً واضحاً لهم؛ لكي يفهموا معانيه ويعقلوها فيؤمنوا بها ويصدقوها، وأن هذا الكتاب الذي أُنْزِلَ على محمد ﷺ في أمّ الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ ذا مكانة ورفعة وشرف.

فأقسم بالكتاب المبين على كونه عربياً، والمبين هو الواضح البيِّن، ومن بيانه ووضوحه وسهولة فهمه أنْ جعله الله عربياً بلغتهم ولسانهم، ولم يُجعل بلسان أخرى، فتكون لهم الحجة في عدم الإيمان به أنهم لم يفهموه.

قال النسفي[٢]: (وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٠، ص١٥٩.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها.نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند.له مصنفات جليلة، منها " مدارك التنزيل – ط " ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و " كنز الدقائق – ط " في الفقه، و " المنار – ط " في أصول الفقه توفي سنة ٧١٠هـ

عليه)[1].

وقال ابن عاشور: (وفي جعل القرآن المقسم به بوصف كونه مبيناً؛ وجعل جواب القسم أن الله جعله مبيناً تنويه خاص بالقرآن إذ جعل المقسم به هو المقسم عليه، وهذا ضرب عزيز بديع؛ لأنه يومئ إلى أن المقسم على شأنه بلغ غاية الشرف، فإذا أراد المقسم أن يقسم على ثبوت صاحب شرف له لم يجد ما هو أولى بالقسم للتناسب بين القسم والمقسم عليه)[2].

وقال البقاعي: (افتتح هذه بتعظيم هذا الوحي بالإقسام به؛ حثاً على تدبر ما فيه من الوجوه التي أوجبت أن يكون قسماً ثم تعظيم أثره...)[3].

وقال أيضاً: (ولما كانوا ينكرون أن يرجعوا به عما هم فيه، وأن يكون من عند الله أكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى من سورة الشورى أنه نور وهدى وروح معبراً بالجعل لذلك دون الإنزال؛ لأنه قد دل عليه جميع السور الماضية تارةً بلفظه وأخرى بلفظ الوحي، فقال مقسماً بالكتاب على عظمة الكتاب قال السمين: ومن البلاغة عندهم كون القسم والمقسم عليه من واد واحد، وهذا إن أريد بالكتاب القرآن، فإن أريد به أعم منه كان بعض القسم به وصرف القول إلى مظهر العظمة تشريفاً للكتاب...)[4].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على التنويه بشرف القران الكريم وانه قد بلغ شانا عظيما حتى انه لم يجد اشرف منه ليقسم به على ثبوته والله اعلم

---

(١) انظر: تفسير النسفي، ص١٠٩٥، وهو منقول بنصه عن الكشاف ج٤ ص١٨٠

(٢) التحرير والتنوير، ج١٠، ص١٥٩.

(٣) نظم الدرر، ج٧، ص٤.

(٤) نظم الدرر، ج٧، ص٤؛ الدر المصون، ج٩ ص٥٧١.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:١-٤].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: أي القرآن، الواو في الكتاب واو القسم[١].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾: الضمير يعود على الكتاب الذي هو القرآن[٢].

﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾: أي ليلة القدر، قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل في وقت وقوع الحاجة إلى نبيه محمد ﷺ، وقيل: ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة كثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة[٣].

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ﴾: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم، ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تجيء في السنة المقبلة[٤].

﴿حَكِيمٍ﴾: ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة، ففيها يفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم[٥].

---

(١) تفسير النسفي، ص١١٠٩.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٤٧

(٣) تفسير النسفي، ص١١٠٩.

(٤) الكشاف ج٤ ص٢٠٦

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٤٧

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: القرآن المبين الواضح.

المقسم عليه: هو إنزال الله تعالى للقرآن الكريم في ليلة القدر.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة هو إثبات نزول القرآن الكريم في هذه الليلة المباركة، فقد أقسم الله تعالى بالقرآن على نزوله في هذه الليلة، وهو النزول من اللوح المحفوظ ويؤيد ذلك ما روي أن عطية الحروري[1]، سأل ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن في جميع الشهور؟ فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يا ابن الأسود لو هلكت هنا ووقع هذا في نفسك، ولم تجد جوابه هلكت نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك في أنواع الوقائع حالاً حالاً والله اعلم[2].

---

(١) عطية بن الأسود اليمامي الحنفي، من بني حنيفة: من علماء الخوارج وأمرائهم. كان في أيام " نافع بن الأزرق " ولما قال نافع بتكفير " القعدة " فارقه مع آخرين، وانصرف إلى " نجدة بن عامر"، فبايعه. ثم أنكر على نجدة أنه كان يرى الجهل بالشريعة عذراً لمن خالفها، ففارقه مع أبي فديك (عبد الله بن ثور)، ثم برئ من أبي فديك، فانقسم الخوارج إلى فرقتين: " فديكية " تتبع أبا فديك، و " عطوية " على مذهب عطية، ورحل عطية إلى سجستان، فكان من في بلاد سجستان وخراسان من الخوارج، عطوية كلهم توفي سنة ٧٥ هـ. انظر: الأعلام ج٤ ص٢٣٧

(٢) مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٦٥٤.

وإنما جاء شرف هذه الليلة وبركتها من شرف القرآن الكريم والمقصود من نظم الآيات هو: تعظيم القرآن الكريم من ثلاثة وجوه: الأول بحسب ذاته، حيث أقسم الله به وكذلك أقسم على كونه نازلاً في ليلة مباركة والقسم بالشيء على حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف، ووصفه بكونه مبيناً، وذلك يدل أيضاً على شرفه في ذاته.

والثاني: وهو شرفه لأجل الوقت الذي نزل فيه، فهو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وهذا تنبيه على أن نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه وجلالته.

والثالث: وهو شرف القرآن لأجل منزلته، وذلك هو قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان:٥-٦]. فالإنذار والإرسال حصل من الله تعالى، ثم بيّن إنما كان لأجل تكميل الرحمة، وهو قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، وكان الواجب أن يُقال رحمةً منا إلا أن وضع الظاهر موضع المضمر إيذاناً بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين؛ ثم بيّن أن تلك الرحمة وقعت وفق حاجات المحتاجين لأنه تعالى يسمع تضرعاتهم ويعلم أنواع حاجاتهم، فلهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الدخان:٦][1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به و المقسم عليه في هذه الآية الكريمة هي: أنه لما كان القرآن شريفاً جليلاً، وكان الوقت الذي أُنزل فيه شريفاً جليلاً مكتسباً شرفه وجلالته من شرف القرآن وجلالته، ولما كانت ليلة نزوله هي أشرف ليالي الدهر لما يحصل فيها من الأمور العظيمة، والتي من أعظمها نزول القرآن فيها، وما يحدث فيها من الأمور العظيمة التي تفرق وتفصل فيها لما كان الأمر كذلك، ولما كانت تلك الأمور العظيمة من تدبير الله تعالى وكل ما فيها من رحمة الله تعالى لعباده،

---

(١) مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٦٥٤.

حيث هو السميع لدعائهم وطلبهم والعالم باحتياجاتهم ومتطلباتهم الميسر لأمورهم، ولما كان المشركون يطعنون في القرآن ويقولون عنه مقالات سيئة لما كان الأمر كذلك أقسم الله تعالى بالكتاب المبين الذي هو القرآن على إنزاله في تلك الليلة المباركة التي تستمد شرفها وبركتها من شرفه وبركته؛ رداً على مقالاتهم وإثباتاً لشرف القرآن الكريم وعظمته مفنداً كل مقالات الكفار الطاعنين فيه، فالله – عز وجل – أقسم بالقرآن على نزوله في ليلة مباركة.

فالقرآن الكريم مبارك وأُنزل في ليلة مباركة، ولذلك تجتمع البركة كلها لمن أخذ القرآن وعمل به وقرأه وتدبر معانيه.

قال البقاعي: (لما ختمت سورة الزخرف ببشارة باطنة ونذارة ظاهرة، وكان ما يبشر به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعداً افتتح هذا بمثل ذلك مقسماً عليه، فقال: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾...[1].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على شرف القران الكريم وبركته وفضله لمن اخذه وعمل به فهو كتاب مبارك انزل في ليلة مباركة فجمع البركة من اطرافها وضم الشرف من جميع جوانبه

(١) نظم الدرر، ج٧، ص٦٢.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق:١].

أولاً: تفسيرمفردات الآية الكريمة:

﴿ق~﴾: قيل اسم جبل محيط بالعالم ذكره الرازي، وقد ردّ هذا القول ابن عاشور – رحمه الله–[١]، وقيل معناه حكمة هي قولنا قضي الأمر[٢].

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾: أي الكتاب الجامع الفارق، وهذا قسم بالقرآن[٣].

﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾: ذو المجد والشرف على غيره من الكتب، ومن أحاط علماً بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس، والمجيد العظيم والمجيد كثير الكرم[٤].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو القرآن المجيد صاحب الشرف في نفسه المشرف لمن أخذه.[٥]

المقسم عليه: محذوف، وتقديره إن هذا القرآن لمعجز، وإن محمداً لمنذر، وإن الرجع بعد الموت لحاصل وكائن دلّ عليه قوله تعالى بعده: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٢-٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٧٦.

(٢) مفاتيح الغيب، ج١٠، ص١٢٠

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٧٦؛ نظم الدرر، ج٧، ص٢٤٦.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ج١٠، ص١٢٢؛ تفسير النسفي، ص١١٥٩؛ نظم الدرر، ج٧، ص٢٤٦.

(٥) تنوير العقول والأذهان ج١ ص٨٠

ويرى الرازي: أن المقسم عليه المحذوف تقديره أحد أمرين:

الأول: أن يكون التقدير إنك لمنذر دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [يس:١-٦].

والثاني: أن يكون التقدير أن الرجع لكائن دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الطور:١-٧ وقد رجح القول الأول[1].

وقال ابن عاشور: (وجواب القسم محذوف لتذهب نفس السامع في تقديره كل طريق ممكن في المقام، فيدل عليه ابتداء السورة بحرف ق المشعر بالنداء على عجزهم عن معارضة القرآن بعد تحديهم بذلك، ويدل عليه الإضراب في قوله: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾، والتقدير: والقرآن المجيد إنك لرسول الله بالحق، كما صرح به في قوله: ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، أو يقدر الجواب: إنه لتنزيل من رب العالمين أو نحو ذلك، كما صرح به في نحو: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]. ونحو ذلك والإضراب الانتقالي يقتضي كلاماً منتقلاً منه، والقسم بدون جواب لا يعتبر كلاماً تاماً، فتعين أن يقدر السامع جواباً تتم به الفائدة يدل عليه الكلام)[2].

وابن القيم يرى أن المقسم عليه هو القرآن قال- رحمه الله-: (وههنا اتحد المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن، فاقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه وأنه حق من عنده، ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه؛ أو لأن

---

(١) مفاتيح الغيب، ج١٠، ص١٢٢.

(٢) التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٧٧.

المقصود نفس المقسم به كما تقدم بيانه)[1].

قلت: ولا يوجد مانع لفظي ولا معنوي من إرادة ذلك كله لاسيما والكفار مكذبون بالرسالة والقرآن والبعث والله أعلم.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة هو التأكيد على حقيقة أن القرآن معجز، وأنه وأن رسالة محمد ﷺ حق، وأنه بعث لينذر قومه ويحذرهم والإنكار عليهم في عجبهم، مما أخبر به وحذرهم منه من البعث والحساب، وقد انتقل مباشرة من المقسم به إلى الإنكار عليهم في عجبهم، فقلوبهم المريضة تأبى أن يصدقوا بالقرآن الكريم، وبمن جاء به وهو محمد ﷺ، وبالغرض الذي جاء من أجله محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن، وهو الإنذار وأشد ما تمسكوا به في هذا الإنكار والتعجب أن يكون هذا المنذر منهم، فأنكر الله عليهم صنيعهم هذا فأضرب عن المقسم عليه، وانتقل إلى تفنيد مزاعمهم والرد عليهم.

قال ابن عاشور بعد أن تحدث عن تقدير جواب القسم والسبب في عدم ذكره في هذه الآيات قال: (وهذا من إيجاز الحذف وحسنه أن الانتقال مشعر بأهمية المنتقل إليه أي عد عما تريد تقديره من الجواب، وانتقل إلى بيان سبب إنكارهم الذي حدا بنا إلى هذا القسم كقول القائل دع ذا، وقول امرئ القيس[2]:

---

(1) التبيان في أقسام القرآن، ص٤٢٥.

(2) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة (نحو ١٣٠ - ٨٠ ق. هـ)، شاعر جاهلي يعد أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان، ويروى أن أمّه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين. وليس في شعره ما يثبت ذلك. انظر : الأعلام ج٢ ص١١

فـدع ذا وسـل الهـم عنـك بحسرـة ذمـول إذا صـام النهـار وهجـرا[1]

وقول الأعشى[2]:

فـدع ذا ولكـن رب أرض متيهـة قطعت بحرجوج إذا الليل اظلما[3]

وتقدم بيان نظيره عند قوله تعالى ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢]، وقوله ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ خبر مستعمل في الإنكار إنكاراً لعجبهم البالغ حد الإحالة)[4].

وقال أيضاً: (وضمير ﴿عَجِبُوٓاْ﴾ عائد إلى غيره مذكور، فمعاده معلوم من السياق أعني افتتاح السورة بحرف التهجي الذي قصد منه تعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن؛ لأن عجزهم عن الإتيان بمثله في حال أنه مركب من حروف لغتهم يدلهم على أنه ليس بكلام بشر، بل هو كلام أبدعته قدرة الله وأبلغه إلى رسوله ﷺ على لسان الملك، فإن المتحدين بالإعجاز مشهورون يعلمهم المسلمون، وهم أيضاً

---

(١) قائله هو امرؤ القيس وهو من قصيدته التي مطلعها:

سما بك شوق بعدما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

انظر ديوان امرء القيس؛ ص٦٣؛ ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبدالشافي؛ الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان؛ الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م

(٢) الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن الحصن بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل يكنى أبا بصير خرج إلى رسول الله ﷺ، ولكن قريشاً ردته بمائة ناقة إلى العام التالي، فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوحة قريةّ مشهورة من نواحي اليمامة رمى به بعيره فقتله. انظر الأعلام ج٧ ص٣٤١

(٣) قائله هو الأعشى وهو من قصيدته التي مطلعها:

ألم خيال من قتيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فتصرما

انظر ديوان الأعشى، ص٦١

(٤) انظر : التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٧٨.

يعلمون أنهم المعنيون بالتحدي بالإعجاز)[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

إنه لما كذبت قريش برسالة النبي ﷺ، وأبدوا العجب الشديد من أن ياتيهم رسول منهم ومن عودتهم الى الدنيا بعد ان يصبحزا ترابا وعظاما في قبورهم وكذبوا خبر القرآن في ذلك اقسم الله تعالى لهم بالقرآن المجيد ذي الرفعة والمجد والشرف على ان القرآن حق وما جاء فيه حق وان من علامة كونه من عند الله تعالى عجزهم أن ياتوا بمثله وتحديهم به رغم انه مؤلف من حروف لغتهم وان البعث حق كائن لامحالة حيث احاط علم الله تعالى بكل صغير وكبير ومن ضمن ذلك ما تنقص الارض منهم وهم في قبورهم

وقد أقسم الله تعالى بالقرآن المجيد على ذلك كله انكارا عليهم فيما اتوا به من الجرم العظيم حينما استنكروا ان يكون الرسول بشرا وحينما طعنوا في القرآن الكريم ونفوا البعث متعجبين مما اتهم به النبي ﷺ في هذه الامور جميعاً.

فأقسم بالقرآن على اثباتها جميعا فقسمه بالقرآن على ان القرآن معجز دليل ثبوته وعلى ان الرسول حق لان القرآن من معجزات رسالته وعلى ان البعث حق لان القرآن اثبته ووصفه بالمجيد وفي هذا الوصف دلالة على ان المقسم به ذا مكانة عظيمة استحق ان يكون مقسما به وقد استقر عندهم ان القسم لايكون الا بامر عظيم له شان ومكانة.

قال ابن عاشور رحمه الله: (قسم بالقرآن والقسم به كناية عن التنويه بشانه لان القسم لا يكون الا بعظيم عند المقسم فكان التعظيم من لوازم القسم)[2].

وقال ايضا: (وجواب القسم محذوف لتذهب نفس السامع في تقديره كل

---

(1) التحرير والتنوير، ج١٠، ص٢٧٨.

(2) التحرير والتنوير؛ ج٢٦ ص٢٧٦.

طريق ممكن في المقام فيدل عليه ابتداء السورة بحرف (ق) المشعر بالنداء على عجزهم عن معارضة القرآن بعد تحديهم بذلك او و يدل عليه الاضراب في قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ والتقدير: والقرآن المجيد انك لرسول الله بالحق كما صرح به في قوله: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أو يقدر الجواب: إنه لتنزيل من رب العالمين او نحو ذلك كما صرح به في نحو: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

ونحو ذلك والاضراب الانتقالي يقتضي- كلاما منتقلا منه والقسم بدون جواب لايعتبر كلاما تاما فتعين ان يقدر السامع جوابا تتم به الفائدة يدل عليه الكلام وهذا من ايجاز الحذف وحسنه ان الانتقال مشعر باهمية المنتقل اليه أي عد عما تريد تقديره من الجواب وانتقل الى بيان سبب انكارهم الذي حدا بنا الى هذا القسم)[1].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان القران الكريم معجز حيث اعجزهم الاتيان بمثله مع انه من حروف لغتهم وفي هذا تصديق لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ارسله الله تعالى تعالى لهم منذرا محذرا من موقف الخزي في البعث وقد كذبوا به فكل هذه دلائل على البعث افادتها المناسبة بين المقسم به وهو القران والمقسم عليه وهو كون القران معجزا ومحمد عليه الصلاة والسلام رسولا

(١) التحرير والتنوير ج٢٦ ص٢٧٧.

المبحث الثالث: القسم بعمر الرسول ﷺ والتناسب بينه وبين المقسم عليه ومثال ذلك في القرآن الكريم

في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢].

أولاً: تفسيرمفردات الآية الكريمة:

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾: قسم بحياة المخاطب به وهو النبي ﷺ وما اقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعمر واحد وهو البقاء سواء فتحت العين أم ضمت إلا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف لكثرة دور الحلف على السنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي [1]

قال السمين الحلبي : (**وله أحكام كثيرة منها: أنه متى اقترن بلام الابتداء لزم فيه الرفع بالابتداء، وحذف خبره، لسد جواب القسم مسده. ومنها: أنه يصير صريحا في القسم، أي: يتعين فيه، بخلاف غيره نحو: عهد الله وميثاقه. ومنها: أنه يلزم فتح عينه، فإن لم يقترن به لام الابتداء جاز نصبه بفعل مقدر نحو: عمر الله لأفعلن، ويجوز حينئذ في الجلالة وجهان: النصب والرفع، فالنصب على أنه مصدر مضاف لفاعله وفي ذلك معنيان، أحدهمل: أن الأصل: أسألك بتعميرك الله. أي: بوصفك الله تعالى بالبقاء، ثم حذف زوائد المصدر. والثاني: أن المعنى: عبادتك الله، والعمر: العبادة، حكى ابن الأعرابي "عمرت ربي"، أي: عبدته، وفرن عامر ربه، أي: عابده.وأما الرفع: فعلى أنه مضاف لمفعوله. قال الفارسي: "معناه: عمرك الله**

---

(١) انظر: فتح القدير ج٢ ص١١٨٦، البحر المحيط ج٥ ص٤٤٩، تفسير النسفي٥٨٥، مفاتيح الغيب ج٧ ص١٥٦، التحرير والتنوير ج٦ ص٦٨.

تعميرا". وقال الأخفش: "أصله: أسألك بتعميرك الله، فحذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب، وجاز أيضا ذكر خبره فتقول: عمرك قسمي لأقومن، وجاز أيضا ضم عينه)([1])

﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾: غفلتهم وتحيرهم و غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب التي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات[2].

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك[3]

مسألة: ورد في المخاطب بهذه الآية قولان:

الأول: أن المراد أن الملائكة قالت للوط عليه السلام ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهذا القول ذكره الرازي وهو قول الزمخشري[4].

الثاني: أن الخطاب لرسول الله ﷺ من ربه سبحانه وتعالى وان المقصودين بالضمير هم الكفار من قومه عليه الصلاة والسلام.

وهو قول الجمهور ومنهم ابن عباس-رضي الله عنه- وغيره، وقد ذكره الطبري- رحمه الله- ولم يذكر غيره[5]

قلت: والراجح والله أعلم أن المخاطب هو محمد ﷺ وأن الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ و﴿سَكْرَتِهِمْ﴾ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعود على كفار قريش والذين كذبوا النبي

([1]) الدر المصون في علم الكتاب المكنون ج٧ ص١٧٤

(٢) انظر: البحر المحيط ج٥ ص٤٤٩، فتح االقدير ج٢ ص١١٨٦، تفسير النسفي٥٨٥، مفاتيح الغيب ج٧ ص١٥٦، التحرير والتنوير ج٦ ص٦٨.

(٣) انظر: البحر المحيط ج٥ ص٤٤٩، تفسير النسفي٥٨٥، مفاتيح الغيب ج٧ ص١٥٦، التحرير والتنوير ج٦ ص٦٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ج٧ص١٥٦، الكشاف ج٢ ص٤٢٩.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب ج٧ ص١٥، البحر المحيط ج٥ ص٤٤٩، التحرير والتنوير ج١٤ ص٦٦.

ﷺ معهم.

وقد رجح هذا القول برهان الدين البقاعي – رحمه الله – حيث قال: (فإن كان المخاطب لوطا عليه السلام كلن ضمير الغيبة لقومه، وإن كان المخاطب نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم –وهو الظاهر– كان الضمير لقومه)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف فيه نزاع ان هذا قسم من الله بحياة رسوله ﷺ وهذا من اعظم فضائله ان يقسم الرب – عز وجل – بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوافق الزمخشري على ذلك فصرف القسم الى انه بحياة لوط وانه من قول الملائكة فقال: هو على ارادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل على ما فهمه السلف لا اهل التعطيل والاعتزال

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمرك أي وحياتك قال: وما اقسم الله بحياة نبي غيره والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لاثبات الاخف لكثرة دوران الحلف على السنتهم وايضا فان العمر حياة مخصوصة فهو عمر شريف عظيم اهل ان يقسم به لمزيته على كل عمر من اعمار بني ادم ولا ريب ان عمره وحياته ﷺ من اعظم النعم والايات فهو اهل ان يقسم به والقسم به اولى من القسم بغيره من المخلوقات)[2]

ثانيا: اركان القسم في هذه الآية الكريمة:

اركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله تبارك وتعالى

---

(١) نظم الدرر ج٤ ص٢٣١.

(٢) التبيان في اقسام القرآن ص٤٢٩.

المقسم به: عمر النبي ﷺ.

المقسم عليه: ان هؤلاء الكفار في غفلتهم وسكرتهم وحيرتهم

اداة القسم: محذوفة دل عليها اللام

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآية الكريمةهو التأكيدعلى استمرارالمشركين فيما كانوا عليه من الغفلة والتخبط في تعاملهم مع محمد عليه الصلاة و السلام وقد جاء هذا القسم معترضا بين أجزاء قصة قوم لوط وقد سبقوا قريشا في التكذيب والاعراض عن الحق وطلب أمر ليس لهم الحق في طلبه فقريش طلبوا اتيان الملائكة في اول السورة وقوم لوط طلبوا فعل الفاحشة بضيف لوط مع ما قام به من التحذيروالنصيحة لهم وجاء في معرض تسلية النبي ﷺ عما حصل له من الأذى من قومه بل ومن أقرب الناس إليهوكأن الله تعالى يقول له ﷺ لا تحزن فقد حصل للأنبياء والرسل من قبلك مثل ما حصل من قومك من الجفاء في التعامل معك والتعامل مع القرآن الكريم وبين أن هذا العمل منهم تخبط وتحير كما تحير السابقون سابقا يتحير هؤلاء الآن وهذا التحير صرفهم عن الحق واتباع الرسول كما صرف من كان قبلهم قال ابن عاشور: (وجملة ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ معترضة بين أجزاء القصة للعبرة في عدم جدوى الموعظة فيمن يكون في سكرة هواه)[1]

ويضاف إلى هذا الغرض غرض آخر لا يقل اهمية عنه و هو التشريف والتكريم للنبي ﷺ حيث لم يقسم الله تعالى بحياة أحد من خلقه الا محمد ﷺ وقد أقسم به في مقام ازدراه فيه المشركون حيث وصفوه بما لا يليق به من الاوصاف ووصفوا القرآن الذي جاء به بالسحروالشعر مما ينزه عنه كتاب الله تعالى فرد الله تعالى عليهم بان اقسم بحياة محمد ﷺ وقد استقر عندهم ان المقسم لايقسم الا بما له

---

(١) التحرير والتنوير ج١٤ ص٦٦.

شرف ومكانة فقابل استهزاءهم بالنبي ﷺ، والقرآن الكريم الذي جاء به بهذا التشريف والتكريم.

روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: (ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره...)[1].

قال ابوحيان: (أقسم تعالى بحياته تكريما له)[2].

وقال الرازي: (وأنه تعالى أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى...)[3].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به وهو عمر النبي ﷺ والمقسم عليه وهو استمرار المشركين على حيرتهم وتكذيبهم: أنه لما حدث من المشركين ما حدث من طلبهم الاتيان بالملائكة كما جاء في اول السورة وكان منهم الاستهزاء بالنبي ﷺ وبما جاء به من الدين والكتاب ولما جاء فعل هؤلاء الكفار موافقا لفعل قوم لوط حيث طلبوا فعل الفاحشة بالملائكة الذين جاؤا لوطا عليه السلام فتشابه الطلبان بالرغم من بعد الزمن وتساوى الحدثان بالرغم من اختلاف الفاعلين لما كان الامر كذلك اقسم الله تعالى للنبي ﷺ بحياته قسم تشريف وتكريم واعزاز واك اكرام ورد على اهل الشرك والضلال من قريش وغيرهم ان من كان على حال هؤلاء من الغفلة واتباع الهوى فهو في حيرة دائمة مستمرا عليها لا تدله الا على الضلال ولا تزيدة الا غيا.

فهنا أقسم الله -تعالى- بحياة النبيى ﷺ الشريفة التي كلها استقامة وهدى على ان حياتهم ضلال وتخبط فقابل هنا بين الشريف وهو حياته ﷺ واوضيع وهو

---

(١) جامع البيان ج١٤ ص٩١.

(٢) البحر المحيط ج٥ ص٤٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب ج٧ ص١٥٦.

حياتهم المتخبطة في الضلال والغي.

قال البقاعي: (فإن كان المخاطب لوطا عليه السلام كلن ضمير الغيبة لقومه، وإن كان المخاطب نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو الظاهر- كان الضمير لقومه وكان التقدير أنهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم اتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن مكن من هلاكهم فشتان ما بين القصدين وهيهات لما بين الفعلين فصار المعنى ان ما قذفوك به اول السورة بهم لابك، لأن من يطلب اتيان الملائكة - مع جواز أن يكون حله حال قوم لوط عليه السلام عند اتيانهم -هو المجنون)[1].

فالقسم بعمر النبي ﷺ تشريف له عليه الصلاة والسلام ورفع لمنزلته ورد على من اتهمه بالجنون والضلال يقابله ازدراء لحال الكفار في المقسم عليه حيث اكد على انهم في تخبط وحيرة وضلال وضعف يؤدي بهم كل ذلك الى عدم قبول الحق واستحقاقهم العذاب المهين كما استحق قوم لوط ذلك فقد قابل القسم بين عزة النبي ضلى الله عليه وسلم واكرامه ووضوح مهنجه وبعده عن الضلال مدة عمره الذي اقسم به ربه جل وعلا لشرفه بما فيه من الرسالة والدعوة وبين وضع اولئك المتحيرين الغافلين التائهين وما ذلك الا لشبههم بمن اعماهم هواهم وشهواتهم عن قبول الحق فقوم لوط سعوا للوصول الى ضيوفه عليه السلام ولما حاول منعهم لجأوا الى التهديد والوعيد بقولهم ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر:٧٠] وقريش ذكر الله تعالى ما قالوه في اول السورة: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الحجر:٦-٧] وكلا الامرين ليس لهم الحق في طلبه وهو مناقض لسنن الله تعالى في الكون وفي البشر. لكن الذي اعماهم واوردهم الى هذا المورد هو هواهم واتباعهم لشهواتهم والله المستعان.

---

(١) نظم الدرر ج٤ ص.٢٣١.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعلو قدره حيث اقسم بحياته الشريفة التي كلها استقامة وهدى على ان حياتهم ضلال وتخبط فقابل هنا بين الشريف وهو حياته صلى الله عليه وسلم واوضيع وهو حياتهم المتخبطة في الضلال والغي

المبحث الرابع: القسم بآيات الله تعالى ومخلوقاته والتناسب بينه وبين المقسم عليه وأمثلة ذلك من القرآن الكريم

۞ المطلب الأول: القسم بالعصر و التناسب بينه والمقسم عليه:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣].

أولا: تفسيرمفردات سورة العصر:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: للعلماء في معناها أقوال هي:

الاول: أن المراد بالعصر هنا الدهر وقد روي هذا عن ابن عباس -رضي الله عنه-وزيد بن اسلم[١] والفراء[٢] وابن قتيبة[٣] وقد ذكر هذا كثير من المفسرين منهم

---

(١) زيد بن اسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن ضبيعة بن حرام البلوي ذكر في من شهد بدرا وذكر في من شهد صفين مع علي. انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي؛ الاصابة في تمييز الصحابة ج١ ص٥٦٠ رقم ٢٨٧٦؛ تحقيق : علي محمد البجاوي؛ الناشر : دار الجيل - بيروت؛ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٦١

(٢) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب. ولد بالكوفة سنة١٤٤ه، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابينه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوما في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة سنة٢٠٧ ه. وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه "المعاني" ويسمى "معاني القرآن" واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل: لانه كان يفري الكلام. انظر: سير أعلام النبلاء ج٨ ص٢٩١

(٣) ابن قتيبة العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبةالدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف.نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته.قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا ذكر تصانيفه: " غريب القرآن "، " غريب الحديث "، كتاب " المعارف "، كتاب " مشكل القرآن "، كتاب " مشكل الحدييث " انظر: سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٣٨٤

الطبري وابن عطية وابن العربي والفخرالرازي والقرطبي وابن كثير وابن جزيء[١] وابن الجوزي وابو حيان وابن عادل[٢] والبقاعي والشوكاني والآلوسي والقاسمي والمراغي وابن عاشور والشنقيطي والزحيلي والصالحي[٣] وابن ابي زمنين[٤] والهرري الشافعي والشيخ عبدالحميد كشك[٥] والقارئ[١] والشيخ مصطفى الحصن[٢]

---

(١) **هو الفقيه المفسر الأصولي الحافظ المحدّث محمد بن أحمد بن محمد ابن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن بن يوسف بن جزيّ الكلبي الغرناطي، يكنى بأبي القاسم.ولد في يوم الخميس، تاسع ربيع الثاني، عام ٦٩٣هـ، في غرناطة، عاصمة الأندلس.وكان ابن جزيّ شاعراً، مالكيّ المذهب وقد بلغ ما بلغ في العلم بالتفسير، والحديث والأصول، والأدب، والفقه والعربيّة.قُتل -رحمه الله- في معركة طريف، سنة ٧٤١ هـ.** .

انظر: ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ،مصدر الكتاب : (موقع الوراق- المكتبة الشاملة)

(٢) الإمام المفسر ابو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير " اللباب في علوم الكتاب توفي بعد ٨٨٠ هـ. انظر : طبقات المفسرين للأدنروي ؛ ج١ ص٤١٨

(٣) هو الشيخ أبو محمد علي بن حمد بن محمد بن صالح بن عبدالله الصالحي.ولد في محافظة عنيزة سنة ١٣٣٣ هـ من أسرة أمية، وكان والده حمد محبا للعلم والعلماء، حفظ القرآن الكريم، فحفظه ثم حفظ كثيرًا من المتون والأشعار، ثم لازم شيخه عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -، كما واصل تحصيله في المعهد العلمي بالرياض ثم كلية الشريعة ثم معهد القضاء العالي.من مؤلفاته -رحمه الله- لضوء المنير على التفسير، ووافاه الأجل المحتوم وهو منهمك في مراجعة الأجزاء الأخيرة من كتاب الضوء المنير، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٢١ من شهر جمادى الأولى سنة ١٤١٥، وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وثمانون (٨٣). راجع موقعhttp://www.islamhouse.com/ip/401634

(٤) محمد بن عبدالله بن عيسى المري، أبو عبدالله، المعروف بابن أبي زمنين: فقيه مالكي، من الوعاظ الادباء.من أهل إلبيرة ولد سنة٣٢٤هـ. سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة، فتوفي بهاسنة٣٩٩هـ، له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها (تفسير القرآن) في القرويين اختصره من تفسير يحيى بن سلام التيمي، و (المغرب) في اختصار المدونة وشرح مشكلها. انظر: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص١٠

(٥) **وُلد الشيخ عبد الحميد كشك في قرية شبراخيت بمحافظة البحيرة في العاشر من مارس لعام ١٩٢٣م، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، ثم التحق بالمعهد الديني بالإسكندرية، ثم التحق**

واللاحم[٣] وغيرهم[٤] واستدلوا لهذا القول بأن النبي ﷺ كان يقرأ {والعصر-

---

بكلية أصول الدين بجامعة الأزهرعُين معيدا بكلية أصول الدين، تولى الإمامة والخطابة بمسجد عين الحياة، وبقي فيه قرابة عشرين عاما إلى أن اعتُقل في عام ١٩٨١م وتم منعه نهائيا من الدعوة والخطابة إلى أن لقي ربه أسيرا ساجدا بين يديه. في الخامس والعشرين من شهر رجب لعام ١٤١٧ هـ انظر: علي بن نايف الشحود؛ مشاهير أعلام المسلمين ؛ج١ ص١٣٧

(١) أبو عاصم وأبو مجاهد عبدالعزيز بن عبدالفتاح بن عبدالرحيم بن الملاَّ محمد عظيم القارئ.ولد بمكة المكرمة عام خمس وستين وثلاثمائة وألف للهجرة.درس القرآن الكريم وجوده وحفظه على والده الشيخ عبدالفتاح القارئ، أهم مؤلفاته تفسير سورة العصر. راجع : ملتقى أهل الحديث الإليكتروني، منتدى القرآن وعلومه(حوار أجري مع الشيخ عبدالعزيز قارئ)

(٢) مصطفى بن ميمش بن الحسين الحصني المنصوري نسبة الى مدينة حصن المنصور ولد في عام ١٣٠٧ه ودرس تعليمه في محل ولادتهثم في استانبول كان عالما فاضلا ومرجعا في علم الفقه وكان زاهدا ورعا قوي الجسم بسيما قليل الكلام والمنام مداوما على صلاة الجماعة يشتغل بالمطالعة محبا للفقراء وطلاب العلم المساكين توفي رحمه الله سنة ١٣٩٠هـ ودفن في استانبول انظر: مقدمة كتابه (المقتطف من عيون التفاسير) ج١ ص٧-٨

(٣) ولد فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: سليمان بن إبراهيم بن عبدالله اللاحم بالشماسية عام ١٣٧١هـ والتحق بالمدرسة السعودية الابتدائية بالشماسية وحصل على الشهادة الابتدائية منها ثم التحق بالمعهد العلمي ببريدة وحصل على الشهادة الثانوية عام ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وحصل على الشهادة الجامعية منها، فعين مدرساً بوزارة المعارف ثمـ انتقل إلى الرياض ـ والتحق بالدراسات العليا بكلية أصول الدين- قسم الكتاب والسنة- فحصل على الماجستير ثم حصل على شهادة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض- قسم القرآن وعلومه وله من العديد المؤلفات المطبوعة ومن اهمها "تنوير العقول والاذهان بتفسير مفصل القرآن" راجع: (موقع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة الإليكتروني)

(٤) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٦١٢، المحرر الوجيز ج٥ ص٥٢٠، محمد بن عبدالله الأندلسي- الشهير بابن العربي؛ أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٤٤٧؛ الناشر : دار الكتب العلمية، مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧، الجامع لأحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٥، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي؛ التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٦٠٧؛ الناشر دار الكتب

ونوائب الدهر} وهي قراءة شاذة رويت موقوفة على علي -رضي الله عنه- وحملت ايضا على انها تفسير ان لم تصح قرانا[1] ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى

ومنه كذلك قول الشاعر:

وهل يعمن من كان في العصر الخالي[3]

العلمية-بيروت لبنان؛ الطبعة الأولى ١٩٩٥م، زاد المسير ج٩ ص٢٢٤، البحر المحيط ج٨ ص٥٠٧، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي؛ اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض؛ دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٩٩٨ م الطبعة : الأولى، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٨ ص٥٢٢فتح القدير ج٤ ص، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩، محاسن التأويل ج١٧ ص٦٢٤٩، تفسير المراغي ج١٠ ص٢٣٣، التحرير والتنويرج ١٢ ص٥٣٠، اضواء البيان ج٩ ص٤٩١، التفسير الوجيز ص٦٠٣، علي الحمد المحمد الصالحي؛ الضوء المنير على التفسير ج٦ ص٤٤٩؛ الناشر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام-الرياض-، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨، عبدالحميد كشك؛ في رحاب التفسير ج٣٠ ص٢٥٧؛ الناشر: المكتب المصري الحديث، عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ؛ تفسير سورة العصر ص١٧-١٨؛ الناشر: مكتبة الدار، مصطفى الحصن؛ المقتطف من عيون التفاسير ج٥ ص٥٣١؛ تحقيق : محمد علي الصابوني؛ الناشر: دار القلم-دمشق-والدار الشامية-بيروت-، تنوير العقول والاذهان في تفسير مفصل القرآن ج٣ ص٢٦٨.

(١) أخرجه ابن جرير بسنده؛ انظر: جامع البيان؛ ج٣٠ص٢٩٠، أخرجه الحاكم؛ انظر: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين؛ ج٢ص٥٨٢، رقم ٣٩٧١، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا؛ الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

(٢) قائله هو الواواء الدمشقي وقيل الدقشي. انظر ديوانه ص١٦٤، وديوان الصبابة لابن أبي حجلة ص١٢، كلا الديوانين من كتب الموسوعة الشاملة .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس في مطلع قصيدته المشهورة. انظر ديوان امرئ القيس ص وهو بتمامه:

ألا عم صباحا ايها الطلل الخالي وهي يعمن من كان في العصر الخالي

الثاني: إن المراد بالعصر أحد طرفي النهار فالعصرة بكرة والعصر- عشية وهما الابردان والعصران ومنه قول الشاعر:

وامطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف

وعلى هذا فالمقسم به هنا واحد منهما غير معين وحجة اهل هذا القول: ان الله تعالى اقسم بالعصر كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة وكذلك تنبيها إلى أن الاسواق دنا انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب قلت: وهما يبدآن باول النهار وينتهيان باخره وقد ذكر هذا القول الفخر الرازي نسبه لابي مسلم[٢] والالوسي والشنقيطي وابو حيان وابن عادل وابن عطية والقرطبي وابن العربي والشوكاني والهرري الشافعي[٣] وغيرهم.

---

(١)هذا البيت ذكره كثير من المفسرين ومنهم: الشنقيطي في أضواء البيان ج٩ ص٨٨، وابن عادل في اللباب ج٢٠ ص٤٨٤، والقرطبي ج٢٠ ص١٧٩، وغيرهم . وذكره غيرهم من المؤلفين في علوم اللغة ومنهم: إسماعيل بن حماد الجوهري في الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية.الناشر: دار العلم للملايين- بيروت. الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ،تهذيب اللغة ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي- بيروت – ٢٠٠م ، ولم أجد قائله

(٢) أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، قد صار عامل أصبهان وعامل فارس للمقتدر يكتب له ويتولى أمره. ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب: كتاب جامع التأويل لحكم التنزيل على مذهب المعتزلة أربعة عشر مجلداً، كتاب جامع رسائله كتاب حمزة كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب في النحو، وسمي حمزة كتابه في القرآن شرح التأويل مات فيما ذكره حمزة في تاريخه في آخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين انظر: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٣٥٤

(٣) انظر : مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩، اضواء البيان ج٩ ص٤٩٢، البحر المحيط ج٨ ص٥٠٧، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٥، المحرر الوجيز ج٥ ص٥٢٠، الجامع لأحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، أحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٤٤٧، فتح القدير ج٤ ص، حدائق الروح والريحان ج٣٢ ص٢٩٨

الثالث: إن المراد به صلاة العصر نفسها اقسم الله بها لفضلها وهي الصلاة الوسطى كما قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] صلاة العصر كما في مصحف حفصة[١] وقال ﷺ: (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله)[٢] ولان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجارتهم ومكاسبهم اخر النهار ولانها خاتمة طاعات النهار وقد أقسم الله

بها تفخيما لشأنها فكلمة العصر قد صارت علما على هذه الصلاة كما هو حال كثير من اسماء الاجناس يقال: أذن للعصر أي لصلاة العصر. وصليت العصر. أي صلاة العصر المعرفة باللام وهذا القول قاله مقاتل[٣] وقد ذكره الرازي والزمخشري والبقاعي وابن الجوزي وابو السعود وابن عطية والقرطبي والبغوي وابن جزئ وابن عادل والالوسي وابن عاشور والشنقيطي والشيخ حسنين مخلوف[٤]

---

(١) حفصة زوج النبي ﷺ بنت عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي رضي الله عنها وعن ابيها حارسة القرآن الكريم تزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي، أحد المهاجرين، في سنة ثلاث من الهجرةتوفيت حفصة: سنة إحدى وأربعين، عام الجماعة.انظر : سير اعلام النبلاء ج٣ ص٢٠٢

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) مقاتل كبير المفسرين، أبو الحسن، مقاتل بن سليمان البلخي.يروي -على ضعفه البين- عن : مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعطاء، وابن سيرين، وعمرو بن شعيب، وشرحبيل بن سعد، والمقبري، والزهري، وعدة. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاءج٧ ص٢٠١

(٤) **الشيخ حسنين مخلوف 'الشيخ محمد حسنين مخلوف. واحد من كبار علماء الأزهر، نزح إلى القاهرة من بلدته بني عدي بصعيد مصر مركز منفلوط بمحافظة أسيوط. التحق بالأزهر،، وتفقه على مذهب المالكية، وجلس للتدريس بالأزهر، طالت الحياة بالشيخ حتى تجاوز المائة عام، قضاها في خدمة دينه داخل مصر وخارجها، حيث امتدت رحلاته إلى كثير من البلاد العربية ليؤدي رسالة العلم، ويلقي دروسه، أو يفتي في مسائل دقيقة تُعرض عليه، أو يناقش بعض الأطروحات العلمية في الجامعات، وظل على هذا النحو**

والشوكاني والصالحي والهرري الشافعي[1] وغيرهم.

الرابع: ان المراد به وقت صلاة العصر اقسم الله به لفضيلة صلاته أو لخلق آدم ابي البشر عليه السلام فيه من يوم الجمعة وقد ذكر هذا القول البقاعي و الالوسي والقاسمي[2].

الخامس: أنه قسم بعصر النبي ﷺ وأمته وعصر الاسلام كله لانه خاتمة الاديان واشرف الاعصار لتشريف النبي ﷺ ومقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار او بعضه واحتجوا بقول النبي ﷺ: (انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله هل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشاء كنتم اقل عملا واكثر اجرا)[3] وقد ذكر هذا

حتى لقي ربه في ١٩ رمضان ١٤١٠ هـ. انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين تأليف:أعضاء ملتقى أهل الحديث مصدر الكتاب : ملتقى أهل الحديث

(١) انظر: الكشاف ج٤ ص٦٠١، مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧، نظم الدرر ج٨ ص٥٢٢، زاد المسير ج٩ ص٢٢٤، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم ج٥ ص٥٧٣، المحرر الوجيز ج٥ ص٥٢٠، الجامع لاحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، معالم التنزيل ج٨ ص، التسهيل لعلوم التنزيل ج٨ ص٦٠٧، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٨، التحرير والتنوير ج١٢ ص٥٣١، اضواء البيان ج٩ ص٤٩١، حسنين محمد مخلوف؛ صفوة البيان لمعاني القرآن ص٨٥٢؛ لجنة الاحتفالات بمقدم القرن الخامس عشر الهجري؛ الطبعة الثانية ١٩٨٢م، فتح القدير ج٤ ص، الضوء المنير على التفسيرج٦ ص٤٤٩، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨.

(٢) نظر: نظم الدرر ج٨ ص٥٢٢، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٨، محاسن التأويل ج١٧ ص٦٢٤٩.

(٣) **رواه البخاري كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، ج٢ ص٥٨ رقم ٢٢٦٨**

القول الفخر الرازي والالوسي وابن عاشور والبقاعي وابن عادل وغيرهم[1].

السادس: إن المراد بالعصر- هو العشي- وهو ما بين اخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس فمبدؤه اذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس ويمتد الى ان يصير ظل كل شيء مثلي قدره بعد الظل الذي كان عند الزوال وذلك وقت اصفرار الشمس ومنه قول الشاعر:

تروح بنا ياعمرو قد قصر- العصر- وفي الروحـــــة الاولى الغنيمـــــة

وهو قول للحسن وقتادة- رحمهما الله تعالى- و ذكره الطبري والقرطبي والزمخشري وابن عادل وابن كثير و ابن الجوزي وابن ابي زمنين وابو السعود والبغوي والشوكاني وابن عاشور والشنقيطي والصالحي والهرري الشافعي[3]

السابع: ان المراد بالعصر اخر ساعة من ساعات النهار وهو الوقت الذي يليه المغرب وهو وقت لاصيل فقد فرغ الانسان من شغله وهو يستقبل الراحة وينظر في ما حصل من فائدة مما انفق فيه ذلك النهار ومما استدلوا به قول ابي بن كعب[4]-

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧، روح المعاني ج١٥ ص٥٣١، التحرير والتنوير ج١٢ ص٤٤٩، نظم الدرر ج٨ ص٥٢٢، الباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٢.

(2) **ذكره القرطبي في تفسيره ج ص ، وذكره ابن منظور في لسان العرب ج ص ولم أجد قائله**

(3) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٦١٢، الجامع لاحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، الكشاف ج٤ ص٦٠١، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٥١، زاد المسير ج٩ ص٢٢٤، محمد بن عبدالله بن أبي زمنين؛ تفسير القرآن العزيز ج٤ ص١٦١ الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم ج٥ ص٥٧٣، معالم التنزيل ج٨ ص، فتح القدير ج٤ ص، التحرير والتنوير ج١٢ ص٤٤٩، اضواء البيان ج٩ ص٤٩١ الضوء المنير على التفسيرج٦ ص٤٤٩، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨.

(4) هو أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج. له كنيتان: أبو المنذر؛ كناه بها النبي، وأبو الطفيل؛ كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطفيل.

رضي الله عنه -: سألت النبي ﷺ عن العصر ؟ فقال: {أقسم ربكم بآخر النهار}، وهذا مروي عن ابن عباس- رضي الله عنهما -و قتادة وقد ذكره القرطبي وابن عادل وابن جزي ء وابن ابي حاتم والبقاعي والسيوطي والشوكاني والشنقيطي والهرري الشافعي والصالحي[1] وغيرهم.

الثامن: ان المراد بالعصر اليوم والليلة قاله الزجاج وابن كيسان[2] وعليه قول الشاعر:

ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما تيمما[3]

وأمه صهيلة بنت النجار، وهي عمة أبي طلحة الأنصاري. وكان أُبيّ أبيض الرأس واللحية لا يخضب. وتوفي -رضي الله عنه- في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء ج٣ص٢٣٦

(١) انظر: الجامع لاحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، التسهيل لعلوم التنزيل ج٨ ص٦٠٧، تفسير القرن العظيم لابن ابي حاتم ج١٠ ص٣٤٦٢، نظم الدرر ج٨ ص٥٢٢، الدر المنثور ج٨ ص٦٢٢، فتح القدير ج٤ ص، اضواء البيان ج٩ ص٤٩١، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨، الضوء المنير على التفسيرج٦ ص٤٤٩.

(٢) طاووس بن كيسان اليماني طاووس بن كيسان أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي ورعه : عن حنظلة بن أبي سفيان قال: مارأيت عالما قط يقول لاأدري أكثر من طاووس عبادته : قال ابن حبان : كان من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين مستجاب الدعوة حج أربعين حجة تشرفه برؤيه صحابة رسول الله ﷺ : قال طاووس دركت خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٩٥

(٣) **قائله هو حميد بن ثور الهلالي وهو من قصيدته التي مطلعها:**

سل الربع أين يممت أم سالم وهل عادة للربع أن يتكلما

انظر ديوانه: ص٨ ، بتحقيق عبد العزيز الميمنى ؛طبعة الدار القومية للطباعة والنشر١٣٨٤هـ مصورة عن الطبعة الأصلية دار الكتب المصرية ١٧٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.

وقد ذكر هذا ابن العربي والبغوي والسمين الحلبي[1] وابن ابي زمنين والقرطبي والالوسي والشنقيطي واللاحم والهرري الشافعي[2] وغيرهم.

التاسع: أن المراد بالعصر ساعة من ساعات النهار وهذا القول مروي عن ابن عباس وقتادة ومطرف[3] وقد ذكر هذا القول الطبري وابن العربي والسيوطي والدكتور حكمت بشير[4] وغيرهم[1].

---

(١) **أحمد بن يوسف بن عبدالدائم بن محمد الحلبي، شهاب الدين، المقري النحوي نزيل القاهرة، تعانى النحو فمهر فيه، ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، وله تفسير القرآن في عشرين مجلدة رأيته بخطه، والإعراب سماه الدرّ المصون في ثلاثة أسفار بخطه، والشاطبية. كان فقيها بارعا في النحو والقراآت، ويتكلم في الأصول، خيّرا أديبا، مات في جمادى الآخرة، وقيل في شعبان سنة ٧٥٦** » . انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ج١ ص٣٠٣

(٢) انظر: احكام القرآن ج٤ ص٤٤٧، معالم التنزيل ج٨ ص، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي؛ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج١١ ص١٠١ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط؛ الناشر: دار القلم -دمشق-، تفسير القرآن العزيز ج٤ ص١٦١، الجامع لاحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٨، اضواء البيان ج٩ ص٤٩١، تنوير العقول والاذهان في تفسير مفصل القرآن ج٣ ص٢٦٨، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨.

(٣) مطرف بن عبدالله بن الشخير مطرف بن عبدالله ابن الشخير، الامام، القدوة، الحجة، أبو عبدالله الحرشي العامري البصري، أخو يزيد بن عبدالله حدث عن أبيه رضي الله عنه، وعلي، وعمار، وأبي ذر، وعثمان، وعائشة،، وغيرهم.حدث عنه: الحسن البصري وقتادة، وخلق سواهم. وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب كان ثقة لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الاشعث إلا هو واين سيرين قيل بقي الى ما بعد الثمانين.وقيل كان موته في سنة خمس وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ج٥ ص١٠٥

(٤) د. حكمت بشير ياسين.تاريخ ومكان الميلاد : ـ ولد سنة ١٩٥٥م في مدينة الموصل بالعراق مؤهله العلمي : - دكتوراه في الشريعة الإسلامية " فرع الكتاب والسنة-عمل أستاذاً مساعدا في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وأمينا لقسم التفسير مدة سنتين ودرس التفسير في عدة كليات.ثم رقي إلى درجة أستاذ مشارك سنة ١٤١٠هـ. ثم عمل أستاذا مشاركا في الدراسات العليا ومشرفا على رسائل الماجستير والدكتوراه بالجامعة نفسها.ثم رقي إلى درجة أستاذ من الجامعة نفسها

العاشر: أن الكلام على إضمار مضاف فيكون ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ أي ورب العصر. قاله الزجاج وقد ذكر هذاالقرطبي وابن عادل والشوكاني والهرري الشافعي[٢]

الحادي عشر: يطلق العصر. على المدة المعلومة لوجود جيل من الناس أو ملك او نبي او دين ويعين بالاضافة فيقال: عصر الفطحل وعصر ابراهيم وعصر. الاسكندر وعصر الجاهلية ونحوها وقد ذكر هذا القول ابن عاشور[٣] رحمه الله تعالى.

الثاني عشر: أن المراد بالعصر زمان كل احد الذي هو الخلاصة بالنسبة اليه تنبيها له على نفاسته إشارة الى اغتنام انفاسه في الخير إشفاقا من الحشر وقد ذكر هذا البقاعي[٤] رحمه الله تعالى.

ومن هذه الاقوال جميعا يتبين ان الراجح هو القول الاول وهو ان المراد بالعصر الذي اقسم الله تعالى به في الآية الكريمة هو الدهر قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر. والعصر اسم للدهر وهو العشي والليل والنهار ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى فكل ما لزمه الاسم فداخل فيما اقسم الله به جل ثناؤه) وممن رجح هذا القول من المفسرين الإمام ابن كثير والإمام الشوكاني والهرري الشافعي والإمام

عام ١٤١٥هـ. انظر : الموقع الإليكتروني :ملتقى أهل الحديث (منتدى تراجم العلماء المعاصرين)

(١) جامع البيان ج٢٤ ص٦١٢، احكام القرآن ج٤ ص٤٤٧، الدر المنثور ج٨ ص٦٢٢، حكمت ابن بشير بن ياسين الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج٤ ص٦٦٨؛ الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية؛ الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(٢) انظر : الجامع لاحكام القرآن ج٢٢ ص٤٦٣، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، فتح القدير ج٤ ص، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨.

(٣) التحرير والتنوير ج١٢ ص٤٥١.

(٤) نظم الدرر ج٨ ص٥٢٢.

الشنقيطي -رحمهم الله جميعا-[1]

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: قيل الانسان اسم جنس وال فيه للاستغراق وهي من الفاظ العموم فالانسان هنا بمعنى الجمع لا بمعنى الواحد بدليل الاستثناء منه وقد ذكر هذا القول الإمام الطبري و ابن عطية وابو حيان والسمين الحلبي والزمخشري وابن الجوزي وابن عادل والالوسي والمراغي وابن عاشور[2].

وقيل: أن (ال)في قوله تعالى: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للعهد وقد روي في المعهود المراد بها عن ابن عباس رضي الله عنهما روايتان:

الاولى: رواية ابي صالح[3] أن المراد بها الكافر.

الثانية: رواية الضحاك يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبدالمطلب بن اسد بن عبدالعزى والاسود بن عبد يغوث.

وقال مقاتل: نزلت في ابي لهب وقيل في أبي جهل وروي ان هؤلاء كانوا يقولون: ان محمدا لفي خسر فاقسم الله ان الامر بالضد مما كانوا يتوهمون وقد ذكر هذا الفخر الرازي[4] و البغوي والشنقيطي. والراجح كما قال الشيخ الشنقيطي[5]:

---

(١) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٦١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٥٤١، فتح القدير ج٤ ص، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج٣٢ ص٢٩٨، اضواء البيان ج٩ ص٤٩٤.

(٢) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٦١٢، المحرر الوجيز ج٥ ص٥٢٠، البحر المحيط ج٨ ص٥٠٧، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج١١ ص١٠١، الكشاف ج٤ ص٦٠١، زاد المسير ج٩ ص٢٢٤، اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص٤٨٤، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٨، تفسير المراغي ج١٠ ص٢٣٣، التحرير والتنوير ج١٢ ص٤٥٣.

(٣) ابو صالح. باذام ، و يقال باذان ، أبو صالح ، مولى أم هانىء بنت أبى طالب الطبقة الوسطى من التابعين، أبو داود والترمذي والنسائي و ابن ماجه انظر : سير أعلام النبلاء ج٩ ص٣٦

(٤) انظر: مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧، معالم التنزيل ج٨ ص، اضواء البيان ج٩ ص٤٩٢.

(٥) اضواء البيان ج٩ ص٤٩٥.

هو القول الاول.

قلت: وذلك لان القول بالاستغراق لجميع جنس الانسان يشمل المؤمن الذي لم يتصف ببعض الصفات الواردة في الاية حتى وان كان مؤمنا الا انه بفوات تلك الصفة خسر فائدة الاتصاف بها في الدنيا والاخرة ويشمل الكافر مطلقا ويدخل فيه كل معين من صناديد قريش باسمه وكذلك كل كافر الى يوم القيامة والله أعلم.

﴿لَفِي﴾: (في) هنا معناها الظرفية وهي ظرفية مجازية شبهت ملازمة الخسر باحاطة الظرف بالمظروف فكانت ابلغ من ان يقال: ان الانسان لخاسر ذكر هذا ابن عاشور- رحمه الله-[1].

﴿خُسْرٍ﴾: التنكير في قوله ﴿خُسْرٍ﴾ إما أن يكون للتهويل او للتحقير فان حمل على الاول كان المقصود ان الانسان في خسر عظيم وان حمل على الثاني فيكون المقصود انه في خسر دون خسران الشيطان ويحتمل ان يكون للتنويع أي نوع من الخسر غير ما يعرفه الانسان لا يعلم كنهه الا الله وقد استعير هنا لسوء العاقبة لمن يظن لنفسه عاقبة حسنة[2].

والخسران: هو النقصان وذهاب راس المال او بعضه ومعناه انهم في خسران في متاجرهم ومساعيهم وحسب صرفهم اعصارهم في اغراضهم لما لهم بالطبع من الميل الحاضر والاعراض عن الغائب ومن باع اخرته بدنياه فهو في غاية الخسران بخلاف المؤمن فإنه اشترى الاخرة بالدنيا فربح وسعد[3].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يقول الا الذين صدقوا بالله ووحدوه واقروا له بالطاعة واعتقدوا اعتقادا صحيحا ان للعالم كله الها خالقا يرضى عن المطيع ويغضب

---

(١) التحرير والتنوير ج١٢ ص٤٥٠.

(٢) نظر: روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩، التحرير والتنوير ج١٢ ص٥٣٢

(٣) زاد المسير ج٩ ص٢٢٥.

على العاصي وان هناك فرقا بين الفضيلة والرذيلة[1].

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: بجوارحهم فادوا ما لزمهم من فرائضه واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه فانهم ليسوا في خسر فهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالعاديات الرائحات فيالها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم. والصالحات جنس وهو اتباع الاوامر واجتناب النواهي في العبادات والعادات وجماع ذلك نفع المرء نفسه ونفعه للناس أجمعين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يلحقهم الخسران بحال اذا لم يتركوا شيئا من الصالحات بارتكاب اضدادها وهي السيئات فعمل الصالحات يشمل ترك السيئات[2]

﴿وَتَوَاصَوْاْ﴾: هذا بيان لتكميلهم لغيرهم والمراد اوصى بعضهم بعضا فالانسان بطبعه ينشط بالوعظ وينفعه اللحظ واللفظ[3].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: وهو الامرالثابت الذي لايسوغ انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهوالقران قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالايمان والتوحيد وقيل هو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وفي قوله: ﴿تواصوابالحق﴾ دلالة على أن الحق ثقيل وان المحن تلازمه فلذلك قرن بالتواصي[4].

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: وتواصوا بالصبر على اداء الفرائض واقامة امر الله وعلى الطاعات التي يشق على النفس اداؤها وعلى ما يبلو به الله عز وجل عباده من

---

(١) مفاتيح الغيب ج ص.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب جص، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩، نظم الدررج٨ ص٥٢٣.

(٣) نظر: روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩، نظم الدرر ج٨ ص٥٢٤.

(٤) انظر: زاد المسير ج٩ ص٢٢٥، روح المعاني ج١٥ ص٥٧٩.

المصايب فيتلقاها بلقبول ظاهرا وباطنا والصبر عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وقد مدحهم الله تعالى هنا بما صدر عنهم في الماضي ليفيد رغبتهم في الثبات عليه في المستقبل[1].

وتخصيص هذا النوع من الصبر في الاية بالذكر مع انه يدخل في التواصي بالحق لأمرين:

الاول: لابراز كمال الاعتناء به.

والثاني: لأن التواصي بالحق عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله والتواصي بالصبر عبارة عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا[2].

(وقد اشتمل قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ على اقامة المصالح الدينية كلها فالعقائد الاسلامية والاخلاق الدينية مندرجة في الحق والاعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر)[3].

ثانيا: أركان القسم في سورة العصر:

المقسم: وهو الله تعالى.

المقسم به: وهو العصر بمعنى الدهر على القول الراجح في تفسيره.

المقسم عليه: أن جميع الناس في خسر الا من استثنى الله تعالى في الاية.

اداة القسم: وهي هنا الواو.

---

(١) مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧.

(٢) مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٧٧.

(٣) التحرير والتنوير ج١٢ ص٥٣٣.

الغرض من القسم بالعصر هنا:

أقسم الله تعالى بالعصر هنا تنبيها على أهمية الزمن فهو مشتمل على اعاجيب الامور المارة والقارة ولقد قيل له ابو العجب ففيه عبرة للناظرين ودلائل عظيمة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى وكذلك أقسم الله تعالى به على خسر- بني الانسان للرد على من يردون سبب خسرهم الى الزمن تنبيها على انه لا دخل له فيما ينسبونه اليه من ذلك ولا دخل له أيضا فيما ينسبونه اليه من الشؤم والنحس وما يلحقونه بالزمن من الذم والسب بسبب ما يحصل لهم من ذلك فالزمن هو ظرف لافعالهم التي يكسبونها من حسنات وسيئات ومن خير وشر فادهر بذاته لا يذم وانما يذم ما يقع فيه من الافاعيل الممقوته.

التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة:

أقسم الله تعالى بالعصر على ان الانسان خاسر الا فئة استثناهم الله تعالى وهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾

والمناسبة بين القسم بالعصر وما اقسم عليه من خسارة الانسان واضحة وقد بينها الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: (فأقسم سبحانه بالعصر لمقام العبرة والآية فيه فإن مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على اكمل ترتيب ونظام وتعاقبهما واعتدالهما تارة اخذ احدهما صاحبه تارة واختلافهما في الضوء والظلام والحر والبرد وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر- الى القرون والسنين والاشهر والايام والساعات وما دونها اية من ايات الرب تعالى وبرهان من براهين قدرته وحكمته.

فاقسم بالعصر الذي هو زمان افعال الانسان ومحلها على عاقبة تلك الافعال وجزائها ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وافعالهم على المعاد وان قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعادوان حكمته التي اقتضت خلق الزمان و خلق الفاعلين وافعالهم وجعلها قسمين خيرا وشرا تأبى ان يسوى بينهم والا يجازي

المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وان **يجعل النوعين** رابحين او خاسرين بل الانسان من حيث هو انسان خاسر الا من رحمه الله فهداه ووفقه للايمان والعمل الصالح في نفسه وامر غيره به وهذا نظير رد الانسان الى اسفل سافلين واستثناء الذين امنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين)[1].

قلت: إن العصر هو الظرف الذي تحدث فيه افعال الانسان وكسبه وتظهر فيه نتائج هذه الافعال وفائدة هذا الكسب ومن هنا ينقسم الناس الى ثلاثة اقسام:

الاول: قسم آمن بالله تعالى وعمل الصالحات وتواصى بالحق وتواصى بالصبر وهؤلاء هم الرابحون الائزون باعظم نتيجة المستفيدون من زمهم الذي عاشوا فيه.

والثاني: قسم كفر بالله تعالى فلا فائدة له ولا عمل صالح له فهو خاسر كل الخسارة لم يستفد من الزمن ولم تتحقق له فائدة العصر الذي عاش فيه.

والثالث: قسم امن بالله تعالى ولكنه قصر في احدى الصفات الاخرى وهي العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فيحصل له من الربح بقدر ما حصل من هذه الصفات ويلحقه من الخسارة ويفوته من زمنه بقدر ما فاته منها فالمناسبة ظاهرة بين المقسم به والمقسم عليه حيث اقسم بزمن الفعل ومحله الذي هو ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ اعلى نتيجته هذا الفعل وعاقبته ومآله والله تعالى أعلم.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان الراجح من الاقوال في تفسير العصر هو القول الاول وهو ان المراد بالعصر هو الدهر كله حيث أنه يشتمل على جميع الاقوال كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فاقسم بالعصر الذي هو زمان افعال

---

(١) التبيان في اقسام القران ص٩٠-٩١، ونقله يسري السيد محمد، صالح أحمد الشامي في (بدائع التفسيرالجامع لما فسره ابن القيم) ج٣ ص٣٦٥؛ الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

الانسان ومحلها على عاقبة تلك الافعال وجزائها ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وافعالهم على المعاد وان قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعادوان حكمته التي اقتضت خلق الزمان و خلق الفاعلين وافعالهم وجعلها قسمين خيرا وشرا تأبى ان يسوى بينهم والا يجازي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وان يجعل النوعين رابحين او خاسرين بل الانسان من حيث هو انسان خاسر الا من رحمه الله فهداه ووفقه للايمان والعمل الصالح في نفسه وامر غيره به وهذا نظير رد الانسان الى اسفل سافلين واستثناء الذين امنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين)[1]

[1] التبيان في اقسام القران ص ٩٠-٩١

۞المطلب الثاني: القسم بالنجم والتناسب بينه والمقسم عليه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:١-٣]

أولاً: تفسير مفردات الايات الكريمة:

(وَٱلنَّجۡمِ): اقسم بالثريا او بجنس النجوم وقيل النجم: الزهرة، وقيل المراد بالنجم نجوم السماء، وعليه فهو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع [١].

(إِذَا هَوَىٰ): اذا غرب او انتشر يوم القيامة،وقيل: أي أسقط مع الصبح، [٢].

﴿مَا ضَلَّ﴾: هذا جواب القسم والخطاب لقريش وصاحبكم هو النبي ﷺ فنفى عنه الضلال واالغي والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد والغي بقصد وتكسب [٣].

﴿صَاحِبُكُمۡ﴾ محمد ﷺ والخطاب لقريش [٤].

﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: في اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي: هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي [٥].

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾: وما اتاكم به من القران ليس بمنطق يصدر عن هواه ورايه [٦].

---

(١) أضواء البيان ج٧ ص٤٦٢

(٢) تفسير النسفي ص١١٧٨، أضواء البيان ج٧ ص٤٦٢

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص٩٤

(٤) تفسير النسفي ص١١٧٨.

(٥) تفسير النسفي ص١١٧٨.

(٦) تفسير النسفي ص١١٧٨.

ثانيا: اركان القسم في هذه الاية الكريمة:

اركان القسم في هذه الاية هي:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو النجم اذا غرب.

المقسم عليه: أن النبي ﷺ ما ضل وما غوى ولا ينطق بهواه ورايه بل ما يقوله هدى ورشاد لانه ماخوذ عن طريق الوحي فقط.

اداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة هو التأكيد على أن النبي ﷺ على الهدى والحق وانه بعيد عن الضلال والغواية والهوى وان مصدره في ذلك هوالوحي الذي يوحى اليه من ربه سبحانه وتعالى فلا يصدر عنه الا الحق المحض ولا يتطرق اليه الباطل بوجه من الوجوه وذلك لانه من عند الله تعالى ولم يرسله الله تعالى الى النبي ﷺ ويهمله بل حفظه من حين انطلاقه من السماء بجعل النجوم حارسة له من استراق الشياطين راجمه لها إذا حاولت الوصول اليه حتى يصل الى محمد ﷺ نقيا خالصا من الشوائب ثم يحفظ من التحريف بعد ذلك الى أن يشاء الله تعالى.

قال ابن القيم رحمه الله: (ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لاسبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد أحرس بالنجم إذا هوى رصداً بين يدي الوحي وحرسا له)[1].

---

(1) التبيان في اقسام القران ص٢٤٢.

وقال ايضا: (ونفى سبحانه عن رسوله الضلال المنافي للهدى والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا النفي الشهادة له بانه على الهدى والرشاد فالهدى في علمه والرشاد في علمه وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وفلاحهوبهما وصف النبي ﷺ خلفاءه فقال: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...])[1].

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايةالكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايات الكريمة هي: انه لما كان القران الكريم مصدره الوحي من الله تعالى الى رسوله ﷺ وكان هذا الوحي مصدرا للهدى والرشاد بعيدا عن الغواية والضلال ولما كان القران محفوظا من استراق السمع من قبل الشياطين وكان الحارس له من استراق الشياطين هي النجوم اقسم الله تعالى بالنجوم اذا هوت ضاربة لمسترق السمع من الشياطين انه ﷺ راشداً مهتديا وانه على الحق وماجاء به حق فاقسم الله عز وجل على صدق النبى ﷺ وانه على الهدى والحق اقسم على ذلك بالنجوم التي هي الحارسة لهذا الوحي من اشد المؤثرات عليه وهم الشياطين فاذا انتفى تاثيرالشياطين بحراسة النجوم للقران منهم وضربها لمن يحاول اخذ شيء منه

قال ابن القيم رحمه الله: (ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لاسبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد أحرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في عاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه)[2].

---

(١) التبيان في اقسام القران ص٢٤٣.

(٢) التبيان في اقسام القران ص٢٤٢.

وقال ايضا: (وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى فان النجوم التي ترمي الشياطين ايات من ايات الله يحفظ بها دينه ووحيه واياته المنزلة على رسوله بها ظهر دينه وشرعه واسماؤه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدما وحرسا لهذه النجوم الهاوية)[1]

وقال ابن عادل :(السور التي تقدمت وافتتاحها بالقسم بالأشياء دون الحروف هي " الصافات " ، و " الذاريات " و " الطور " وهذه السورة بعدها فالأولى أن يقسم لإثبات الوحدانية ... وفي الثانية أقسم لوقوع الحشر والجزاء... وفي هذه أقسم لإثبات النبوة لتكمل الأصول الثلاثة الوحدانية ، والحشر ، والنبوة .واعلم أنه تعالى لم يقسم على الوحدانية ولا على النبوة كثيرا ، لأنه أقسم على الوحدانية في سورة واحدة وهي " والصافات " ، وأما النبوة فأقسم عليها بأمر واحد في هذه السورة وبأمرين في سورة والضحيوالفائدة في تقييد القسم به بوقت هويه إذا كان في وسط السماء بعيدا عن الأرض لا يهتدي إليه الساري لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال . فإذا زال عن وسط السماء تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب عن الشمال . وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتداء به في الدين والدنيا ..... وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للإلهية بأفوله)[2]

---

(1) التبيان في اقسام القران ص٢٤٢.

(2) اللباب فب علوم الكتاب ج١٨ ص١٥٢

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على حفظ الله تعالى لدينه من اول نزوله الى يوم القيامة فقد هيأ الله النجوم لتحرس الوحي عند نزوله وهذا دليل على ان حفظه مستمر كذلك فمن لم يهمله في بدئه لن يهمله في منتهاه ومن حفظه عند اوله سيتم ذلك الى اخره وهو مقتضى عناية الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته لتكون لجميع الامم الى ان تقوم الساعة

المطلب الثالث: القسم بمواقع النجوم و التناسب بينه والمقسم عليه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٠].

أولاً: تفسير مفردات الايات الكريمة:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: أي فاقسم ولا مزيدة مؤكده وقرئ فلأنا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة[١].

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى في اخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك[٢]

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: قيل: هو اعتراض في اعتراض لانه اعتراض به بين القسم والمقسم عليه وقيل: هوتأكيد للأمر وتنبيه على المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به[٣]

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾: حسن او مرضي او نفاع جم النفع او كريم على الله واعترض بين بلو بين الموصوف وصفته[٤]

---

(١) تفسير النسفي ص١٢٠٤.

(٢) أضواء البيان ج٧ ص٥٣٧

(٣) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٢٦

(٤) تفسير النسفي ص١٢٠٤.

﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾: أي اللوح المحفوظ[1]

﴿مَّكْنُونٍ ﴾: مصون عن ان ياتيه الباطل او من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم،قال السمين الحلبي:(وجهان :أحدهما : مصون ، وهو معنى قول مجاهد .الثاني : محفوظ عن الباطل ، قاله يعقوب بن مجاهد .ويحتمل ثالثاً : أن معانيه مكنونة فيه) [2].

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾: من جميع الادناس ادناس الذنوب وغيرها إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح فالمطهرون هنا هم الملائكة، وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لاينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس، والمراد مس المكتوب منه[3].

﴿تَنزِيلٌ﴾: صفة رابعة للقران أي: منزل[4]

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أو وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل: جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ، والمعنى :أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع. [5]

---

(١) تفسير النسفي ص١٢٠٤.

(٢) النكت والعيون ج٥ ص٤٦٢

(٣) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٢٦.

(٤) تفسير النسفي ص١٢٠٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٥٨

ثانيا: اركان القسم في هذه الاية الكريمة:

اركان القسم في هذه الاية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: مواقع النجوم ومساقطها ومغاربها.

المقسم عليه: هو ان القران كريم ومحفوظ في كتاب مصون وانه لا يمس الا من طاهر مطهر وانه تنزيل من الله رب العالمين.

قال ابن عطية:(﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾: هو الذي وقع القسم عليه ووصفه بالكرم على معنى إثبات صفات المدح له ودفع صفات الحطيطة عنه)(١)

اداة القسم: هي الباء.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة هو: التاكيد على شرف القران وكرامته حيث اقسم على ذلك بمواقع النجوم على ان هذا الكتاب المقروء المجموع كريم وان الله تعالى اعتنى به اشد العناية فجعله في اللوح المحفوظ من الوصول اليه وجعل النجوم التى اقسم بمواقعها حرسا عليه في هذا المكان العالي فلا يصل اليه الا المطهرون من الملائكة وغيرهم ولا يصل اليه خبيث ولا نجس من شيطان وغيره ومن اعظم ما يشرف هذا القران كونه منزلا من رب العالمين فهذه رفعة ما بعدها رفعة وشرف لا شرف بعده وشرفه والاقسام على ذلك تستدعي الايمان به وتستلزم الاذعان لما جاء فيه والتصديق لمن اتى به وهو محمد ﷺ.

---

(١) المحرر الوجيز ج٥ ص٢٢٦

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايات الكريمة هي:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القران الكريم من وجوه:

أحدها: إن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحروايات القران يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي فتلك هداية في الظلمات الحسية وايات القران في الظلمات المعنوية فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي ايات القران رجوم شياطين الانس والجن والنجوم اياته المشهودة المعاينة والقران اياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على اياته القرانية ومواقعها عند النزول)[1].

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على شرف القران الكريم وشرف مكان حفظه وشرف حفظته واهله في السماء وهذا الشرف يسري ايضا الى حفظته من المؤمنين واماكن حفظه في المصاحف والصدرو والله ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم :(الذي يقرأ القران وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة) وقوله صلى الله عليه وسلم:(خيركم من تعلم القران وعلمه)

(١) التبيان في اقسام القران ص٢١٨.

۞ المطلب الرابع: القسم بالسماء و التناسب بينه والمقسم عليه:

وقد جاء ذلك في ثلاثة مواضع:

الموضع الاول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات:٧-٨].

أولاً: تفسيرمفردات الاية الكريمة:

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: هذا قسم اخر(أي بعد القسم في اول لسورة)[١].

﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: الطرائق الحسنة التي هي دوائر سير الكواكب، مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر اثناء تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك[٢] قال زهير يصف غديرا:

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خرير لضاحي مائه حبك[٣]

وقيل حبكها صفاقها يقال للثوب الصفيق حسن الحبك[٤].

﴿إِنَّكُمْ﴾: يا معشر قريش[٥].

﴿لَفِى قَوْلٍ﴾: أي قولهم في حق الرسول ﷺ ساحر وشاعر ومجنون وكانوا قبل يلقبونه بالامين والصادق وفي القران سحر وشعر واساطير الاولين[٦].

---

(١) تفسير النسفي ص١١٦٦.

(٢) محاسن التأويل ج١٥ ص٥٥٢٣.

(٣) من قصيدة زهير التي مطلعها : بان الخليط.

(٤) مفتيح الغيب ج٢٨ ص١٦٣، تفسير النسفي ص١١٦٦، نظم الدرر ج٧ ص٢٧٢.

(٥) نظم الدرر ج٧ ص٢٧٢.

(٦) تفسير النسفي ص١١٦٦.

﴿مُّخْتَلِفٍ﴾: متناقض مضطرب يخالف بعضه بعضا[1]

ثانياً: اركان القسم في هذه الاية الكريمة:

اركان القسم في هذه الاية هي:

المقسم: هو الله تعالي.

المقسم به: السماء ذات الطرائق الحسنة.

المقسم عليه: ان هؤلاء المشركين في قولهم عن النبي ﷺ في كلام متناقض ومختلف.

اداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الاية الكريمة هو: التاكيد على تخبط اولئك المشركين من خلال اختلاف اقوالهم في محمد ﷺ فتارة يقولون انه امين وتارة يكذبونه وتارة يقولون انه مجنون وتارة يقولون انه اعجزهم بمجادلته لهم فاكد القران تخبطهم باليمين على انهم مضطربين غير ثابتين على قول واضح وهذا منتهى الضلال والضياع اذ كيف يقال في أمر واحد وشخص واحد وحال واحدة اقوال متعددة من نفس الاشخاص ولهم فكر واحد وراي واحد وهدف واحد.

قال الرازي: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في حق محمد ﷺ فتارة يقولون امين واخرى كاذب وتارة مجنون واخرى شاعر او كاهن او ساحر.... او انهم غير ثابتين على امر ومن لايثبت على قول لايكون متيقنا في اعتقاده فيكون كانه قال تعالى والسماء انكم غير جازمين في اعتقادكم وانما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه فائدة وهي انهم لما قالوا للنبي ﷺ انك تعلم انك في قولك وانما تجادل

(١) مفاتيح الغيب ج٢٨ ص١٦٣، التحرير والتنوير ج١٠ ص٣٤١.

ونحن نعجز عن الجدل قال ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات:١] أي انك صادق ولست معاندا ثم قال تعالى: بل انتم والله جازمون باني صادق فعكس الامر عليهم...أو انكم لفي قول مختلف أي متناقض اما في الحشر. فلانكم تقولون لاحشر. ولا حياة بعد الموت ثم تقولون انا وجدنا اباءنا على امة فاذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت فماذا يصيب اباؤكم اذا خالفتموهم وانما يصح هذا ممن يقول ان بعد الموت عذابا فلو علمنا شيئا يكرهه الميت يبدي فلا معنى لقولكم انا لاننسب اباءنا بعد موتهم الى الضلال وكيف وانتم تربطون الركائب على قبور الاكابر.

وأما في التوحيد فتقولون خالق السموات والارض هو الله تعالى لاغيره ثم تقولون هو اله الالهة وترجعون الى الشرك.

وأما في قول النبي ﷺ فتقولون انه مجنون ثم تقولون له انك تغلبنا بقوة جدلك والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز الى غير ذلك من الامور المتناقضة)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله: (هذا قسم ايضا لتحقيق اضطراب اقوالهم في الطعن في الدين وهو كالتذييل للذي قبله لان ما قبله خاص باثبات الجزاء وهذا يعم ابطال اقوالهم الضالة فالقسم لتأكيد المقسم عليه لانهم غير شاعرين بحالهم المقسم على وقوعه ومتهالكون على الاستزادة منه فهم منكرون لما في اقوالهم من اختلاف واضطراب جاهلون به جهلا مركبا والجهل المركب انكار للعلم الصحيح)[2].

فالغرض من القسم التاكيد على اضطرابهم وتانقض اقوالهم في النبي ﷺ وفي كل ما جاءهم به والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب ج٢٨ ص١٦٣.

(٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص٣٤٠.

رابعاً: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة: أنه لما اقسم الله تعالى على اثبات البعث في اول السورة وانه امر واقع لا مفر منه وان كلا سيجازى بعمله ويدان بما قدم ولما كان المشركون مكذبين بامر البعث وجاحدين له كليا أقسم الله تعالى هنا بالسماء ذات الحبك على اضطرابهم وتناقضهم وعدم ثباتهم على امر واحد في محمد ﷺ وامر البعث وامر القران والرسالة كلها حيث تعددت اقوالهم فيه واختلفت نظرتهم اليه بالمدح تارة وبالذم اخرى فهم لم يثبتوا على مدحهم له ووصفهم اياه بالصادق الامين فيصدقونه ويؤمنون به ولم يثبتوا على ذمه فيبتعدوا عنه ويتركوه اذ لا يضرهم تركه ما داموا غير مصدقين له مما يدل على ان في نفوسهم تصديق داخلي يمنعهم العناد والكبر من اظهاره.

ومن العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه هنا ان لامقسم به وهو السماء ذات الحبك طرائقها متداخلة لا يدرك العقل قوة سبكها ولا يحيط بكيفية نظمها ومن شدة اضطرابهم وتخبط عقولهم اتوا بما لا يدرك العقل الربط بين بعضه والبعض الاخر من الاقوال والافعال فأقوالهم متناقضة متداخلة لا يتميز بعضها عن بعض ولا يكتفون بواح منها دون الاخر ومما يؤيد ذلك ما قاله البقاعي- رحمه الل تعالى: (ولما اخبر سبحانه عن ثبات خبره اتبعه الاخبار عن وهي كلامهم فقال مقسما عليه لمبالغتهم في تاكيد مضامينه مع التناقض بفعله الجميل وصنعه الجليل اشارة الى انهم لم يتخلقوا من اخلاقه الحسنة بقول ولا فعل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾.....﴿إِنَّكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿لَفِى قَوْلٍ﴾ محيط بكم في امر القران والاتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به ابطال الدين الحق ﴿مُّخْتَلِفٍ﴾ كاختلاف طرائق السماء التي لا تكاد تنتظم ولا يعرف اولها من اخرها واختلاف هذه الاشياء المقسم بها من اول السورة واختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع وان كنتم تجتهدون في تزيينه وتقريه للافهام وتحسينه فانه لا يكاد اذا عرضه الناقد على الفكر النافذ ينضبط بضابط ولا يرتبط برابط..... فكان اختلاف طرائق النجوم دالا على مانع مختار تام العلم كامل القدرة

وكذا اختلاف قولكم على هذا الوجهمع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك فهما ايتان في الافاق وفي انفسكم)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بانها ذات الحبك أي الطرائق لان المقسم عليه: ان قولهم مختلف طرائق قددا ولذلك وصف المقسم به ليكون ايماء الى نوع جواب القسم)[2].

وبهذا تظهر المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الاية الكريمة.

خامسا:اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على اضطراب المشركين في عقيدتهم وان هذا الاضطراب مرده الى عجزهم عن الاتيان بما يقدح في النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا اختلفت اقوالهم وذلك انهم كلما قالوا قولا تبين لهم فساده فعدلوا عنه الى غيره وهكذا والله اعلم

---

(١) نظم الدرر ج٧ ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢) التحرير والتنوير ج١٠ ص٣٤٠.

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطارق:١-٤].

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق:١١-١٤].

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج:١-٤]

وستتم الكلام على هذين القسمين في الفصل القادم ان شاء الله تعالى باعتبارهما من القسم المتعدد.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه

وفيه عشرون مبحثـــاً :

۞ وهي التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه ، في السور التالية :

الصافات، الذاريات، الطور، القلم، الحاقة، المدثر، القيامة، المرسلات، النازعات، التكوير، الانشقاق، البروج، الطارق، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات.

المبحث الأول: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الصافات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات:١-٤].

أولاً: تفسير مفردات الايات الكريمة:

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾: هم الملائكة تصف في السماء للعبادة والذكر صفوفا، وقيل تصف اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله، وقيل من يصف من بني ادم في قتال في سبيل الله او في صلاة وطاعة، وقيل والطير صافات[١]

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [الصافات:٢] الدفع عن الشيء بتسليط وصياح والزجرة الصيحة[٢] والزاجرات الملائكة تزجر السحاب وغيرها من مخلوقات الله، وقيل ايات القران لتضمنه النواهي الشرعية وكل ما زجر عن معاصي الله[٣]

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: القارئات وهم الملائكة يتلون ذكره من الكتب المنزلة وغيرها وقيل هم التالون للذكر من بني ادم[٤].

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾: جواب القسم[٥].

---

(١) البحر المحيط ج٧ ص٣٣٥، اللباب في علوم الكتاب ج١٦ ص٢٧١، التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٢٣١، الدر المصون ج٩ ص٢٩٠، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤

(٢) البحر المحيط ج٧ ص٣٣٥، اللباب في علوم الكتاب ج١٦ ص٢٧١، التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٢٣١، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤.

(٣) البحر المحيط ج٧ ص٣٣٧، اللباب في علوم الكتاب ج١٦ ص٢٧١، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤.

(٤) البحر المحيط ج٧ ص٣٣٧، اللباب في علوم الكتاب ج١٦ ص٢٧١، التسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص٢٣١، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤، الكشاف ج٥ ص١٩٩.

(٥) الدر المصون ج٩ ص٢٩١، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤.

أركان القسم في هذه الايات الكريمة:

أركان القسم في هذه الايات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: الصافات والزاجرات والتاليات فاقسم بالملائكة الصافات لعبادته الزاجرات لخلقه من سحاب وغيره التاليات لذكره من قران وتسبيح وغيره من انواع الذكر.

قال ابن عاشور رحمه الله(وهو قسم واحد والمقسم به نوع واحد مختلف الاصناف وهو طوائف من الملائكة كما يقتضيه قوله تعالى﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[1].

قال الهرري الشافعي: (وفي تفسير الشيخ وغيره: وجاء بالفاء للدلالة على أن القسم بمجموع المذكورات. وفي الصاوي[2]: الفاء للترتيب في الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف ثم يعقبه زجر النفس ثم يعقبه التلاوة وهكذا ويحتمل انها للترتيب في المزايا ثم اما هو باعتبار الترقي فالصافات ذوات فضل فالزاجرات افضل فالتاليات اكثر فضلا أو باعتبار التدلي فالصافات اعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح، انتهى.)[3].

المقسم عليه: ان الاله الحق واحد.

اداة القسم هي: الواو.

---

(1) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨٦.

(2) **أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى صاء الحجر في إقليم الغربية، بمصر ولد سنة ١١٧٥هـ. توفي بالمدينة المنورة سنة ١٢٤١ هـ. من كتبه :حاشية على تفسير الجلالين، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، والفرائد السنية** . انظر :الأعلام ج١ص٢٤٦

(3) حدائق الروح والريحان ج٢٤ ص١٣٣.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الايات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الايات الكريمة: هو التاكيد على وحدانية الله تعالى وتفرده بالالوهية وانه تعالى المالوه الذي لا ينبغى ان يؤله غيره الذي بيده ربوبية السماوات والارض وما فيهما وما بينهما وربوبية المشارق والمغارب وما بينهما فهم رب كل شيء جل وعلا وهذا الغرض يحمل في طياته غرضا اخر وهو ابطال اعتقاد المشركين بتعدد الالهة ونفي الالهية عن المعبودين مع الله تعالى.

قال ابو السعود: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ جواب القسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات:٥] فان وجودها و انتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته)[١]

(أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ وقع القسم على هذا)[٢].

قال ابن عاشور رحمه الله: (القسم لتأكيد الخبر مزيد تأكيد لانه مقتضى انكارهم الوحدانية)[٣]

وقال ايضا: (وجملة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ جواب القسم ومناط التاكيد صفة ﴿لَوَٰحِدٌ﴾ لان المخاطبين كانوا قد علموا أن لهم الها ولكنهم جعلوه عدة الهة فابطل الله اعتقادهم باثبات انه واحد غير متعدد وهذا انما يقتضي نفي الالهية عن المتعددين واما اقتضاؤه تعيين الالهية لله تعالى فذلك حاصل بانهم لا ينكرون ان الله تعالى هو

---

(١) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ج ص.

(٢) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١٤ ص١٩٤.

(٣) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨٣.

الرب العظيم ولكنهم جعلوا له شركاء فحصل التعدد في مفهوم الاله فاذا بطل التعدد تعين انحصار الالهية في رب واحد هو الله تعالى. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ أتبع تاكيد الاخبار عن وحدانية الله تعالى بالاستدلال على تحقيق ذلك الاخبار لان القسم لتاكيده لا يقنع المخاطبين لانهم مكذبون من بلغ اليهم القسم فالجملة استئناف بياني لبيان الاله الواحد مع ادماج الاستدلال على تعيينه بذكر ما هو من خصائصه المقتضي لتفرده بلالهية)[1].

وقال القاسمي رحمه الله: (وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾ جواب القسم وفي تاكيد المقسم عليه بتقديم الاقسام وتوكيد الجملة اهتمام به بتحقيق الحق فيه الذي هو التوحيد وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به)[2]

وقال الهرري الشافعي: (فإن قلت: ما الحكمة في ذكر القسم هنا لانه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة اليه لانهم مصدقون ولو من غير قسم وان كان المقصود الكفار فلا حاجة اليه ايضا لانهم غير مصدقين على كل حال؟

قلت: أن الحكمة في القسم تاكيد الادلة التي تقدم تفصيلها في سورة ﴿يسٓ﴾ ليزداد الذين أمنوا إيماناً ويزداد الذين كفروا بعدا وطردا أو الحكمة فيه تعظيم المقسم به واظهار شرفه وتاكيد المقسم عليه على ما هو مالوف في كلامهم وقد أنزل القرآن على لغتهم وعلى أسلوبهم في محاوراتهم)[3].

وقال أيضاً عند ذكر ضروب البلاغة في الايات بعد ان ذكر الكلام السابق بمعناه قال: (ومنها: التاكيد بأن واللام في قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾ ومقتضى الكلام

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٨٦.

(٢) محاسن التاويل ج١٣ ص٥٠٢٦.

(٣) حدائق الروح والريحان ج٢٤ ص١٣٤-١٣٥.

يقتضيه لانكار المخاطبين الوحدانية)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايات الكريمة هي: انه لما جحد المشركون تفرد الله تعالى بالالوهية وكانوا يعتقدون ان معه الهة اخرى مع اقرارهم بربوبية الله تعالى ولما كان الملائكة متالهية له تعالى عابدين له دون سواه اقسم الله تعالى بهم على تفرده بالوهيته تعالى لهم فكما انه اله للملائكة يعبدونه ولا يعصونه فهو اله لكم ايها الناس ايضا فهو الاله الواحد للجميع سبحانه عز وجل.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فان الاقسام كالدليل والاية على صحة ما اقسم عليه من التوحيد وما ذكر من غير الملائكة فهو من اثار الملائكة وبواسطتها كان.

واقسم سبحانه بذلك على تو حيد ربوبيته والهيته وقرر توحيد ربوبيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ من اعظم الادلة على انه اله واحد ولو كان معه اله اخر لكان الاله مشاركا في ربوبيته كما شاركه في الهيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)[2].

قال البقاعي رحمه الله: (لما كلن الانفراد بالملكوت لا يكون الا مع الوحدانية بالذات وفي ذلك استحقاق الاختصاص بالالهية كان ذلك- مع انه بحيث لا يخفى على ذي لب - عندهم في غاية البعد ولذلك لا يسلمون ما يتعلق بالملكوت وينكرونه غاية الانكار ناسب ان يقسم عليه ولما كان من البلاغة ان يناسب بين المقسم به والمقسم عليه وكان الاصطفاف دالا على اتحاد القصد كما في صفوف القتال والصلاة وكان الملائكة لا قصد لهم الا الله من غير عائق عن ذلك فكانوا احق الخلق بالاصطفاف تارة للصلاة وتارة للتسبيح والتقديس وتارةلتدبير الارزاق

---

(1) حدائق الروح والريحان ج٢٤ ص١٨٤.

(2) التبيان في اقسام القران ص٤٢٨.

وتارة لتعذيب اهل الشقاق إلى غير ذلك من الامور التي لا تسعها الصدور وكانوا بعد زجرة الاماتة ثم زجرة الاحياء المصرح بهما في السورة الماضية ثم زجرتي الصعق والافاقة الاتيتين في الزمر حين تشقق السماء بالغمام وتكون وردة كالدهان وتنفطر بسطوة الملك الديان ويتكرر ما فيها من اجرام ومعان تنزل ملائكة كل سماء فتصير صفا مستديرا ملائكة الاولى حول اهل الارض وملائكة الثانية حول ملائكة الاولى وهكذا ثم يصيرون اذا قيل: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾ [الرحمن:٣٣]. فماج العباد بعضهم في بعض من شدة الزحام وطول القيام كلما مالوا على جهة من جهاتهم زجروهم زجرا ردوهم عن النفوذ وصدوهم عن النفور تالين من كلام الملك العلام ما يليق بذلك الوقت في ذلك المقام مع ان انتظام المدبرات الناشيء عن اصطفافهم في التدبير في طاعة الملك القدير دال على الوحدانية قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ أي الجماعات من الملائكة والمصلين والمجاهدين المكملين انفسهم بالاصطفاف في الطاعة فهو صفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ وعدل عن أن يقول الصافين القاصر على الذكور العقلاء ليشمل الجماعات من الملائكة ولاالجن والانس والطير والوحش وغيرها اشارة إلى إنه لا يؤلف بين شيء منها ليتحد قصده الا واحد قهار وانه ما تحد قصد شيء منها الا استوى صفه ولا اعتدل صفه الااتحد زجره وهو صياحه ولا أتحد زجره الا اتحد ما يذكره بصوته بدليل المشاهدة..... فبان ان الخير كله في الوحدة وانه لاصلاح بدونها....فصح ما اريد بالقسم وأتحد جداً بالمقسم عليه والتام والتحم به أي التحام وانتظم معناهما كل الانتظام. ولما كان التاكيد بالمصدر ادل على الوحدة المرادة قال{صَفًّا})[1]

وقال ايضا: (قال الإمام ابو جعفر بن الزبير: لما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه وعظيم الارشاد وما يهتدي الموفق باعتبار بعضه ويشغل المعتبر به في تحصيل

---

(١) نظم الدرر ج٦ ص١٨٦.

مطلوبه وفرضه ويشهد بان الملك بجملته واحد وان رغم لنف المعاند والجاحد اتبعها تعالى بالقسم على وحدانيته فقال تعالى ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ الاية الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: (هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام في حال عباداتها وتدبيرها ما تدبره باذن ربها على الوهيته تعالى وربوبيته فقال ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾: أي صفوفا في خدمة ربهم وهم الملائكة ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾: وهم الملائكة يزجرون السحاب وغيره بامر الله ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى فلما كانوا متألهين لربهم ومتعبدين في خدمته ولا يعصونه طرفة عين اقسم بهم على الوهيته فقال: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾: ليس له شريك في الالهية فاخلصوا له الحب والخوف والرجاء وسائر انواع العبادة)[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ابطال دعاوى المشركين القائلين بتعدد الآلهة حيث أقروا بوجود الله تعالى ولكنهم قالوا بوجود غيره معه وتعجبوا من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله وترك ما سواه كما قال تعالى حكاية عنهم:﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ ﴾ ص: ٥

---

(١) نظم الدررج٦ ص١٩١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج٥ ص١٤٦٤.

المبحث الثاني: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الذاريات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ [الذاريات:١-٦].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾: الذاريات هي الرياح تذر التراب وغير التراب قال الله تعالى: ﴿فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ أي تفرقه في أمكنة متعددة، وهو الحق إن شاء الله، ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح [١].

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾: المراد بها السحاب، أي المزن تحمل وقرا ثقلا من الماء.[٢].

﴿وِقۡرٗا﴾: تحمل المياه موقرة أي: مثقلة محملة، ويدل لهذا القول تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله [٣]

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ﴾: هن السفن[٤].

﴿يُسۡرٗا﴾: أي : أي جريا ذا يسر أي بسهولة قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١] من سورة الحاقة[٥].

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ﴾: وهم الملائكة وجمعهم لأنه يجوز جمع المؤنث باعتبار الجماعات

---

(١) أضواء البيان ج ٧ ص ٤٣٤، التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

(٣) أضواء البيان ج ٧ ص ٤٣٤ .

(٤) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

(٥) أضواء البيان ج ٧ ص ٤٣٤.

أي: فالجماعات المقسمات[1].

﴿أَمۡرًا﴾: التي تقسم الأمر أي: شؤون الخلق ويحتمل أن تكون أمراً أي: بأمر الله والمعنى صحيح على التقديرين فالملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، ﴿أَمۡرًا﴾ مفعول به [2].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: يعني ما وعدكم الله فهو وعد صادق من البعث الذي يتلوه الجزاء،وقيل من الثواب والعقاب . قلت : وهو من لوازم البعث [3]

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾: الدين يعني الجزاء، والدين يطلق أحياناً بمعنى الجزاء وأحياناً بمعنى العمل وهنا ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾ أي الجزاء لابد أن يقع[4].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو الذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات أمراً.

قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله تعالى-: (أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات لأنها دالة على عظمته تبارك وتعالى ولما فيها من المصالح والمنافع)[5].

وقال أيضاً: (هذه أربع جمل: الذاريات، الحاملات، الجاريات، المقسمات، كل هذه مقسم بها)[6].

---

(١) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص٨١.

(٣) معالم التنزيل ج٤ ص٣٧١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٣.

(٥) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

(٦) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٦.

المقسم عليه: هو صدق وقوع ما يوعدون من العذاب والبعث والجزاء.

قال ابن جزيء:(هذا جواب القسم ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة وهو يشمل الوعد والوعيد)([1])

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمات هو التأكيد على وقوع البعث والجزاء وانه لابد من وقوعه والأخبار عنه خبر صدق لا شك فيه ولا كذب وقد أكد الله عز وجل ذلك بالقسم بهذه المخلوقات العظيمة التي يشاهدها المنكرون للبعث ويرون عظمتها ويشاهدون أثرها في الكون فاقسم الله

تعالى بها للتأكيد على صدق وقوع البعث وحقيقته

قال البقاعي: (لما ختم سبحانه ﴿قٓ﴾ بالتذكير بالوعيد، افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه)([2])

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (فاقسم الله-عز وجل - بهذه المخلوقات على إنما نوعد صادق فلا بد إن يقع إذا وقع ما نوعد وهو البعث يوم القيامة يتلوه الجزاء)([3]).

(قسم الله تعالى بالأمور العظيمة فيه تأكيد على وقوع المقسم عليه ويسره وسهولته وهو البعث والجزاء.

في القسم بمخلوقات الله تشريف لها لما فيها من دلائل على الهدى والصلاح

([1]) التسهيل لعلوم التنزيل ج٣ ص٨١

([2]) نظم الدرر ج٦ ص٤٨٣.

([3]) التفسير الثمين ج١٠ ص١٧٧.

وتذكير بنعمه تعالى فيما أوجده فيها)[1]

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة هي: انه لما أنكر المشركون البعث وكذبوا بما وعدهم به النبي ﷺ من الجزاء والحساب مستبعدين إن يكون ذلك صدقا كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٢] لما كان إنكارهم على هذه الكيفية وبهذه القوة ولما كان القسم من اقوي المؤكدات عند العرب اقسم الله تعالى على وقوعه بأربعة أشياء ضخمة وشريفة كلها تدل على عجيب صنعه تعالى وعظيم قدرته وهي:

١-الرياح التي تذرو التراب وغيره من الأشياء في هبوبها.

٢-السحب التي تحمل ثقلا من الماء ينتفع به العباد والبلاد

٣-السفن التي تجري على سطح الماء جريا ذا يسر وسهولة

٤-الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره من الأرزاق والأمطار وكتابة الاعمال وقبض الأرواح وإهلاك الأمم المكذبة.

أقسم الله تعالى بهذه الأمور العظيمة إن الذي توعدون من البعث والجزاء بالنعيم المقيم أو بالعذاب الأليم لصدق لا كذب فيه وحق لا مرية فيه وان الجزاء العادل لكائن لا محالة[2].

قال البقاعي: (لما ختم سبحنه ﴿قٓ﴾ بالتذكير بالوعيد، افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال مناسبا بين القسم والمقسم عليه: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ **أي**: الرياح

---

(١) انظر: الدكتور مصطفى مسلم ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بجامعة الشارقة؛ التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٧ ص٤٤٧-٣٣٨؛ الناشر: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٧ ص٤٤٤-٤٤٥.

التي من شأنها الاطارة والرمي والتفريق والإذهاب)[1].

قال ابن القيم-رحمه الله-: (وأقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان العبرة والآية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظم قدرته)[2]

وقال أيضاً: (ثم اقسم سبحانه بهذه الامور على صدق وعده ووقوع جزائه بالثواب والعقاب فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أي: ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب لحق كائن وهو وعد صدق لا كذب ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: إن الجزاء لكائن لا محالة ويجوز إن تكون ما موصولة والعائد محذوف والمعنى: إن الذي توعدون لصادق أي: كائن وثابت وان تكون مصدرية أي: إن وعدكم لحق وصدق ووصف الوعد بكونه صادقا ابلغ من وصفه بكونه صدقا ولا حاجة إلى تكلف جعله بمعنى مصدوق فيه بل هو صادق نفسه كما يوصف المتكلم بأنه صادق في كلامه فوصف كلامه بأنه صادق وهذا مثل قولهم: سر كاتم وليل قاتم ونهار صائم ماء دافق ومنه ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة:٧] وليس ذلك بمجاز ولا مخالف لمقتضى

التركيب واذا تأملت هذا التناسب والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالا عليه مرشدا إليه)[3].

وقال مؤلفو التفسير الموضوعي: (فلما اشتملت السورة على اوعاد وجزاء أعقبت بالقسم على ذلك من صدق وعده سبحانه ووعيده ووقوع الحساب على الأعمال فقال الله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [الذاريات:١] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ

---

(١) نظم الدرر ج٦ ص٤٨٣.

(٢) التبيان في اقسام القران ص٢٨٠.

(٣) التبيان في اقسام القران ص٢٨٦

ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب)[1]

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه قوة الحجة القرآنية والجام المعاندين المنكرين بما لا يدع لهم مجالا للانكار الحقيقي وذلك من خلال التاكيد على وقوع البعث هنا بمؤكدات تضمنها القسم والمقسم عليه ومنها نوع المقسم به وتعدده وكونه دالا دلالة واضحة على المقسم عليه اضافة الى تاكيد صدقه وتحقق وقوعه فيقف المخاطب مسلما بما ورد فيه اذ ليس له قدرة على اعادة الانكار بعد هذا التوكيد العظيم

(١) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٧ ص٤٤١-٤٤٢

المبحث الثالث: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الطور

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ [الطور:١-٨].

أولا: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلطُّورِ﴾: فيه وجهان : أحدهما : أنه اسم للجبل بالسريانية ، قاله مجاهد . قال مقاتل: يسمى هذا الطور زبير .

الثاني : أن الطور ما أنبت ، وما لا ينبت فليس بطور ، قاله ابن عباس

وقيل هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ﷺ[١].

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾: أي مكتوب والمراد به القران أو ما يعم الكتب المنزلة[٢]

﴿فِي رَقّٖ﴾: أي جلد مهيأ بالقشر للكتابة فالرق هو: الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه[٣].

﴿مَّنشُورٖ﴾: مهيأ للقراءة والاتعاظ بما فيه عن طريق نشره وتفريقه بحيث يصبح بين يدي كل قارئ فيقرأ على الناس جهاراً[٤].

﴿وَٱلۡبَيۡتِ﴾: هو بيت في السماء السابعة يقال له: الضراح وقيل: المراد به

---

(١) محاسن التاويل ج٩ ص٣٧٤١، النكت والعيون ج٥ ص ٣٧٦، التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٢.

(٢) محاسن التاويل ج٩ ص٣٧٤٢.

(٣) نظم الدرر ج٧ ص٢٩٢، محاسن التاويل ج٩ ص٣٧٤٢.

(٤) نظم الدرر ج٧ ص٢٩٢، التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٢

الكعبة[1].

﴿ٱلْمَعْمُورِ﴾: أي الذي يعمر بكثرة غاشيته فالبيت المعمور في السماء بكثرة الملائكة والكعبة بكثرة الحجاج والعمار والطائفيين والمجاورين[2]

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾: فيه وجهان :أحدهما : أنه السماء ، قاله علي .الثاني : أنه العرش ، قاله الربيع .[3].

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: قيل المراد به البحر الذي عليه عرش الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] وقيل المراد به البحر الذي في الأرض لأنه المشاهد المعلوم والصحيح إن المراد بع بحر الأرض لان (ال) للعهد الذهني [4].

﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: يعني الممنوع ومنه سجرت الكلب يعني ربطته حتى لا يهرب وقيل: الذي سيسجر أي: يوقد والمراد به المعنيان جميعا لأنه لا منافاة بينهما وقيل معناه: المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد ؛ فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم [5]

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾: ثابت نازل و لابد أن يقع[6].

﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: أي يدفعه عن المكذبين[7].

---

(١) التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٢.

(٢)التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٣ .

(٣) النكت والعيون ج٥ ص٣٧٨.

(٤) التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٣.

(٥) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الحكيم ج٥ ص١٤٦.

(٦) نظم الدرر ج٧ ص٢٩٥، التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٣.

(٧) محاسن التاويل ج٩ ص٣٧٤٣.

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى:

المقسم به: هو الطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور.

المقسم عليه: وقوع عذاب الله سبحانه وتعالى وانه ليس له مانع يمنع وقوعه بالمشركين.

أداة القسم: الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو التأكيد على تحقيق حلول العذاب بالمكذبين بالنبي ﷺ وانه أمر محقق لا مانع منه ولا دافع له وهذا متضمن أيضا لغرض أخر وهو الوعيد لهؤلاء المكذبين بالبعث وتهديدهم بالعذاب يوم القيامة وفيه كذلك إبطال لتصوراتهم الفاسدة وبطلان معتقداتهم فيما جاءهم به النبي ﷺ من خبر البعث والجزاء.

قال البقاعي رحمه الله: (وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما توعد تعالى قريشا ومن كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله ﷺ إنهم سيصيبهم ما اصاب غيرهم من مكذبي الأمم المنبه على ذكرهم في السورة قبل ثم أشار سبحانه إلى عظيم ما ينالهم من الخزي واليم العذاب **بقوله**: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٦٠] أقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه فقال تعالى ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور:١٧][1].

(١) نظم الدرر ج٧ ص٤٤٨.

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هو انه لما أنكر المشركون ما اخبر الله تعالى به من البعث والجزاء والحساب وكذبوا بما جاء به عليه الصلاة والسلام في **ذلك اقسم الله تعالى بخمس من** مخلوقاته العظيمة الدالة على قدرته العظيمة على البعث على إن عذابه واقع بأعدائه وانه لا دافع له عنهم

ففي القسم بالطور الجبل الشريف المميز عن سائر الجبال وبالكتاب المسطور وبالبيت المعمور وبالسماء ذات السقف المرفوع وبالبحر الموقد في ذلك كله دلائل لا تحصى على قدرته تعالى على البعث والجزاء ولا يدركها إلا الموقنون بذلك اليوم وجواب القسم أيضاً متضمن الوعيد لهم على إنكاره.

قال ابن القيم رحمه الله: (واقسم سبحانه بهذه الأمور على المعاد والجزاء فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:٧-٨] ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه اخبر سبحانه أن لا دافع له وهذا يتناول أمرين: احدهما انه لا دافع لوقوعه والثاني: انه لا دافع له إذا وقع)[١]

قال الشيخ ابن عثيمين: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو جواب القسم وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات: القسم بخمسة أشياء وإذا كان قسما بخمسة أشياء صار كأنه اقسم عليه خمس مرات والثاني: ب (أن) والثالث: باللام)[٢].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على أن الأمور العظيمة يستدل بها على الأمر العظيم حيث أقسم الله تعالى هنا بخمسة أمور عظيمة دالة على عظيم وهو

---

(١) التبيان في اقسام القران ص٢٦٤.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٢٠٤.

قدرة الله تعالى واكد هذا القسم بمؤكدات لفظية اخرى تضمنها جواب القسم فكان ذلك كله دليل على ان ما اقسم عليه امرا عظيما لا يشك فيه

المبحث الرابع: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة القلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:١-٤].

أولا: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿نٓ﴾: اسم للحرف المعروف[١].

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾: أي: الذي يخط به فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للأقسام به ظاهر وان أريد الجنس فلو لم يكن له مزية إلا كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه[٢].

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: أي: يكتبون والمقصود السطور المكتوبة بالقلم وما مصدرية أي وسطرهم الكتابة سطورا، أو موصولة أي: وما يكتبونه من الصحف[٣]

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: جواب القسم قصد به تكذيب المشركين في أفكهم المحدث عنه بآية: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦] والمعنى: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال: أنت بحمد الله عاقل وأنت بحمد الله فهم[٤]

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾: بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة[٥].

---

(١) محاسن التاويل ج٩ ص٣٩٦٢، التحرير والتنويرج٢٩ ص٥٩.

(٢) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٨٤، محاسن التاويل ج٩ ص٣٩٦٢.

(٣) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٦٢، التحرير والتنويرج٢٩ ص٥٩.

(٤) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٨٤، محاسن التاويل ج٩ ص٣٩٦٢

(٥) إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٨٤.

﴿لَأَجْرًا﴾: أي: ثوابا على أذى المشركين واحتمال هذا الطعن والصبر عليه فهو ثواب عظيم لا يقادر قدره[1].

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: أي غير منقوص ولا مقطوع أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط[2]..

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: قال ابن جرير: أي: أدب عظيم وذلك أدب القران الذي أدبه الله به وهو الإسلام وشرائعه قالت عائشة رضي الله عنها: [كان خلق رسول الله ﷺ القرآن][3] أي: كما هو القران)[4].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو القلم أما قلم اللوح والكرام الكاتبين أو القلم الذي في أيدي الناس وما يسطرون بالقلم.

قال ابن القيم رحمه الله: (ثم اقسم سبحانه بالقلم: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم)[5].

وقال أيضاً: (ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله إلا به وان الله سبحانه اقسم به في كتابه وتعرف إلى غيره بأنه علم بالقم وإنما وصل إلينا ما بعث به نبينا ﷺ بواسطة القلم)[6].

---

(1) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٦٢.

(2) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٨٤، محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٦٢.

(3) اخرجه مسلم في باب صلاة المسافرين رقم ٧٤٦.

(4) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٦٣.

(5) التبيان في أقسام القرآن ص٢٠٢.

(6) التبيان في أقسام القرآن ص٢١٠.

وقال ابن عاشور رحمه الله: (فالقسم بالقلم لشرفه بأنه يكتب به القران، وكتبت به الكتب المقدسة وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى)[1].

المقسم عليه: إن النبي ﷺ ليس بمجنون وان له لأجرا غير منقوص وانه عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم وهذا من تنزيه النبي ﷺ عما يطعن فيه أعداؤه.

أداة القسم: الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: تنزيه النبي ﷺ عن مطاع الأعداء فيه حيث وصفوه بالجنون كما في قوله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [الحجر:٦-٧] فهنا نزه الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام عما يقوله أولئك الكفار المكذبون من الإفك البين الظاهر في شانه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن القيم رحمه الله: (والمقسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه أعداؤه وهو قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[2].

فكان نفي الجنون الذي وصفوه به أول ما اقسم عليه تعالى في هذه الآية وذكر بعدها دليلا أخر على رجاحة عقله وهو انه سيؤجر ويثاب على ما يقوم به من أداء للرسالة باجر تام طيب كامل لامنة فيه لأحد من الخلق وايد هذا بدليل إضافي وهو انه عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم متوافق مع ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق التي ينادي بها العقلاء والفضلاء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (ولو أن رجلا انشأ رسالة واحدة بديعة منتظمة

---

(١) لتحرير والتنويرج٢٩ ص٦٠.

(٢) التبيان في أقسام القران ص٢١١.

الأول والأخر متساوية الأجزاء يصدق بعضها بعضا أو قال قصيدة كذلك أو صنف كتابا كذلك لشهد له العقلاء بالعقل ولما استجاز احد رميه بالجنون مع إمكان-بل وقوع- معارضتها ومشاكلتها والإتيان بمثلها أو أحسن منها فكيف يرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء

كلهم قاطبة عن معارضته ومماثلته وعرفهم من الحق ما لا تهتدي عقولهم إليه بحيث أذعنت له عقول العقلاء وخضعت له الباب الأولياء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها إلا التسليم له والانقياد والإذعان طائعة مختارة وهي ترى عقولها اشد فقرا وحاجة إلى ما جاء به ولا كمال لها إلا بما جاء به ؟ فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي)[1]

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: انه لما أراد المشركون رد رسالة النبي ﷺ حاولوا ذلك من خلال الطعن في النبي ﷺ فوصفوه عليه الصلاة والسلام بالجنون ليؤكدوا للناس إن كلامه غير معتبر لقدانه العقل الذي يقوده إلى الصواب وأيضاً رموه بهذه التهمة تثبيطا لعزمه ﷺ لثنيه عن الدعوة إلى الله تعالى اقسم الله تعالى بالة العلم التي تدونه وبالعلم المدون بالكتابة المسطو ربها على أن النبي ﷺ ليس مجنونا وانه كامل القوى يستحق الجزاء العظيم على ما يقوم به من الجهد في سبيل إبلاغ هذا الدين إلى الناس وانه على خلق عظيم رفيع الشأن يتنافى مع ما يكون عليه فاقد العقل من الضعف وعدم الاتزان متصفا باليان والفصاحة التي أعيت جميع من حوله عن مجاراتها والإتيان بمثلها.

فاقسم سبحانه بالقلم وما يكتب به من العلم والفضل الذي يصدر عن العقلاء الفضلاء على إن محمداً ﷺ ليس مجنونا وقد أتاهم بما لا يصدر إلا عن عاقل

---

(1) التبيان في أقسام القران ص٢١٢.

كامل العقل والفهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأنت إذا طابقت بين هذا القسم والمقسم به وجدته دالا عليه اظهر دلالة وأبينها فان ما سطر الكاتب بالقلم من أنواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر إلا عن عاقل وافر العقل فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي هو في أعلى درجات العلوم؟ بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الإتيان بها ولاسيما من أمي لا يقرأ ولا يخط بيمينه مع كونه في أعلى الفصاحة سليما من الاختلاف بريا من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد إن يأتوا بمثله ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك من مجنون لا عقل له يميز به بين ما عسى كثير من الحيوان إن يميزه وهل هذا إلا من أقبح البهتان واظهر الافك فتأمل شهادة المقسم به للمقسم عليه ودلالته عليه أتم دلالة.....

ولهذا فان أتباعه أعقل الخلق على الإطلاق وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في الفنون إذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه ظهر لك التفاوت بينها ويكفي في عقولهم إنهم عمروا الدنيا بالعلم والعدل والقلوب بالإيمان والتقوى فكيف يكون مجنونا وهذا حال كتابه وهديه وسيرته وحال أتباعه؟ وهذا إنما حصل له ولأتباعه بنعمة الله عليه وعليهم فنفى عنه الجنون بنعمته عليه.)[1]

وقال ابن عاشور رحمه الله: (وأوثر القسم بالقلم والكتابة للإيماء إلى أن باعث الطاعنين على رسول الله ﷺ واللامزين له بالجنون إنما هو ما أتاهم به من كتاب والمقسم عليه نفي أن يكون النبي ﷺ مجنونا والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لما دعاهم إلى الإسلام: هو مجنون وذلك ما شافهوا به النبي ﷺ وحكاه الله عنهم في آخر السورة: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم:٥١] وهكذا كل ما ورد فيه نفي صفة الجنون عنه فإنما هو رد على أقوال

(١) التبيان في أقسام القران ص٢١١-٢١٢.

المشركين كقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢].

وقد زل فيه صاحب الكشاف زلة لا تليق بعلمه والمقصود من نفي الجنون عنه إثبات ما قصد المشركون نفيه وهو ان يكون رسولا من الله لأنهم لما نفوا عنه صفة الرسالة وضعوا موضعها صفة الجنون فإذا نفى ما زعموه فقد ثبت ما أدعاه.

وقد أجيب قولهم وتأكيدهم ذلك بحرف(إن) ولام الابتداء إذ قالوا ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ بمؤكدات أقوى مما في كلامهم إذ اقسم عليه وجيء به بعد النفي بالباء التي تزاد بعد النفي لتأكيده وبالجملة الاسمية منفية لدلالة الجملة الاسمية على ثبات الخبر أي تحققه فهذه ثلاثة مؤكدات)[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (يقسم تعالى بالقلم وهو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم ويسطر بها المثور والمنظوم وذلك إن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام من آيات الله العظيمة التي تستحق إن يقسم الله بها على براءة نبيه محمد ﷺ مما نسبه إليه أعداؤه من الجنون فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه حيث من عليه بالعقل الكامل والرأي الجزل والكلام الفصل الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام وسطره الأنام وهذا هو السعادة في الدنيا ثم ذكر سعادة الآخرة فقال: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ [القلم:٣][2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن مطاعن المشركين وما رموه به من الجنون واثبات كمال عقله لان ما جاء به من الحق

---

(١) التحرير والتنويرج٢٩ ص٦١-٦٢.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٣٦٧.

المفحم لهم لا يصدر عن فاقد للعقل –كما زعموا- و كذلك اثبات كمال خلقه صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال ترفعه عن الرد على كلامهم البذيء واحتسابه الاجر عند الله تعالى وصبره على الاذى

المبحث الخامس: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الحاقة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة:٣٨-٤٣].

أولا: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: أي فاقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وإما حمله على معنى نفي الأقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾: أي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والأول منتظم للكل.

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي القران الكريم[2].

﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: وهو محمد ﷺ يبلغه عن الله تعالى لان الرسول لا يبلغ عن نفسه[3].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾: أي كما تزعمون تارة فان بين أسلوبه وحقائقه وبين وزن الشعر وخيالاته بعد المشرقين،فإنه ليس من أصناف الشعر ولا مشابه له[4].

﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾: تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه عنادا وعتوا.والقلة كناية

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٩٧، محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٨

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٩٧، محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٨

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٢٩٧، محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٨

(٤) فتح القدير ج٤ ص ٣٩٩، محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٨.

عن النفي والعدم[1].

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾: أي كما تدعون تارة أخرى انه من سجع الكهان[2].

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: أي تتعظون وتعتبرون[3].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي هو تنزيل ممن رباهم بصنوف نعمه ومنها ما نزله واوحاه ليهتدوا به إلى سبل السعادة ومناهج الفلاح،وعبر عن الجلالة بوصف ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دون اسمه العلم للتنبيه على أنه رب المخاطبين ورب الشعراء والكهان الذين كانوا بمحل التعظيم والإعجاب عندهم نظير قول موسى لفرعون ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء:٢٦].[4]

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والأول منتظم للكل.

المقسم عليه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وهو إن القران الكريم قول الرسول ﷺ يبلغه عن ربه تبارك وتعالى:

قال ابن القيم رحمه الله: (ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ

---

(١) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٩.

(٢) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٩.

(٣) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٩.

(٤) محاسن التأويل ج٩ ص٣٩٧٩، التحرير والتنوير ج٢٩ ص١٣٣

كَرِيمٍ﴾ وهذا رسول البشرى محمد ﷺ وفي إضافته إليه باسم الرسالة بين دليل على انه كلام المرسل فمن انك ران الله تكلم بالقران فقد أنكر حقيقة الرسالة ولو كانت إضافته إليه إضافة إنشاء أو ابتداء لم يكن رسولا ولناقض ذلك إضافته إلى رسوله الملكي في سورة التكوير)[1].

أداة القسم: هي الباء.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: تنزية النبي ﷺ عما رماه به الكفار من المطاعن حيث زعموا تارة إن هذا القران الكريم شعرا وان النبي ﷺ شاعر وتارة أخرى يزعمون إن هذا القران من سجع الكهان وان النبي عليه الصلاة والسلام كاهن فرد الله تعالى عليهم بان اقسم سبحانه على نفي ما رموه به من النقص بما يدل على صدقه ﷺ وهي جميع المغيبات والمشاهدات في هذا الكون.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذا اعم قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات والآخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والإنس والعرش والكرسي وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه يصرف الأقسام كما يصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم إن كل ما يرى وما لا يرى أية ودليل على صدق رسوله وان ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن.

ومن تأمل المخلوقات ما يراه منها وما لا يراه واعتبر ما جاء به الرسول بها ونقل فكرته في مجاري الخلق والأمر ظهر له إن هذا القران من عند الله وانه كلامه وهو اصدق الكلام وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٧٥.

حق كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[1].

وقال أيضاً: (ثم بين سبحانه كذب أعدائه وبهتهم في نسبة كلامه تعالى إلى غيره وانه لم يتكلم به بل قاله من تلقاء نفسه كما بين كذب من قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] فمن زعم انه قول البشر فقد كفر وسيصليه الله سقر)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: انه لما تمادي المشركون في الطعن في النبي ﷺ وفي رسالته وفي القران الكريم بأكثر من طريقة أكثر من أسلوب حيث زعموا تارة انه عليه الصلاة والسلام شاعر وان القران الكريم شعر وزعموا تارة أخرى انه عليه الصلاة والسلام كاهن وان القران الكريم من سجع الكهان وكلامهم وهدفهم من ذلك رد القران الكريم وتكذيب الرسالة المحمدية لما كان الأمر كذلك رد الله تعالى عليهم بنفي ما زعموه في حق النبي ﷺ فاقسم بجميع ما في العالم من الغيبيات والمشاهدات والخلق والخالق إن هذا القران الكريم كلام الله تعالى بلغه حمد ﷺ عن ربه وان سبب عدم تصديقهم بالنبي ﷺ هو عدم إيمانهم وتذكرهم.

فاقسم هذا القسم العظيم بآياته ومخلوقاته جميعا على براءة الرسول ﷺ مما زعموا مما ينزه ﷺ عنه مما لا يليق به من الشعر والكهانة وعلى إن القرآن حق منزل من عند الله تعالى فكما ان ما تشاهدونه من المخلوقات وما لا تشاهدونه موجود معلوم فكذلك القران حق لاشك وفيه ولا ريب.

قال ابن القيم رحمه الله: (ويكفي الإنسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره بعينه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من أحواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك أبين دلالة

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٧٤.

(٢) التبيان في أقسام القران ص١٧٥.

على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله وما لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (اقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه فدخل في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة على صدق الرسول بما جاء به من هذا القران الكريم وان الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه من انه شاعر أو ساحر وان الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم فلو امنوا وتذكروا لعلموا ما ينفعهم ويضرهم ومن ذلك إن ينظروا في حال محمد ﷺ ويرمقوا أوصافه وأخلاقه لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على انه رسول الله حقا وان ما جاء به تنزيل من رب العالمين لا يليق إن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به وجلالة أوصافه وكمال تربيته لعباده وعلوه فوق عباده)[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه عظمة القران المستمدة من عظمة منزله جل وعلا المتكلم به حقيقة وفي هذا ايضا دحض لادعاء المشركين انه من كلام السحرة والشعراء ببيان انه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن ربه جل وعلا

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٧٥.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٣٧٥.

المبحث السادس: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة المدثر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٧].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿كَلَّا﴾: ردع لمن أنكرها وقيل زجر عن قول أبي جهل وأصحابه إنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل غير ذلك وقيل هي بمعنى: حقا أو بمعنى: ألا الاستفتاحية[١].

﴿وَٱلْقَمَرِ﴾: هذا قسم يقول: حقا[٢]

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: أي ولى[٣].

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: أضاء وتبين وانكشف[٤].

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: جواب القسم أي إن سقر لإحدى الأمور العظام وواحد الكبر: كبرى قال مقاتل والكلبي[٥]: أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية[٦].

---

(١) روح المعاني ج١٥ ص١٨٥، التفسير الثمين ج١٠ ص٣٩١.

(٢) معالم التنزيل ج٤ ص٥٠٦.

(٣) روح المعاني ج١٥ ص١٨٦ معالم التنزيل ج٤ ص٥٠٦.

(٤) روح المعاني ج١٥ ص١٨٦ معالم التنزيل ج٤ ص٥٠٦.

(٥) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبى ، أبو النضر الكوفى ، النسابة المفسر، من الذين عاصروا صغارالتابعين روى عنه الترمذي و ابن ماجه في التفسير توفي سنة : ١٤٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٣٥٨

(٦) روح المعاني ج١٥ ص١٨٦ معالم التنزيل ج٤ ص٥٠٦.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾: يعني: النار نذيرا للبشر، قال الحسن: والله ما انذر الله بشيء أدهى منها[1].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: القمر والليل حين يدبر والصبح حين يسفر.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (اقسم الله تعالى بالقمر والليل والصبح تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها)[2].

المقسم عليه: إن سقر هي إحدى الأمور الكبيرة العجيبة المنذرة للبشر بما وراءها من خطر.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (والمقسم عليه: إن سقر [جهنم] إحدى الدواهي وإنها نذير للبشر أو ذات إنذار على معنى النسب قال الحسن البصري: والله ما انذر الخلائق بشيء ادهي منها)[3]

أداة القسم: الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على إن سقر من الأمور العظيمة المنذرة للناس والمخوفة لمن أنكر وجود المعاد والجزاء والنار فمن أراد النجاة منها فعليه إتباع الحق الذي يضيء نوره كالقمر ويخترق ظلمة الجهل كاختراق ضوء الصبح لظلمة الليل وذلك بالتقدم في درجات طاعة الرحمن فهو

---

(١) معالم التنزيل ج٤ ص٥٠٦.

(٢) التفسير المنير ج١٥ ص٢٥٦.

(٣) التفسير المنير ج١٥ ص٢٥٦.

الناجي ومن أراد التأخر عن ركب المؤمنين السائرين إلى الله تعالى بارتكاب المعاصي والبعد عن الهدى فهو الخاسر فأكد كون سقر منذرة لمن حاد عن نور الإيمان إلى ظلمة المعاصي وكفى بها منذرا ومخوفا لمن كان له قلب يعقل معنى النذارة وعواقب إهمالها وعدم الاكتراث بها فسقر منذرة بالمعاد وما يحصل فيه من العذاب للكافرين والنعيم للمؤمنين والله تعالى أعلم.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (واقسم بالقمر المتلألئ وبالليل إذا مضى- وولى ذاهبا وبالصبح إذا ظهر وتبين وأضاء إن سقر[جهنم] لإحدى الدواهي العظام والبلايا الكبار لإنذار البشر وتخويفهم من عقاب الله على العصيان)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: إن الله تعالى لما ذكر في أول السورة صورة من صور الكبر والعتو والكفر وذكر بعدها مال من فعل ذلك وهو انه سيصلى في سقر وذكر بعد ذلك صفات سقر وخزنتها وعدتهم وذكر الله تعالى إن هذه النار وخزنتها جعلت فتنة للناس تزيد المؤمنين إيماناً وتدخل اليقين في قلوب الشاكين المرتابين فيها ويفشل في هذا الاختبار الذين في قلوبهم مرض والكافرون وان سقر ذكرى للبشر- اقسم الله تعالى بآيات عظيمة فيها من الدلائل على عظمة المولى عز وجل وقدرته الشيء الكثير وهي القمر والليل حين إدباره والصبح حين إسفاره اقسم الله بها على إن سقر إحدى الأمور العظام والدواهي الكبار التي ينذر بها البشر ويخوفون بها.

فهي منذرة لهم من العذاب وانه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه إلا بإتباع نور الهدى الذي يخترق ظلمة الجهل كما يخترق نور القمر ظلمة الليل وكما يدخل الصبح بضوئه على الليل فيدبر الليل ويسفر النهار فان الإيمان يدخل على القلب فيطرد

---

(١) التفسير المنير ج١٥ ص٢٥٣.

نوره ظلمة الكفر من القلب ويحل الإيمان محله وهي محققة للمعاد باعتبارها إحدى العظائم التي يراها الناس يوم القيامة حيث أقسم عليها بما يدل على المعاد بل هو صورة منه إذ القمر يبدأ صغيرا ثم يكبر حتى يصل منها ثم يبدأ في التناقص حتى ينتهي وهكذا الليل يغشى الأرض بظلامه ثم لا يلب ثان يدخل عليه الصبح بضوئه فيدبر وينتهي.

ومن هنا تتبين العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه وهي إن الأمر الثلاثة المقسم بها من الآيات المصدقة لسقر فيما تنذر به من المعاد وما يكون فيه من الجزاء الحسن لمن تقدم في طاعة الله ومن العقاب لمن تأخر عن الطاعة إلى المعصية والله تعالى أعلم.

قال ابن القيم احمه الله: (واقسم سبحانه بهذه الأشياء الثلاثة وهي: القمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر على المعاد لما في القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه فانه يتضمن كمال قدرته وحكمته وعنايته بخلقه وإبداء الخلق وإعادته كما هو مشهود في إبداء النهار والليل وإعادتهما وفي إبداء النور وإعادته في القمر وفي إبداء الزمان وإعادته الذي هو حاصل بسير الشمس والقمر وإبداء الحيوان والنبات وإعادتهما وإبداء فصول السنة وإعادتها وإبداء ما يحصل في تلك الفصول وإعادته فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبرت به الرسل كلهم عنه فصرف سبحانه الآيات على صدق رسله ونوعها وجعلها للفطر تارة وللسمع تارة وللمشاهدة تارة فجعلها اتفاقية ونفسية ومنقولة ومعقولة ومشهودة بالعيان ومذكورة بالجنان فأبى الظالمون إلا كفورا: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣][1].

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٧١-١٧٢.

قال ابن عاشور رحمه الله: (ومناسبة القسم بـ (والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر) أن هذه الثلاثة تظهر بها أنوار في خلال الظلام فناسبت حالي الهدي والضلال من قوله: (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) ومن قوله: (وما هي إلا ذكرى للبشر) ففي هذا القسم تلويح إلى تمثيل حال الفريقين من الناس عند نزول القرآن بحال اختراق النور في الظلمة)(١).

وقال مؤلفو التفسير الموضوعي: (ويقسم الله سبحانه بهذه الحقائق الكونية الكبيرة لتنبيه الغافلين لأقدارها العظيمة ودلالاتها المثيرة يقسم على أن ﴿سَقَرَ﴾ أو الجنود التي عليها أو الآخرة وما فيها هي إحدى الأمور الكبيرة العجيبة المنذرة للبشر بما وراءهم من خطر ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٣٥-٣٦]، والقسم ذاته ومحتوياته والمقسم عليه بهذه الصورة كلها مطارق تطرق قلوب البشر بعنف وشدة تتسق مع النقر في الناقور وما يتركه من صدى في الشعور)(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (فاقسم تعالى بالقمر والليل وقن إدباره وبالنهار وقت إسفاره لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة الدالة على كمال قدرة الله وحكمته وسعة سلطانه وعموم رحمته وإحاطة علمه والمقسم عليه قوله ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة فإذا أعلمناكم بها وكنتم على بصيرة من أمرها فمن شاء منكم إن يتقدم فيعمل بما يقربه من ربه ويدنيه من رضاه ويزلفه من دار كرامته إذ يتأخر عما خلق له وعما يحبه الله ويرضاه فيعمل بالمعاصي ويتقرب إلى نار جهنم كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩](٣).

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٢٩٨

(٢) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٨ ص٤٧٠.

(٣) التفسير الثمين ج١٠ ص٣٩١.

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على عظم النار وانه بذاتها اية دالة على قدرة الله تعالى على تعذيب من عصاه وفي هذا ايضا تخويف الناس منها ومن كل امر يؤدي اليها بدأً بالشرك وانتهاءً باصغر المعاصي

المبحث السابع: التناسب بين القسم المتعدد وجوابه في سورة القيامة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:١-٢]

أولاً: تفسير مفردات الآيتين الكريمتين:

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾: أي: اقسم ولا: مزيدة وتزيد العرب (لا) للتأكيد وذلك إن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان ب(لا) قبل القسم لتأكيد النفي والمقسم عليه هنا هو إثبات المعاد والرد على الجهلة المعاندين القائلين بعدم بعث الأجساد ويرى قوم إن (لا) رد لكلام سابق متقدم وجواب له فالعرب لما أنكروا البعث قيل لهم: ليس الأمر كما تزعمون واقسم إن البعث حق لا ريب فيه[1].

﴿بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: يوم الدين والجزاء والحساب على الأعمال ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: هي التي تلوم نفسها أو بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الإمارة بالسوء جميع النفوس الخيرة والفاجرة سميت لوامة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حال من أحوالها[2].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو يوم القيامة والنفس اللوامة.

المقسم عليه: محذوف للدلالة عليه بقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ

---

(١) التفسير المنير ج١٥ ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم ج٦ ص٣٣٥، التفسير المنير ج١٥ ص٢٧٠، التفسير الثمين ج١٠ ص٣٩٣

عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة:٣] وهو لتبعثن.

أداة القسم: هي الباء.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: تحقيق حصول البعث والجزاء والحساب على الأعمال والتأكيد على حقيقة يوم القيامة وانه لا شك فيه ولا ريب.

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن ذلك قوله: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، فقد تضمن الأقسام على ثبوت الجزاء ومستحق الجزاء وذلك يتضمن إثبات الرسالة والقران والمعاد وهو سبحانه يقسم على هذه الأمور الثلاثة ويقررها ابلغ التقرير لحاجة النفوس إلى معرفتها والإيمان بها وأمر رسوله إن يقسم عليها كما قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

فهذه ثلاثة مواضع لا رابع لها يأمر الله نبيه ﷺ إن يقسم على ما اقسم عليه هو سبحانه من النبوة والقران والمعاد.

فأقسم سبحانه لعباده وأمر اصدق خلقه أن يقسم لهم وأقام البراهين القطعية على ثبوت ما اقسم عليه فأبى الظالمون إلا جحودا وتكذيبا)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (وصيغة [لا اقسم] صيغة قسم ادخل حرف النفي على فعل[اقسم] لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به بحيث يوهم السامع إن المتكلم يهم إن يقسم به ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا اقسم به

---

(١) التبيان في أقسام القران ص٢٨.

أي: ولا اقسم باعز منه عندي وذلك كناية عن تأكيد القسم...)[1].

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بيوم القيامة تعظيما لشانه كما انه اقسم بالنفس اللوامة الطامحة إلى زيادة الخير والطاعة والإقلال من الشر والمعصية تنويها بشأنها وإخلاصها[2].

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (المقسم عليه هو وقوع البعث حتما لاشك فيه قال الزجاج: اقسم الله بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث وأكد الله تعالى قسمه بأنه القادر على إن يعيد السلاميات على صغرها ويؤلف بينها حتى تستوي)[3].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: إنه لما أنكر المشركون البعث وزعموا إن الله تعالى لا يعيد العظام بعد إن تتفرق وتبلى ولما كان إنكارهم قويا شديدا اقسم الله تعالى على وقوع القيامة وما فيها من الحساب والعذاب بأمرين مؤكدين لما اقسم به تأكيداً شديدا هما: يوم القيامة ذاته حيث اقسم بالقيامة علو وقوعها فكان المقسم به نفس المقسم عليه واقسم بالنفس اللوامة على وقوع القيامة والنفس هي محل الجزاء في ذلك اليوم.

قال ابن عاشور رحمه الله: (افتتاح السورة بالقسم مؤذن بان ما سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف له نفس السامع كما تقدم في عدة مواضع من أقسام القران. وكون القسم بيوم القيامة براعة استهلال لان غرض السورة يوم القيامة وفيه أيضاً

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٣٣٨.

(٢) انظر: التفسير المنير ج١٥ص٢٧٦.

(٣) التفسير المنير ج١٥ ص٢٧٧.

كون المقسم به هو المقسم على أحواله تنبيها على زيادة مكانته عند المقسم)[1].

وقال أيضاً عند تفسيره معنى النفس اللوامة: (ومناسبة القسم بها مع يوم القيامة إنها النفوس ذات الفوز في ذلك اليوم)[2].

قال القاسمي: (﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال القاشاني[3]: جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيما لشانهما وتناسبا بينهما إذ النفس اللوامة هي المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيأة لأسبابها لأنها تلوم نفسها ابدا في التقصير والتقاعد عن الخيرات وان أحسنت لحرصها على الريادة في الخير وأعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة أو نسيان)[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (فالمقسم به في هذا الموضع هو المقسم عليه وهو البعث بعد الموت وقيام الناس من قبورهم ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة سميت لوامة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق أو غفلة فجمع بين الأقسام بالجزاء وعلى

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٣٣٧.

(٢) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٣٣٩.

(٣) عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشاني): صوفي مفسر، من العلماء. له كتب، منها : :كشف الوجوه الغر في شرح تائية ابن الفارض، و اصطلاحات الصوفية،وله شرح منازل السائرين للهروي الحنبلي، و السراج الوهاج في تفسير القرآن، و شرح فصوص الحكم لابن عربي توفي سنة ٧٣٠ هـ انظر: الأعلام للزركلي ج٣،ص ٣٥٠.

(٤) محاسن التأويل ج٩ ص٤٠٢٤.

الجزاء وبين مستحق الجزاء)[1].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه مزيد تنويه بيوم القيامة واهمية الاستعداد له بما يؤمن حال العبد فيه ولذلك اقسم به وبالنفوس الخيرة العاملة لفوزها فيه على وقوعه ففي هذا تنبيه على مكانته عند الله عز وجل

(1) التفسير الثمين ج١٠ ص٣٩٣.

المبحث الثامن: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة المرسلات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ [المرسلات:١-٧].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾: وهي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشؤونه القدرية وتدبير العالم وبشؤونه الشرعية ووحيه إلى رسله وهو قول مقاتل ورواية مسروق[١] عن ابن مسعود وقيل الرياح وهو قول مجاهد وقتادة[٢]

﴿عُرْفًا﴾: **أي**: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة لا بالنكر والعبث[٣] وقيل: الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل: عرفا أي كثيرا تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا[٤].

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: وهي أيضاً الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمر هو سرعة تنفيذ أوامره كالريح العاصف ا وان العاصفات هي الرياح الشديدة التي يسرع هبوبها[٥].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: يحتمل إنها الملائكة تنشر ما دبرت على نشره أو تنشر صحف

---

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله الهمدانى الوادعى ، أبو عائشة الكوفى من كبار التابعين روى عنه البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي و ابن ماجه وهو أحد الأعلام توفي سنة : ٦٢ ، و يقال : ٦٣ هـ انظر: سيرأعلام النبلاء ج٥ ص٢٣

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥، التفسير الثمين ج١٠ص٤٠٠، معالم التنزيل ج٤ ص٥٣١.

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥، التفسير الثمين ج١٠ص٤٠٠.

(٤) معالم التنزيل ج٤ ص٥٣١.

(٥) التفسير الثمين ج١٠ص٤٠٠

العباد أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض فيحييها بعد موتها أو الرياح رحمة الله ومطره[١].

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: **قال** ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل وقال قتادة والحسن هي: أي القران تفرق بين الحلال والحرام وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده[٢].

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: هي الملائكة تلقي اشرف الأوامر وهو الذكر الذي يرحم الله به عباده ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم تلقيه إلى الرسل[٣].

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: **أي**: أعذارا وإنذارا للناس تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف وتقطع معذرتهم فلا يكون لهم حجة على الله أو عذرا للمحققين ونذرا للمبطلين[٤].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من البعث والجزاء على الأعمال يوما موصولة وهذه الجملة هي المقسم عليها[٥].

﴿لَوَٰقِعٌ﴾: متحتم وقوعه من غير شك ولا ارتياب[٦].قال أبو السعود: (﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ جواب القسم أي إن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة)[٧].

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٠٠.

(٢) معالم التنزيل ج٤ ص٥٣١، البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥.

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٠٠.

(٤) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٠٠.

(٥) التفسير الثمين ج١٠ ص٤٠٠.

(٦) التفسير الثمين ج١٠ ص.٤٠٠.

(٧) إرشاد القل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٣٤٨.

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو الملائكة والرياح وكل منهما تتصف بما لها من صفات في الرايات الكريمة والله أعلم.

قال أبو حيان رحمه الله: (ولما كان المقسم به موصوفات حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات....)[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (لكن هنا أمر ينبغي التفطن له وهو انه سبحانه جعل الأقسام في هذه السورة نوعين وفصل احدهما من الأخر وجعل الغاصفات معطوفاً على المرسلات بفاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء فأوهم هذا إن الفارقات والملقيات مرتبط بالناشرات وان العاصفات مرتبط بالمرسلات وقد اختلف في الفارقات والأكثرون على إنها الملائكة ويدل عليه عطف الملقيات ذكرا عليها بالفاء وهي الملائكة بالاتفاق وعلى هذا فيكون القسم بالملائكة التي تنشر أجنحتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل فألقت الذكر على الرسل أعذاراً وإنذاراً.....

ويظهر- والله اعلم بما أراد بكلامه- إن القسم في هذه الآية وقع على النوعين الرياح والملائكة. ووجه المناسبة إن حياة الأرض والنبات وابدان الحيوان بالرياح فإنها من روح الله وقد جعلها الله نشورا وحياة القلوب والأرواح بالملائكة فبهذين النوعين يحصل نوعا الحياة ولهذا-والله اعلم- فصل احد النوعين من الأخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء)[2]

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥.

(٢) التبيان في أقسام القران ص١٤٧.

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (ويتحصل من هذا ا ناهله اقسم بجنسين من مخلوقاته العظيمة مثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج:١-٢] ومثله تكرر في القران، ويتجه في توزيعها إن الصفات التي عطفت بالفاء تابعة لجنس ما عطفت هي عليه والتي عطفت بالواو يترجح إنها صفات جنس أخر)[١].

قلت وأياً كان فالقسم بهذه المخلوقات العظيمة سواء الملائكة أو الرياح بما فيهما من الدلائل على قدرته تعالى يدل على شرفها ومكانتها عنده عز وجل وأهميتها للخلق كما سيأتي بيانه لاحقا إن شاء الله تعالى.

المقسم عليه: تحقق وقوع ما وعد الله به من البعث والحساب والجزاء.

قال أبو حيان رحمه الله: (ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين فهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾[٢]

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: تحقيق وقوع ما وعد الله به من البعث والجزاء والحساب والتأكيد على إن وقوعه أمر متحتم لا بد منه وقد أرسل الله تعالى رسله من الملائكة إلى رسله من الناس لإنذارهم ذلك اليوم ولقطع العذر والحجة عنهم.

قال ابن عاشور رحمه الله: (قسم بمخلوقات عظيمة دالة على عظيم علم الله تعالى وقدرته والمقصود من القسم تأكيد الخبر وفي تطويل القسم تشويق السامع

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٤٢٠.

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٣٩٥.

لتلقي المقسم عليه)[1].

وقال أيضاً: (وجملة ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ جواب القسم وزيدت تأكيداً بان لتقوية تحقيق وقوع الجواب)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: لما أنكر المشركون ما وعد الله به من البعث والحساب والجزاء اقسم الله تعالى بمخلوقاته العظيمة وآياته الباهرة في الكون الدالة عل عظمته وكمال قدرته اقسم بها على وقوع البعث والحساب والجزاء وان وقوعه أمر متحتم لابد منه فالملائكة تحمل حياة الأرواح وقد أرسلت بالنذارة وألقتها إلى الرسل والرياح بها حياة الأبدان وقد أرسلت بما يدل حساً على البعث وهو المطر الذي تحيا به الأرض بعد موتها على هيئة تشبه البعث فناسب إن يقسم بهاتين الآيتين العظيمتين على وقوع البعث وهذه هو وجه التناسب بين الأقسام بالملائكة وبين المقسم عليه وهو وقوع البعث

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وتأمل كيف وقع القسم في هذه السورة على المعاد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والأشقياء فيها وقررها بالحياة الأولى في قوله ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠] فذكر فيها المبدأ والمعاد واخلص السورة لذلك، فحسن الأقسام بما حصل به نوعا الحياة المشاهدة وهو الرياح والملائكة فكان في القسم بذلك أبين دليل واظهر أية على صحة المقسم عليه وتضمنته السورة ولذا كان المكذب بعد ذلك في غاية الجحود والعناد والكفر فاستحق الويل بعد الويل فتضاعف عليه الويل كما تضاعف منه الكفر والتكذيب)[3].

---

(١) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٤١٩.

(٢) التحرير والتنوير ج٢٩ ص٤٢٣.

(٣) التبيان في أقسام القران ص١٤٨.

وقال الشنقيطي رحمه الله: (المقسم عليه هو يوم القيامة وهم مكذبون به فاقسم لهم بما فيه إثبات القدرة عليه فالرياح عرفا تأتي بالسحاب تنشره ثم يأتي المطر ويحيي الله الأرض بعد موتها وهذا من أدلة القدرة على البعث والعصفات منها بشدة وقد تقتلع الأشجار وتهدم البيوت مما لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم عليها وما فيها من الدلالة على الإهلاك والتدمير وكلاهما دال على القدرة على البعث).

ثم تأتي الملائكة بالتوجيه والأعذار والإنذار ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ والله تعالى أعلم).[1].

وجاء في التفسير الموضوعي لسور القران الكريم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ هذا جواب القسم والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: اقسم تعالى بالملائكة أو بالرياح وكلاهما من دلائل قدرته واثأر رحمته وشواهد عظمته فالملائكة خاضعون منقادون لحكمه وكذلك الرياح مأمورة ومسيرة بتقديره وحكمته وفي هذا دليل على إمكانية البعث والنشور للفصل بين الخلائق)[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان الله تعالى قد هيأ للناس ما فيه صلاح دنياهم بارسال الرياح بما يصلح امرهم فيها وكذلك هيأ لهم ما فيه صلاح اخرتهم حيث ارسل الملائكة بما فيه صلاح حياتهم فيها وهو الوحي

---

(١) أضواء البيان ج٨ ص٦٨٧.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٨ ص٥١٤.

المبحث التاسع: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة النازعات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا﴾ [النازعات:١-٥].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها[١].

﴿غَرۡقٗا﴾: أي: نزعا بشدة[٢].

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾: قيل أصل الكلمة: النشاط والخفة والأنشوطة: العقدة سهلة الحل ونشطه بمعنى ربطه وأنشطه حله بسرعة وخفة[٣].

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: هي الملائكة تسبح بأمر الله أي: تسرع فيه كما يسرع السابح في الماء، هي الملائكة ينزلون من السماء مسرغين لأمر الله تعالى، كما يقال للفرس الجواد: سابح إذا أسرع في جريه[٤].

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾: أيضاً هي الملائكة تسبق إلى أمر الله - عز وجل- ولهذا كانت اسبق إلى أمر الله من بني ادم[٥].

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا﴾: وصف للملائكة تدبر الأمر وهو واحد الأمور يعني أمور الله -عز وجل- لها ملائكة تدبرها.

---

(١) التفسير الثمين ج١٠ ص٤١٧.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٤١٧.

(٣) أضواء البيان ج٨ ص٤١٥.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص١٢١.

(٥) التفسير الثمين ج١٠ ص٤١٨.

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: الملائكة المتصفة بهذا الصفات الخمس.

قال ابن القيم: (فاقسم الله بالملائكة الفاعلة لهذه الأفعال إذ ذلك من أعظم آياته)[1].

وقال أيضاً: (فاقسم بطوائف الملائكة وأصنافهم: فهم النازعات التي تنزع الأرواح من الأجساد والنشطات التي تنشطها أي: تخرجها بسرعة وخفة من قولهم: نشط الدلو من البئر إذا أخرجها، وأنا أنشط بكذا أي: اخف له وأسرع ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾ التي تسبح في الهواء في طريق ممرها إلى ما أمرت به لا تبطئ عنه ولا تتأخر ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾ أمور العباد التي أمرها ربها بتدبيرها. وهذا أولى الأقوال)[2].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فهذه الأوصاف كلها أوصاف للملائكة على حسب أعمالهم واقسم الله بالملائكة لأنهم من خير المخلوقات ولا يقسم- سبحانه وتعالى- بشيء إلا وله شان عظيم

أما في ذاته وأما لكونه من آيات الله عز وجل.)[3].

المقسم عليه: محذوف وتقديره لتبعثن دل عليه ما قبله من أفعال الملائكة بالموتى وتنفيذ أوامر الباري جل وعلا ودل عليه ما بعده من الآيات التي تصف بعض أمور القيامة.

قال أبو السعود رحمه الله: (والمقسم عليه محذوف تعويلا على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الأقسام بمن

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٣٥.

(٢) التبيان في أقسام القران ص١٣٧-١٣٨.

(٣) التفسير الثمين ج١٠ ص٤١٩.

تولى نزع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى)[1]

وفي اللباب:(أقسم الله تعالى بهذه الأسماء الخمسة على أن القيامة حق)[2].

وقال أبو حيان رحمه الله: (والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفراء)[3].

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة هو: تحقيق حصول البعث الذي دل عليه المقسم به وسياق الآيات التي بعده عن أحوال يوم القيامة دلالة واضحة قاطعة.

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (ابتدأت بالقسم بمخلوقات ذات صفات عظيمة قسما مراد منه تحقيق ما بعده من الخبر وفي هذا القسم تهويل للمقسم به)[4].

وقال أيضاً: (والقسم على هذا الوجه مناسب للغرض الأهم من السورة وهو إثبات البعث لان الموت أول منازل الآخرة فهذا من براعة الاستهلال)[5].

وقال أيضاً: وجملة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦] إلى قوله ﴿خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات:٩] جواب القسم وصريح الكلام موعظة. والمقصود منه لازمه وهو وقوع البعث لان القلوب لا تكون إلا في الأجسام.وقد علم إن المراد بـ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ هو يوم القيامة لأنه قد عرف بمثل هذه الأحوال في آيات كثيرة مما سبق نزوله مثل

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ح٦ ص٣٦٥.

(٢) **اللباب في علوم الكتاب ج٢٠ ص١٢١**

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٤١٢، .

(٤) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٦٠

(٥) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٦٢.

قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة:٤] فكان في هذا الجواب تهويل ليوم البعث وفي طيه تحقيق وقوعه فحصل إيجاز في الكلام جامع بين الإنذار بوقوعه والتحذير مما يجري فيه.

و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ ظرف متعلق بـ﴿وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات:٨] فآل إلى إن المقسم عليه المراد تحقيقه هو وقوع البعث بأسلوب أوقع في نفوس السامعين المنكرين من أسلوب التصريح بجواب القسم إذ دل على المقسم عليه بعض أحواله التي هي من أهواله فكان في جواب القسم إنذار)[1].

والظاهر أن مقصود ابن عاشور رحمه الله من كلامه هذا إن المذكور من أمور القيامة هو المقسم عليه وقد دل على المحذوف وهو إثبات البعث.

وقال في موضع آخر: (وجعل صاحب الكشاف تبعا للفراء، وغيره جواب القسم محذوفا تقديره: لتبعثن.

وقدم الظرف على متعلقة لان ذلك الظرف هو الأهم في جواب القسم لان المقصود إثبات وقوعه فتقديم الظرف للاهتمام به والعناية به فانه لما أكد بالقسم شمل التأكيد متعلقات الخبر التي منها ذلك الظرف والتأكيد اهتمام ثم أكد ذلك الظرف في الأثناء بقوله﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [النازعات:٨] الذي هو يوم ترجف الراجفة فحصلت عناية عظيمة بهذا الخبر)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: لما أنكر المشركون البعث ونفوه نفيا قاطعا اقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع الأرواح من أجساد الكافرين وتنشط الأرواح من أجساد المؤمنين وتقبضها على وقوع البعث

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٦٦.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٦٦.

وإثباته ثم ثنى بعده بذكر بعض أهوال يوم القيامة التي تدل عليه إضافة إلى دلالة المقسم به عليه ولذلك استغنى عن ذكره في السياق تشويقا للسامع إليه وليكون تقديره من قبل السامع المنكر الذي لن يجد ما يناسب الموقف إلا

إثبات البعث فيكون قد اقر على نفسه بما أنكره

فالمقسم به دال على المقسم عليه مقرر له مؤكد لوقوعه.

قال ابن القيم رحمه الله: (وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق- وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القران أو إنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون إن يراد به مقسما عليه بعينه وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه وان لم يذكر لفظا ولعل هذا مراد من قال انه محذوف للعلم به لكن هذا الوجه الطف مسلكا فان المقسم به إذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما له استغنى عن ذكره بذكره وهذا غير كونه محذوفا لدلالة من بعده عليه فتأمله ولعل هذا قول من قال انه اقسم برب هذه الأشياء وحذف المضاف فان معناه صحيح على الوجه الذي قدروه فان أقسامه سبحانه بهذه الأشياء لظهور دلالتها على ربوبيته ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته فالأقسام بها في الحقيقة أقسام بربوبيته وصفات كماله فتأمله)[1].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على اثبات البعث وتحقق وقوعه وذلك من خلال اسلوب بديع وهو ان المنكر للبعث هو الذي يثبته من خلال المقسم عليه المحذوف الذي لن يجد المنكر بدا من تقديره بما يثبت البعث فيرد على نفسه بنفسه وفي هذا أيضا شيء من إعجاز القرآن البلاغي العجيب

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١٣٥.

المبحث العاشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة التكوير

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير:١٥-١٩].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: أي: اقسم ولا لتأكيد الخبر[١] و(الفاء قبلها لتفريع القسم وجوابه على الكلام السابق للإشارة إلى ما تقدر من الكلام هو بمنزلة التمهيد لما بعد الفاء فان الكلام السابق أفاد تحقيق وقوع البعث وقد أنكروه وكذبوا القران الذي انذرهم فلما قضى حق الإنذار وذكر به وذكر اشر اطه فرع عنه تصديق القران الذي انذرهم به وانه موحى به من عند الله)[٢].

﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾: جمع خانسة وهي التي تخنس أي تختفي قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتخفى فلا ترى وعن علي أيضاً: إنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى والأرجح أنها جميع الكواكب كما جاء في الصحاح لأنها تخنس [تختفي] نهاراً وتختفي عن البصر في المغيب وتظهر ليلا[٣].

﴿ٱلۡجَوَارِ﴾: جمع جارية وهي التي تجري أي تسير سيرا حثيثا والمقصود السيارة التي تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي مع ضوء الشمس[٤]

﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾: جمع كانسة وهي التي تكنس في أبراجها أي تستتر فيها فهي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الظبي أو الوحش: إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من

---

(١) التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٦.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢.

(٣) معالم التنزيل ج٤ ص٥٦٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧، التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢.

(٤) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧.

أغصان الشجر والأصح إن معناها النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا[1].

وقيل إن المراد ﴿بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾: بقر الوحش أو الظباء وعلى هذا (الخنس) من الخنس في الأنف وهو تقعير في الأنف فإن البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة والمراد بـ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: جمع كانس وهي التي تدخل الكناس

قال الرازي: (والقول هو الأول)[2] وهذا ما رجحه ابن القيم أيضا كما بينا في (فوائد معرفة أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه)

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: اقبل بظلامه أو أدبر فهو من ألفاظ الأضداد[3] (قال المبرد[4]: اقسم الله بإقبال الليل وإدباره)[5].

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أضاء وظهر نوره والتنفس حقيقته: خروج النفس من الحيوان استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس[6]

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: الضمير عائد إلى القران والمعنى: أي إن هذا المقسم عليه وهو القران لقول حق جاء به رسول كريم عزيز على الله تعالى وهو جبريل عليه

---

(1) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧.

(2) مفاتيح الغيب ج١١ ص٦٨

(3) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧.

(4) **محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى الازدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والاخبار. مولده بالبصرة ٢١٠هـ سنة ووفاته ببغداد. سنة ٢٨٦ هـ انظر: الأعلام ج٧ص١٤٤**

(5) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٤.

(6) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧.

السلام ليبلغه إلى محمد ﷺ، وأضيف القول إليه لنزوله به[1].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هي الكواكب الخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس.

قال ابن القيم رحمه الله: (أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها هذا قول علي وابن عباس وعامة المفسرين وهو الصواب....قالوا والأحسن إن يكون القسم بانصرام الليل وإقبال النهار فهذا أعظم في الدلالة والعبرة بخلاف إقبال الليل وإقبال النهار فانه لم يعرف القسم في القران بهما ولان بينهما زمنا طويلا فالآية في انصرام هذا ومجيء الأخر عقيبه بغير فصل ابلغ فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وأدباره وحالة قوة هذا وتنفسه وإقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه وهذا هو القول والله اعلم)[2].

المقسم عليه: إن القران الكريم قول رسول كريم أتي به ناقلا له من الله عز وجل إلى محمد ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله: (ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القران واخبر انه قول رسول كريم وهو هنا جبريل قطعا لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يعينه به)[3].

أداة القسم: هي الباء.

---

(١) لتحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٢، التفسير المنير ج١٥ ص٤٥٧.

(٢) التبيان في أقسام القران ص١١٩-١٢٣.

(٣) التبيان في أقسام القران ص١٢٣-١٢٤.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على إن القران الكريم قول رسول كريم مبلغ له عن مرسله عز وجل إلى نبيه محمد ﷺ ومما يزيد في التأكيد على ذلك وصف هذا الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه كريم بمعنى انه عزيز على الله تعالى وانه صاحب قوة وحفظ لما ارس لبه وذو جاه عند ربه وعند الملائكة مطاع بينهم أمين على وحي الله تعالى ويتضمن هذا القسم أيضاً الدلالة على صدق الرسالة وصدق محمد ﷺ دل على ذلك قوله تعالى بعد صفات جبريل عليه السلام: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢].

قال ابن عاشور رحمه الله: (والقسم مراد به تأكيد الخبر وتحقيقه وادمج فيه أوصاف الأشياء المقسم بها للدلالة على تمام قدرة الله تعالى)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: لما أنكر المشركون البعث وردود القران وجاء فيه من أخبار به بل واتهموا محمد عليه الصلاة والسلام بالجنون وانه افترى هذا القران من عند نفسه ولما كان ذلك يحتاج إلى رد رادع لهم عما هم فيه من الغي والضلال اقسم الله تعالى بآياته في الكون الدالة على قدرته وتمام علمه وحكمته على انه هذا القران الكريم قول رسول مبلغ للرسالة عن الله تعالى ذوجاه ومكانة عظيمة عند الله وذوقوة وقدرة على ضبط ما أرسل به وإيصاله كما هو مطلوب منه إلى محمد ﷺ.

فكما أن له قدرة تامة في تصريف أمور النجوم وتغيير أحوالها من غروب وطلوع ومن جريان وحركة فله القدرة على إرسال هذا الرسول إليكم لتغيير ما انتم عليه من الخطأ إلى الصواب وكما إن الكفر ظلمة تشبه ظلمة الليل والهدى نورشبه

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص١٥٤.

انبلاج الفجر فان الله أرسل جبريل بالقران إلى محمد ﷺ ليكون نورا يهدي به الله من يشاء ويخرجه من ظلمة الضلال الو نور الحق والإيمان والله تعالى أعلم.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (أقسم الله تعالى بجميع الكواكب التي تخنس (تختفي) بالنهار وعند غروبها...وكنوسها ظهورها للبصر في الليل كما يظهر الظبي أو الوحش من كناسه ثم تغيب وتستتر في مغيبها تحت الأفق لما في تحركها وظهورها مرة واختفائها مرة أخرى من الدليل على قدرة خالقها ومصرفها واقسم الله أيضاً بالليل إذا اقبل ظلامه لما فيه من السكون والرهبة وبالصبح إذا أضاء وامتد حتى يصير نهارا واضحا لما فيه من التفتح والبهجة. والمقسم المحلوف عليه هو إن القران الكريم نزل به جبريل عليه السلام باعتبار إنه الواسطة بين الله وبين انبيائه ورسله)[1].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ترجيح قول من ذكر ان الخنس الجوار الكنس المراد بها النجوم على قول القائلين با المراد بها الظباء وبقر الوحش لان الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين والقران الذي هو هداية للعالمين اقوى واعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء وبين القران فترجح بهذا ارادة النجوم بالقسم

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:(ولما كان للنجوم حال ظهور وحال اختفاء وحال جريان وحال غروب أقسم سبحانه بها في أحوالها كلها ونبه بخنوسها على حال ظهورها لأن الخنوس هو الاختفاء بعد الظهور ولا يقال لما لا يزال مختفيا : أنه قد

---

(١) التفسير المنير ج١٥ ص٤٦٢.

خنس فذكر سبحانه جريانها وغروبها صريحا وخنوسها وظهورها واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذي مبدؤه الطلوع فالطلوع أول جريانها

فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته وليس قول من فسرها بالظباء وبقر الوحش بالظاهر لوجوه:

(أحدها) أن هذه الأحوال في الكواكب السيارة أعظم آية وعبرة

(الثاني) اشتراك أهل الأرض في معرفته بالمشاهدة والعيان

(الثالث) أن البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مطلقا بل لا تزال ظاهرة في الفلوات

(الرابع) إن الذين فسروا الآية بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفاء قال الواحدي هو من الخنس في الأنف وهو تأخر الأرنبة وقصر القصبة والبقر والظباء أنوفهن خنس والبقرة خنساء والظبي أخنس ومنه سميت الخنساء لخنس أنفها ومعلوم أن هذا امر خفي يحتاج إلى تامل وأكثر الناس لا يعرفونه وآيات الرب التي يقسم بها لا تكون إلا ظاهرة جلية يشترك في معرفتها الخلائق وليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر

(الخامس) أن كنوسها في أكنتها ليس بأعظم من دخول الطير وسائر الحيوانات في بيته الذي يأوى فيه ولا اظهر منه حتى يتعين للقسم

(السادس) أنه لو كان جمعا للظبي لقال الخنس - بالتسكين - لأنه جمع أخنس فهو كأحمر وحمر ولو أريد به جمع بقرة خنساء لكان على وزن فعلاء أيضا كخمراء وحمر فلما جاء جمعه على فعل - بالتشديد - استحال أن يكون جمعا لواحد من الظباء

والبقر وتعين أن يكون جمعا لخانس كشاهد وشهد وصائم وصوم وقائم وقوم ونظائرها

(السابع) أنه ليس بالبين أقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا عرف القرآن ولاعادته وإنما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم بالنفوس أقسم بأعلاها وهي النفس الإنسانية ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم بالعلويات أقسم بأشرفها وهي السماء وشمسها وقمرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفها وهو الليالي العشر وإذا أراد سبحانه أن يقسم بغير ذلك أدرجه في العموم كقوله { فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون } وقوله { الذكر والأنثى } في قراءة رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحو ذلك

(الثامن) أن اقتران القسم بالليل والصبح يدل على أنها النجوم وإلا فليس باللائق اقتران البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد ؟ وبهذا احتج أبو إسحاق على أنها النجوم فقال : هذا أليق بذكر النجوم منه بذكر الوحش

(التاسع) أنه لو أراد ذلك سبحانه لبينه وذكر ما يدل عليه كما أنه لما أراد بالجواري السفن قال { ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام } وهنا ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على أنها البقر والظباء وفيه ما يدل على أنها النجوم من الوجوه التي ذكرناها وغيرها

(العاشر) أن الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين و رجوم للشياطين وبين المقسم عليه – وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة للقلوب

وداحض لشبهات الشيطان - أعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن والله أعلم [1]

[1] انظر : التبيان في اقسام القران ص١٢٠ -١٢٢

المبحث الحادي عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الانشقاق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٦-١٩].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها[١]

﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: الحمرة بع مغيب الشمس حين تأتي صلاة العشاء الآخرة سمي الشفق لرقته مأخوذ من الشفقة[٢].

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: ضم وجمع وستر جميع ما دخل عليه من الدواب وغيرها يقال طعام موسوق أي مجموع وابل مستوسقة أي مجتمعة[٣] قال الشاعر:

إن لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لم يجدن سائقا[٤]

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: امتلأ واستوي وذلك ليالي البدر في منتصف الشهر القمري[٥]

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: لتلاقن حالا بعد حال متطابقين في الشدة والطبق:

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٤٣٩.

(٢) روح المعاني ج١٥ ص٣٦٩، التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص٨١، التفسير المنير ج١٥ ص٥٢٠.

(٣) روح المعاني ج١٥ ص٣٦٩، التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص٨٢، التفسير المنير ج١٥ ص٥٢٠.

(٤) لم أجد قائله إلا أن ابن منظور نسبه للعجاج انظر: لسان العرب؛ ج١٥ ص٢١٣ (وسق)

(٥) روح المعاني ج١٥ ص٣٦٩، التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص٨٢، التفسير المنير ج١٥ ص٥٢٠.

الحال المطابقة لغيرها والمراد مرور الكفار بأحوال هي طبقات في لشدة بعضها اشد من بعض وهي الموت وما بعد ه من الحياة من أحوال القيامة والطبق في الأصل ما طابق غيره وخص في العرف بالحال المطابقة لغيرها وعن للمجاوزة وقال غير واح هي بمعنى بعد كما في قولهم: سادوا كابرا عن كابر[1]

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو الشفق وهو الحمرة التي تظهر في الأفق الغربي بعج غروب الشمس والليل وما جمع من العجائب والقمر إذا اكتمل نوره وصار بدرا

المقسم عليه: إن الإنسان تتغير حاله من حال إلى حال ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

أداة القسم: هما الباء في قوله تعالى: ﴿بِالشَّفَقِ﴾ والواو في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا ﴾.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على تغير حال الإنسان وتقلبها من حال إلى حال ومن أمر إلى أمر حيث يبدأ التغير مع منذ ولادته إلى أن يكبر ويموت ثم يستمر معه التغير من حال القبر إلى البرزخ ثم إلى القيامة ثم إلى مصير لا تغير بعده إما إلى جنة إن كان مؤمنا وأما إلى نار إن كان كافرا وهذا التأكيد على تغير أحواله يتضمن في طياته إثبات البعث بعد الموت والتأكيد عليه أيضاً.

فالله -عز وجل -بعد أن بين أحوال الناس وانقسامهم إلى فريقين يوم القيامة

---

(1) روح المعاني ج١٥ ص٣٦٩، التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص٨٢، التفسير المنير ج١٥ ص٥٢٠.

سعداء وأشقياء أكد الله تعالى وقوع يوم القيامة وما يتبعها من الأهوال بالقسم بآيات واضحة في الكون وهي الشفق والليل والقمر على إن البعث كائن لا محالة وان الناس يتعرضون للشدائد والأهوال وتغير الهيئات والحالات

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: إن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال الناس يوم القيامة وانقسامهم إلى فريقين فريق يؤتى كتابه بيمينه وأخر يؤتاه بشماله وبين حال كل منهما ولما كان المشركون مكذبين بحدوث هذه الأمور تبعا لتكذيبهم بالبعث اقسم الله تعالى بالشفق والليل والقمر على أن أحوالهم تتغير من حال إلى حال أخرى كتغير الشمس من حالة الضياء إلى حالة الغروب وبقاء الشفق دليلا عليها وكتغير الزمن من نهار إلى ليل وتغير القمر من حالة صغر إلى حالة اكتمال واتساق ثم عودته إلى الحالة التي كان عليها ففي هذا كله دليل على البعث وهو من الوضوح بحيث يجعل المتأمل فيه يؤمن به وبمن اخبر به ولذلك أنكر الله عليهم بعد هذا القسم عدم إيمانهم وخضوعهم للقران الكريم ولما جاء به النبي ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأنت إذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية وتغيير الله سبحانه للعالم وتصريفه له كيف أراد ونقله إياه من حال إلى حال وهذا أن يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له ومحال أن يكون فاعله غير قادر ولا حي ولا مريد ولا حكيم ولا عليم وكلاهما في الامتناع سواء.

فالمقسم به وعليه من أعظم التدله على ربوبيته وتوحيده وصفات كماله وصدقه وصدق رسله وعلى المعاد ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق:٢٠] إنكاراً على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها أتم استلزام وأنكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقران المشتمل على ذلك بأفصح

عبارة وأبينها وأجزلها وأوجزها فالمعنى اشرف معنى والعبارة اشرف عبارة: غاية الحق بغاية البيان و الفصاحة)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (ومناسبة الأمور المقسم بها هنا للمقسم عليه لان الشفق والليل والقمر تخالط أحوالاً بين الظلمة وظهور النور معها أو في خلالها وذلك مناسب لما في قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ من تفاوت الأحوال التي يتخبط فيها الناس يوم القيامة أو في حياتهم الدنيا أو من ظهور أحوال خير في خلال أحوال شر أو انتظار تغير الأحوال إلى ما يرضيهم إن كان الخطاب للمسلمين... ولعل ذكر الشفق إيماء إلى انه يشبه حالة انتهاء الدنيا لان غروب الشمس مثل حالة الموت وان ذكر الليل إيماء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين)[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على ان حال الانسان الى تغير وان كل امره الى تحول وذلك بتغير الزمن وتبدل المطالب والمكاسب وكل ذلك تنبيه الى لزوم الايمان مهما حصل من تبدل وان ذلك هو المنجي من العذاب والله اعلم

---

(١) التبيان في أقسام القران ص١١٨.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٢٦.

المبحث الثاني عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة البروج:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[البروج:١-٤].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: البروج جمع برج وهي المجموعة العظيمة من النجوم وسميت بروجا لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها والبروج عند الفلكيين اثني عشر برجا وهي المنازل التي عرفتها العرب[١].

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: هو يوم القيامة أي الموعود به[٢].

﴿وَشَاهِدٍ﴾: قيل يوم الجمعة وقيل يوم التروية وقيل يوم القيامة وقيل يوم الأضحى[٣].

﴿وَمَشْهُودٍ﴾: قيل يوم عرفة وقيل يوم الجمعة وقيل يوم النحر[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: (ثم اقسم سبحانه بالشاهد والمشهود مطلقين غير معينين واعم المعاني فيه انه المدرك والمدرك والعالم والمعلوم والرائي والمرئي وهذا اليق المعاني به وما عداه من الأقوال ذكرت على وجه التمثيل لا على وجه التخصيص)[٥].

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٤٤٣، التفسير الثمين ج٩ ص٤٧٥.

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٤٤٣، التفسير الثمين ج٩ ص٤٧٥.

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٤٤٣.

(٤) البحر المحيط ج٨ ص٤٤٣.

(٥) التبيان في أقسام القران ص٩٥.

﴿قُتِلَ﴾: بمعنى: اهلك وقيل بمعنى لعن[1].

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: هم قوم كفار احرقوا المؤمنين بالنار

ثانيا: أركان القسم في هذه الايات الكريمة:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: السماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود.

المقسم عليه: اختلف المفسرون في تعيين جواب القسم على أقوال أهمها: قال الفراء: الجواب {﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

وقال الزجاج هو: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢] أي والكلام بينهما اعتراض قصد به التوطئة للمقسم عليه وتوكيد الحقيق الذي أفاد القسم بتحقيق ذكر النظير وقيل محذوف لدلالة قوله ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ عليه والتقدير: إنهم ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود وقيل تقديره: إن الأمر لحق في الجزاء على الأعمال أو لتبعثن[2].

قال ابن القيم رحمه الله: (والأحسن إن يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب لان القصة التنبيه على المقسم به وانه من آيات الرب العظيمة ويبعد إن يكون الجواب ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ الذين فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ذات الوقود)[3].

والراجح والله اعلم ان المقسم عليه هو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وان هذا الجواب معناه الخبر عنهم والتعريض بان من كفر مثلهم سوف يعاقب بعقابهم ويلعن كما لعنوا ومن هؤلاء كفار قريش المكذبين بالبعث والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الثمين ج٩ ص٤٧٥.

(٢) الكشاف ج٤ ص، التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٢٦، التفسير المنير ج١٥ ص٥٣٤.

(٣) التبيان في أقسام القران ص٩٧

أداة القسم: الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: تحقيق وقوع يوم القيامة وتهديد من أنكر وقوعه بالعذاب كما حصل لمن كفر بالله تعالى وأذى المؤمنين من اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى والعذاب.

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: إنه لما أنكر المشركون من قريش البعث والنشور اقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج العالية العظيمة التي يعرفونها واقسم باليوم الموعود الذي هو يوم القيامة واقسم بالشهد والمشهود والذي يتضمن القسم بالملائكة والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على لعن أصحاب الأخدود وإهلاكهم وكل من كفر وأنكر البعث فانه داخل في هذا العذاب والهلاك فمراد القسم إثبات يوم القيامة وقد اقسم عليه بالسماء وما فيها من الآيات العظيمة الدالة على قدرته واقسم باليوم الموعود الذي هو يوم القيامة فكان ذلك من أحسن القسم حيث المقسم به هو نفس المقسم عليه مما يدل على ثبوته.

قال ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن معنى شاهد ومشهود والقسم بهما قال: (وأيضاً فان ذلك يتضمن القسم بملائكته ورسله فاهم شاهدون على العباد فيكون من باب اتحاد المقسم به والمقسم عليه كما اقسم باليوم الموعود وهو المقسم به والمقسم عليه وأيضاً فيوم القيامة مشهود كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣] هود يشهده الله وملائكته والإنس والجن والوحش من آياته والمشهود من آياته..... فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهود فهو داخل في هذا القسم.فلا وجه

لتخصيصه ببعض الأنواع أو الأعيان إلا على سبيل التمثيل[1].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (في افتتاح السورة بهذا القسم تشويق إلى ما يرد بعده وإشعار بأهمية المقسم عليه وهو مع ذلك يلفت الباب السامعين إلى الأمور المقسم بها لان بعضها من دلائل عظيم القدرة الإلهية المقتضية تفرد الله تعالى بالإلهية وإبطال الشريك وبعضها مذكر بيوم البعث الموعود ورمز إلى تحقيق وقوعه إذ القسم لا يكون إلا بشيء ثابت الوقوع وبعضها بما فيه الإبهام يوجه السامعين إلى تطلب بيانه.

ومناسبة القسم لما اقسم عليه إن المقسم عليه تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود ولما كانت الأخاديد خطوطا مجعولة في الأرض مستعرة بالنار اقسم على ما تضمنها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي تلوح للناظرين في نجومها ما اسماه العرب بروجا وهي تشبه دراري متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار والقسم بالسماء بوصف ذات البروج يتضمن قسما بالأمرين معا لتلتفت أفكار المتدبرين إلى ما في هذه المخلوقات وهذه الأحوال من دلالة على عظيم القدرة وسعة العلم الإلهي إذ خلقها على تلك المقادير المضبوطة لينتفع بها الناس في مواقيت الأشهر والفصل كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧].

وإما مناسبة القسم باليوم الموعود فلانه يوم القيامة باتفاق أهل التأويل لان الله وعد بوقوعه قال تعال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج:٤٤] مع ما في القسم به من إدماج الإيماء إلى وعيد أصحاب القصة المقسم على مضمونها ووعيد أمثالهم المعرض بهم ومناسبة القسم ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣] على اختلاف تأويلاته – ستذكر عند ذكر التأويلات– وهي قريبة من مناسبة القسم باليوم الموعود ويقابله في

---

(١) التبيان في أقسام القران ص٩٦.

المقسم عليه قوله: ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ [البروج:٧])[1].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به على ان من كذب بالحق وصد الناس عنه موعود بعذاب ولعن كما حصل لاصحاب الاخدود وفي هذا تثبيت للمؤمنين على ايمانهم كما فعل مؤمنو الاخدود الذين ثبتوا وصبروا على النار في سبيل العقيدة والذود عنها وعليه فاخذ العبرة من السابقين في جانبي الحق والباطل من مقاصد القسم في هذه السورة ومن اثار المناسبة بين اطرافه

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٣٩.

المبحث الثالث عشر: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في سورة الطارق

وذلك في موضعين:

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطارق:١-٤].

أولاً: تفسير مفردات الآية الكريمة:

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: قسم بالسماء وهي ما علاك فأظلك عظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فاقسم بها[١] وقيل المطر هنا وهو احد استعمالاتها[٢].

﴿وَٱلطَّارِقِ﴾: قسم أخر هو النجم أو جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها لعظم منفعتها وسمي بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للاتي ليلا: طارق ومنه قول هند بنت عتبة[٣]:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القران ج٢٢ ص٢٠١، زاد المسير ج٩ ص٨٠، مفاتيح الغيب ج٣١ ص١٢٧، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١

(٢) روح المعاني ج٣٠ ص.٩٤

(٣) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابية، قرشية، عالية الشهرة.، وأمها صفية بنت أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهتة بن سليم.، وهي أم الخليفة الاموي " معاوية " بن أبي سفيان. وشهدت اليرموك وحرضت على قتال الروم. توفيت رضي الله عنها سنة ١٤ هـ انظر : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري؛ الطبقات الكبرى لابن سعد؛ ج٨ ص٢٣٥؛ تحقيق : إحسان عباس؛ الناشر : دار صادر - بيروتا لطبعة : الأولى ١٩٦٨م، وانظر: الأعلام للزركلي - (٨ / ٩٨).

(٤) انظر: أبو الفرج الأصفهاني؛ الأغاني؛ ج١٢ ص٣٤٣؛ تحقيق : سمير جابر؛ الناشر : دار الفكر -

أو لأنه يطرق الجني أي يصكه واصل الطارق من الطرق وهو

الضرب بشدة ومنه المطرقة والطريق لان السابلة تطرقها ثم صارت في عرف اسما لسالك الطريق لتصور انه يطرقها بقدميه[١].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾: ما أعلمك؟ استفهام مستعمل في تعظيم الأمر ففيه تعظيم لشان الطارق[٢].

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: النجم: التعريف في النجم للجنس[٣].

الثاقب: الثقب: الخرق فالثاقب الخارق أي المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه وفي إبهامه ثم تفسيره تفخيم لشانه وتنبيه على الاعتبار به والاستدلال به[٤]

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾: حافظ: أي مهيمن عليها رقيب وهو الله تعالى فيحصي عليها ما تكسب من خير أو شر[٥]، وذكر ابن الجوزي قولان: [٦]

أحدهما: إنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر.

والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلمه إلى المقادير قاله الفراء[٧]

بيروت؛ الطبعة الثانية

(١) الجامع لأحكام القران ج٢٢ ص٢٠١، زاد المسير ج٩ ص٨٠، مفاتيح الغيب ج٣١ ص١٢٧، مختصر تفسير النسفي جص، روح المعاني ج٣٠ ص٩٤، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص١٠١، التفسير المنير ج١٥ ص٥٥١.

(٣) جامع البيان ج٢٤ ص٢٨٨، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١.

(٤) جامع البيان ج٢٤ ص٢٨٨، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١.

(٥) مفاتيح الغيب ج٣١ ص١٢٧، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١.

(٦) زاد المسير ج٩ ص٨٢.

(٧) معاني القران ج٣ ص٢٥٥.

والظاهر والله أعلم إنه لا منافاة بين هذه الأقوال جميعا الله تعالى يحفظ الإنسان ويحصي أعماله وقد وكل به ملك يقوم بهذه المهمة ويحفظه أيضا حتى يسلمه للمقادير قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد:١١].

وهذا جواب القسم لان لما أن كانت مشددة كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون إن نافية أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون أن مخففة من الثقيلة أي: أن كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها واجلها فإذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الأعمال فما زائدة واللام فارقة بين المخففة والثقيلة وحافظ مبتدأ وعليها خبر والجملة خبر كل وآيتها فهي مما يتلقى به القسم[1].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآية الكريمة:

أركان القسم في هذه الآية هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو السماء والطارق اقسم الله بهما معا في هذه الآية.

المقسم عليه: هو أن كل نفس عليها حافظ يحفظها ويحفظ أعمالها ويحفظ أرزاقها واجلها.

أداة القسم: هي الواو التي تسبق السماء وكذلك الواو التي تسبق الطارق كلاهما واو القسم.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة هو: إثبات البعث والمعاد وتحقيقه

---

(١) جامع البيان ج٢٤ ص٢٨٨، زاد المسير ج٩ ص٨٠، محاسن التأويل ج١٦ ص٦١٢١.

وكذلك التأكيد على الاعتناء بالنفس الإنسانية وإقامة الحفظة عليها وإنها لم تترك سدى وان أعمالها مسجلة محصية لتجازى بها يوم البعث.

قال أبو السعود رحمه الله: وقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ جواب القسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (افتتاح السورة بالقسم تحقيق لما يقسم عليه وتشويق إليه كما تقدم في سوابقها ووقع القسم بمخلوقين عظيمين فيهما دلالة على قدرة خالقهما هما: السماء والنجوم أو نجم منها عظيم معروف او ما يبدو انقضاضه من الشهب- كما سيأتي-..... وأبهم الموصوف بالطارق ابتداء ثم زيد إبهاما مشوبا بتعظيم أمره بقوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق:٢] ثم بين بأنه ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق:٣] ليحصل من ذلك مزيد تقرر للمراد بالمقسم به وهو انه من جنس النجوم شبه طلوع النجم ليلا بطروق المسافر الطارق بيتا بجامع كونه ظهورا في الليل)[2].

وقال مؤلفو التفسير الموضوعي: (ثم بين الله سبحانه وتعالى جواب القسم قائلا: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ والمعنى: ما كل نفس من الأنفس إلا وعليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها ويسجله سواء أكان هذا العمل خيراً أم شراً. والمقصود من هذا بيان تحقيق تسجيل أعمال الإنسان عليه وانه سيحاسب عليها وسيجازى بما يستحقه من ثواب وعقاب)[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١٠.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٥٨.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص١٠١.

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآية الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: لما كانت هذه النفس شريفة عند الله تعالى ولما كانت سنة الله تعالى إن يثيب المحسن ويعاقب المسيء ولما كانت سنة الله تعالى إن يجزى الإنسان بعمله وان يستلم صحيفته ويعرف ما فيها لما كان الأمر كذلك جعل الله تعالى على كل نفس حافظا يحفظ أعمالها ويحصيها عليها ولما كان ذلك دالا على البعث لان إحصاء الأعمال دليل على المحاسبة ولما أنكر المشركون البعث اقسم الله تعالى بالسماء وبالطارق الذي هو النجم الثاقب على أن كل نفس مخلوقة عليها حافظ يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ويثبتها لهم وهذا دليل على البعث والمحاسبة.

قال مؤلفو التفسير الموضوعي: (والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه بادية ظاهرة إذ أراد الله تعالى تبين هذه الحقيقة للناس وهي تلك الحقيقة المغفول عنها ذلك أن كثيرا من الناس لا يعلم أن أعماله محصاة عليه ولذلك تراه يفعل ما يشاء دون حسيب ولا رقيب فجاء القران بهذه الآيات يبين إن حقيقة تلك القضية بوضوحها ينبغي أن يكون واضحا وضوح النجم الساطع في ليلة حالكة السواد انه أوضح واظهر ما يكون.

فإذا سطعت هذه الحقيقة في نفس الإنسان أحسن عمله وأحسن خلقه وقبل الأوامر إلهية بكل يسر و سهولة)[1].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اثبات للبعث والجزاء والحساب وذلك لان احصاء الاعمال دليل المحاسبة عليها وتوكيل الحفظة دليل على اثباتها وكونهم حفظة

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج9 ص102.

دليل على دقة الكتابة والاحصاء وكل ذلك حث للمسلم على احسن الاعمال وتحذير له من سيئها

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق:١١-١٤]

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: الرجع هو المطر سمي رجعا لان العرب كانوا يزعمون إن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك أسموه اوبا أو لان الله يرجعه ألينا حينا فحينا[١].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: الصدع هو الانشقاق والمقصود ما تتصدع عنه الأرض من النبات[٢].

﴿إِنَّهُۥ﴾: أي القران الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ الإنسان ومعاده[٣].

﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: أي فاصل بين الحق والباطل وبين المتقين والظالمين بل انه فاصل لكل من ناوأه وعاداه مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل[٤].

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾: أي ليس في شيء منه شائبة هزل ولا لعب ولا لهو ولا لغو بل هو جد محض لا هوادة فيه[٥].

---

(١) إرشاد الغقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١١، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٩٢

(٢) البحر المحيط ج١٥ ص٣٩٤، إرشاد الغقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١١، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٩٢

(٣) البحر المحيط ج١٥ ص٣٩٤، إرشاد الغقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١١، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٩٢

(٤) البحر المحيط ج١٥ ص٣٩٤، إرشاد الغقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١١، التفسير الثمين ج١٠ ص٤٩٢

(٥) البحر المحيط ج١٥ ص٣٩٤، إرشاد الغقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤١١، التفسير

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

المقسم عليه: إن القران الكريم قول فصل وليس فيه هزل ولا لعب.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على أن القران الكريم حق وانه قول فصل صدق كله جد كله لا هزل فيه ولا جد ولا لعب فاصل بين الحق والباطل وبين أولياء الله وأعدائه وهذا التأكيد أيضاً يتضمن إثبات رسالة محمد ﷺ الذي جاء بالقران الكريم ويدل على إن القسم لتأكيد ذلك ما جاء فيه من المؤكدات حيث جيء بان وجيء باللام وكذلك اسمية الجملة كلها مؤكدات على إن القران الكريم قول فصل، فبعد إثبات توحيد الله -تعالى- وقدرته على خلق الإنسان أولاً وإعادته بالبعث في الآخرة، اقسم الله قسما أخر على صحة نزول القرآن من عند الله مشتملا على القول الفصل الجاد، مثبتا بذلك صحة رسالة النبي الكريم الذي نزل عليه الوحي القرآني،ثم أردفه بوعيد شديد للمفترين على القرآن والكائدين للرسول ﷺ ووعد هذا النبي الكريم وكل داع إلى الحق بالفوز والغلبة على الأعداء في كل زمان ومكان

قال ابن عاشور رحمه الله: (بعد إن تبين الدليل على إمكان البعث أعقب بتحقيق إن القران حق وان ما فيه قول فصل إبطالا لما موه عليهم من إن إخباره غير صادقة إذ قد اخبرهم بإحياء الرمم البالية فالجملة استئناف ابتدائي لغرض من

الثمين ج١٠ ص٤٩٢

أغراض السورة)[1] والغرض الذي يشير إليه هو ما ذكره في أغراض السورة وان من هذه الأغراض: [التنويه بشأن القران][2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: إن الله سبحانه وتعالى لما ذكر مبدأ الإنسان وخلقه الأولى وذكر بعده قدرة الله تعالى على البعث والتي أثبتها القران الكريم وأنكرها المشركون وكذبوا القران في ذلك ولما كانت افتراءاتهم تتوالي على القران من قولهم انه شعر أو انه سحر أو كهانة اقسم الله تعالى بالسماء ذات المطر وبالأرض التي تتشقق بالنبات إن القران الكريم حق لا شك فيه ولا ريب وان جد لا هزل فيه ولا لعب فكما أن المطر هو سبب أحياء الأرض وتشققها بالنبات فان القران الكريم سبب لإحياء الناس وكما إن الأرض تكون ميتة ثم يحييها الله تعالى بالمطر فان ذلك مثال حي على قدرته على إحياء الموتى وبعثهم كما اخبر القران الكريم وهذا رد على أعداء الله الذين طعنوا في القران الكريم وفي محمد عليه الصلاة والسلام قال ابن القيم رحمه الله: فاقسم سبحانه بالسماء ذات المطر والأرض ذات النبات وكل من ذلك أية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته واقسم على كون القران حقا وصدقا[3].

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (وافتتح الكلام بالقسم تحقيقا لصدق القران في الأخبار بالبعث في أثر ذلك مما اشتمل عليه من الهدى وذلك أعيد القسم ب﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ كما اقسم بها في أول السورة وذكر من أحوال السماء ما له مناسبة بالمقسم عليه وهو الغيث الذي به صلاح الناس فان إصلاح القران للناس كإصلاح

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٦٦

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٥٨.

(٣) انظر التبيان في أقسام القران ص١١١-١١٢.

المطر وفي الحديث: [مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً][1] الحديث وفي اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر أخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فان البعث حياة معاقبة بحياة سابقة وعطف ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في القسم لان بذكر الأرض إتمام المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه كما علمت من المثل الذي في الحديث)[2].

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الايات الكريمة على التنويه بشأن القران وأنه جد لا هزل فيه وقوة لاضعف فيها وحق لا باطل فيه

---

(١) أخرجه البخارى. انظر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه؛ (ج١ص٤٢، رقم ٧٩)؛ تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر؛ الناشر : دار طوق النجاة؛ الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ، وأخرجه مسلم انظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري؛ صحيح مسلم؛ (ج٤ص١٧٨٨ رقم ٢٢٨٣) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي؛ الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، وأخرجه أيضًا : ابن حبان تحقيق : شعيب الأرنؤوط؛ انظر: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي؛ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ (ج١ص١٧٦ رقم ٣)؛ الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٦٦.

المبحث الرابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الفجر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:١-٥].

أولاً: تفسيرمفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾: هو انفجار الصبح كل يوم وقيل صلاة الفجر وقيل فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقيل فجر ذي الحجة لأنه قرنت به الليالي العشر. وقيل: فجر ليلة جمع[١].

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: قيل هي العشر الأول من ذي الحجة وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول من رمضان وقيل هي العشر الأول من المحرم عاشرها يوم عاشوراء[٢].

﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾: قيل الشفع الخلق والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر وقيل العدد من شفع ومنه وتر وقيل الصلوات منها شفع ومنها وتروقيل الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليل بعده وقيل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان فهي شفع والوتر دركات النار لأنها سبع فهي وتر[٣].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: أي سار وذهب وقيل إذا جاء واقبل كل ليلة[٤].

---

(١) روح المعاني ج١٥ ص٤٢٤، معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٧

(٢) روح المعاني ج١٥ ص٤٢٤، معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٧

(٣) روح المعاني ج١٥ ص٤٢٤، معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٧.

(٤) معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٨.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾: أي ما ذكرت من الأمور المقسم عليها[1].

﴿قَسَمٞ﴾: أي مقنع ومكفى في القسم[2].

﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾: لصاحب عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا ينبغي واصل الحجر: المنع[3].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو الفجر والليالي العشر والشفع والوتر.

المقسم عليه: محذوف وتقديره ليعذبن أو ليبعثن ويحشرن[4].

قال البقاعي رحمه الله: (ولما كان التقدير كما هدى إليه السياق: لبعثن كلهم صاغرين ثم ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل احد بما عمل..... حذفت زيادة في تعظيمه واعتمادا على معرفته بما هدى إليه من السياق في جميع السورة وما قبلها.ولما طوى جواب القسم لإرشاد السياق إليه وتعويل المعنى عليه وتهويلا مع العلم بأنه لا يكون قسم بغير مقسم عليه وكان قد علمت بالقدرة عليه مما أشير إليه بالمقسم به....)[5].

قال الالوسي رحمه الله: (والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله:

---

(1) معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٩.

(2) نظم الدرر ج٨ ص٤١٥، معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٩.

(3) نظم الدرر ج٨ ص٤١٥، روح المعاني ج١٥ ص٤٢٤، معالم التنزيل ج٤ ص٦٠٩.

(4) نظم الدرر ج٨ ص٤١٥، البحر المحيط ج٨ ص٤٦٤، الكشاف ج٤ ص، التفسير المنير ج١٥ ص٦٠٣.

(5) نظم الدرر ج٨ ص٤١٦.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر:٦][1].

وقال ابن عاشور بعد إن ساق الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]، قال **بعدها**: (ولا يصلح هذا إن يكون جوابا للقسم ولكنه: إما دليل الجواب إذ يدل على إن المقسم عليه من جنس ما فعل بهذه الأمم الثلاث وهو الاستئصال الدال عليه قول ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:١٣]، فتقدير الجواب ليصبن ربك على مكذبيك سوط عذاب كما صب على عاد وثمود وفرعون.

وإما تمهيد للجواب ومقدمة له إن جعلت الجواب قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ وما بينه وبين الآيات السابقة اعتراض جعل كمقدمة لجواب القسم..... فهذه العبر جزئيات من مضمون جواب القسم فان كان محذوفا فذكرها دليله وان كان الجواب قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ كان تقديمها على الجواب زيادة في التشويق إلى تلقيه وإيذانا بجنس الجواب من قبل ذكره ليحصل بعد ذكره مزيد تقرره في الأذهان)[2].

أداة القسم: هي الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو تحقيق المقسم عليه وتقريره وهو البعث والعذاب لهؤلاء المكذبين كما إن عذاب قوم عاد وثمود وفرعون قد اشتهر وعلم وتحقق فان عذاب المكذبين من هؤلاء مثله متحقق وواقع، فأكد الله تعالى المقسم به والمقسم عليه بقوله: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي بل في ذلك مقنع لذي لب وعقل، فالمراد بالاستفهام تقرير إن هذه المذكورات لشرفها وعظم شانها

---

(١) روح المعاني ج١٥ ص٤٢٨.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣١٧-٣١٨.

يحق إن يؤكد بمثلها المقسم عليه وهو تعذيب الكفار كمن ذكر حجة باهرة ثم قال: هل فيما ذكرته حجة؟ يريد انه لا حجة فوق هذا ولا برهان يضاهيه وإذا لم يقنعهم هذا القسم فلا شيء بعده والله المستعان.

قال الالوسي رحمه الله: (وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ الخ تحقيق وتقرير لفخامة الأشياء المذكورة المقسم بها وكونها مستحقة لان تعظم بالأقسام بها فيدل على تعظيم المقسم عليه وتأكيده من طريق الكناية فذلك إشارة إلى المقسم به وما فيه من معنى البعد لزيادة تعظيمه أي هل فيما ذكر من الأشياء ﴿قَسَمٌ﴾ أي مقسم به ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ أي هل يحق عنده إن يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد تحقيق الكل كذلك ولنما أوثرت هذه الطريقة هضما للحق وإيذانا بظهور الأمر وهذا كما يقول المتكلم بعد ذكر دليل واضح الدلالة على مدعاة هل دل هذا على ما قلناه.

وجوز إن يكون التحقيق إن ذوي الحجر يؤكدون بمثل ذلك المقسم عليه فيدل أيضا على تعظيمه وتأكيده فذلك إشارة إلى المصدر اعني الأقسام هل في أقسامي بتلك الأشياء تقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وحاصل الوجهين فيما يرجع إلى تأكيد المقسم عليه واحد إلا أن الوجه مختلف كما لا يخفى ولعل الأول اظهر)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: (والمقصود من هذا القسم تحقيق المقسم عليه لان القسم في الكلام من طرق تأكيد الخبر إذ القسم إشهاد المقسم ربه على ما تضمنه كلامه. وقسم الله تعالى متمحض لقصد التأكيد والكلام موجه إلى النبي ﷺ كما دل عليه **قوله** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ و**لذلك فالقسم تعريض بتحقيق حصول المقسم عليه بالنسبة** للمنكرين. والمقصد من تطويل القسم

---

(1) روح المعاني ج١٥ ص٤٢٨.

بأشياء التشويق إلى المقسم عليه)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: انه لما كذب المشركون محمدا عليه الصلاة والسلام ولما كان قد سبق إن حل العذاب بالمكذبين السابقين ومن أمثلة ذلك ما حل بعاد وثمود ولما كان القسم أقوى المؤكدات عند العرب اقسم الله تعالى بالزمن المعروف وهو زمن الفجر الذي يتضمن وقت صلاة الصبح التي هي أول الصلوات وبالليالي العشر. وبالشفع والوتر على إن هؤلاء المكذبين سيعذبون كما عذب أولئك المكذبون فوقت الفجر من اشرف الأوقات والعشر من أفضل الليالي والشفع والوتر تختم بهما صلاة الليل وكل ذلك من أعظم القربات لله هذه الطاعات العظيمة مضادة لما كان عليه أولئك المشركون من الكفر والتكبر والعتو والتجبر فناسب إن يكون المقسم عليه عذاب من اتصف بضد هذه الصفات ومحاسبتهم والله أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد إن ذكر وجه ضعف إن يكون قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ جوابا لقسم قال: (وأحسن من هذا أن يقال إن الفجر في الليالي العشر زمن يتضمن أفعالا معظمة من المناسك وأمكنة معظمة وهي محلها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه فان الحج والنسك عبودية محضة لله وذل وخضوع لعظمته وذلك ضد ما وصف به عاد وثمود وفرعون من العتو والتكبر والتجبر فان النسك يتضمن غاية الخضوع لله وهؤلاء الأمم عتوا وتكبروا عن أمر ربهم..... وعلى هذا فقد تضمن القسم بالمناسك والصلوات وهما المختصان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لعظمته ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] وقيل لخاتم

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣١٢.

الرسل ﷺ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢] بخلاف حال المشركين المتكبرين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به ويستكبرون عن عبادته كحال من ذكر في هذه السورة من قوم عاد وثمود وفرعون..... ولما تضمن هذا القسم ما جاء به إبراهيم ومحمد -صلى الله عليهما وسلم- كان في ذلك ما دل على المقسم عليه ولهذا اعتبر القسم بقوله ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ فان عظمة المقسم به يعرف بالنبوة وذلك يحتاج إلى حجر يحجر صاحبه عن الغفلة وإتباع الهوى ويحمله على إتباع الرسل لئلا يصيبه ما أصاب من كذب الرسل كعاد وفرعون وثمود)[1].

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على أن كل من كذب رسل الله والداعين اليه موعود بالعذاب من عصر عاد وثمود وفرعون مرورا بمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم وان هذه السنة ماضية على المكذبين الى يوم القيامة

(١) التبيان في أقسام القران ص٤٠-٤٤.

المبحث الخامس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة البلد

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:١-٤].

أولاً: تفسر مفردات الآيات الكريمة:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: الاشارة بهذا البلد إلى مكة اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها فهي أعظم البقاع حرمة وأحب بقاع الأرض إلى الله[١].

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: إما انه من الإحلال وهو ضد الإحرام وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة وأما انه من الحلول فهي جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به أي: وأنت مقيم به[٢].

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: قيل ادم وجميع ذريته وهو قول جمهور المفسرين[٣].

وقيل الصالحين من ذريته وقيل نوح وذريته وقيل إبراهيم وجميع ما ولد هو قيل يحتمل إن يكون النبي ﷺ وأمته فهو لهم بمنزلة الوالد وقال ابن عباس هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان[٤].

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: اسم جنس أي: جنس الإنسان[٥].

---

(١) التفسير الثمين ج١٠ ص٥٣١.

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٤٦٩، التفسير المنير ج١٥ ص٦٢٧، التفسير الثمين ج١٠ ص٥٣١، التبيان في أقسام القران ص٤٧.

(٣) التبيان في أقسام القران ص٤٧.

(٤) جامع البيان ج ص، النكت والعيون ج ص، البحر المحيط ج٨ ص٤٧٠، التفسير المنير ج١٥ ص٦٢٧.

(٥) البحر المحيط ج٨ ص٤٦٩، التفسير المنير ج١٥ ص٦٢٧.

﴿فِي كَبَدٍ﴾: يكابد مشاق الدنيا والآخرة فهو مغمور في مكابدة المشاق والشدائد وهذه الجملة هي المقسم عليها[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: البلد المقصود به مكة وكل والد وكل ولده.

المقسم عليه: هو حال الإنسان وانه خلق في كبد وتعب ومشقة في حياته الدنيا

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على إن الإنسان خلق في كبد وتعب ومشقة وان هذه الحياة مليئة بهذه الأمور ولا يمكن إن تخلو منها حياة البشر أبدا وهذا الغرض يتضمن غرضا آخر بين طياته وهو تثبيت النبي ﷺ وتسليته عما يكابده من شدائد ومشاق في دعوته.

قال الدكتور وهبة الزحيلي: (أقسم بالبلد الحرام وهو مكة تنبيها على كرامة أم القرى وشرفها عند الله تعالى.....واقسم بكل والد ومولود من الإنسان والحيوان تنبيها على عظم أية التناسل والتوالد ودلالتها على قدرة الله وحكمته وعلمه. ثم ذكر المقسم عليه فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ أي لقد خلقنا الإنسان مغمورا بالتعب والنصب وفي مكابدة المشاق والشدائد فهو لا يزال في تلك المكابدة بدءا من الولادة إلى المتاعب المعيشية والأمراض الطارئة ثم إلى الموت وما يتبعه في قبره والبرزخ وأخرته من شدائد ومتاعب وأهوال.

وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وحمله على احتمال مكائد أهل مكة وصبره عالي

---

(1) البحر المحيط ج٨ ص٤٦٩، التفسير المنير ج١٥ ص٦٢٧.

المشاق والمتاعب فذلك لا يخلو من إنسان وفيه لوم لهم على عداوته)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: انه لما كذب المشركون محمدا ﷺ وأرهقوه بعدم الاستجابة له وكابد ﷺ المصاعب والمشاق في دعوتهم ولما أراد الله تعالى تسلية النبي ﷺ عما يصيبه من التعب والنصب في سبيل الدعوة وتثبيت قلبه وزيادة تحمله اقسم الله تعالى بالبلد الأمين وبالوالد وما ولد على إن الإنسان خلق في كبد ونصب وتعب وان حياته من بدايتها إلى نهايتها تعب مستمر ومصاعب دائمة وإنها دار ابتلاء واختبار وفي هذا حث على الصبر على الابتلاء وتحمل المشاق ومن ذلك ما كلف به الإنسان من التكاليف الدينية فمكة حاضنة التكليف الأولى ومنطلق الدعوة التي عانى فيها النبي ﷺ المصاعب والمشاق والوالد وما ولد وهو ادم وذريته هم الإنسان المخلوق في كبد الذي اقسم الله عز وجل على حاله.

قال البقاعي – رحمه الله-: (ولعله خص هذه الأشياء بالأقسام تسلية للنبي ﷺ وتثبيتا له على احتمال الأذى إشارة إلى إن من قد حكم عليه بأنه لا يزال في نكد كان الذي ينبغي له إن يختار إن يكون ذلك النكد فيما يرضي الله سبحانه وتعالى وذلك لان النبي ﷺ.

كان في مكة المشرفة في أعظم شدة مما يعانيه من أذى الكفار في نفسه وأصحابه رضي الله عنهم لعلو مقامه فان شدة البلاء للأمثل فالأمثل كما مضى. من أمره ﷺ بالصبر والصفح وكل والد ومولود في شدة بالوالدية والمولودية وغير ذلك مما لا يحصى من الانكاد البشرية..... فلذلك كان المقسم عليه قوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ أي بما لنا من القدرة التامة والعظمة التيؤ لا تضاهى ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي هذا النوع ﴿فِى

---

(1) التفسير المنير ج١٥ ص٦٢٩.

كَبَدٍ﴾ أي شدة شديدة ومشقة عظيمة محيطة به إحاطة الظرف بالمظروف.....)[1]

وقال مؤلفو التفسير الموضوعي: (يقسم الحق تبارك وتعالى بمكة البلد الحرام التي يحل بها المصطفى ﷺ وقت تتنزل هذه السورة والقسم بمكة دليل على عظمتها وحلول النبي ﷺ فيها يزيدها عظمة وذكر حلوله يزيد القسم أهمية وتوكيدا كما يقسم جل في علاه بآدم وذريته وما ولد من ذكر وأنثى وعرب وعجم وبيض وسود والقسم بآدم وذريته لأنهم أعجب ما خلق الله على وجه الأرض لما فيهم من البيان والعقل والتدبير وفيهم الأنبياء والعلماء والصالحون أما المقسم عليه فان الإنسان خلق في عناء ومشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وفي هذا القسم ما يضع الإنسان-وهو ذو الكرامة عند الله تعالى - إمام قدره ليكون مستعدا للابتلاء والامتحان غير غافل عما يقتضيه امتحانه من مجاهدة ومجالدة.

وغير خاف إن القسم بمكة وهي منطلق الرسالة الخاتمة وبالإنسان المقصود بهذه الرسالة جاء متناسقا مع المقسم عليه الذي هو خلق الإنسان في ابتلاء وامتحان دائمين وهو مضمون هذه الرسالة الذي يلخصه التكليف وفي بسط هذه الحقيقة- حقيقة التكليف- تحضير للمكلف ليكون مسئولاً عن سلوكه غير متفاجئ بنتيجته لان الله تعالى قضى في حكمته: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥])[2].

خامسا: اثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على أن المكلف في دار ابتلاء واختبار وانه مسؤول عن نتيجة اعماله وفي هذا رد على اهل الجبر ومن انكر البعث والحساب

كما دلت على شيء من إعجاز هذه السورة الكريمة مثلها مثل بقية سور القرآن

---

(١) نظم الدرر ج٨ ص٤٢٧.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص١٣٥-١٣٦.

الكريم في ألفاظها ومعانيها وبلاغة أسلوبها وحسن النسق في عباراتها ومفرداتها

قال البقاعي رحمه الله تعالى –بعد أن ذكر المناسبات فيها – قال: (فعلم قطعاً إعجاز السورة لأنه لا قدرة لمخلوق على أن يأتي بجملة واحدة تجمع جميع ما وراءها من الجمل – هذا إلى ما لها من فنون الإيجاز التي وصلت غلى حد الإعجاز ، هذا إلى ما لبقية الجمل من الإعجاز في حسن الرصف وإحكام التركيب والربط والمراعاة بالألفاظ للمعاني إلى غير ذلك ما لا يبلغ كنهه إلا منزله سبحانه وعز شأنه)([1])

([1]) نظم الدرر ج٨ ص٤٢٨

المبحث السادس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الشمس

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١-١٠].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾: أي الجامعة بين النفع والضرر بالنور والحر كما إن العقول لا أنور منها إذا نارت ولا اظلم منها إذا بارت[١].

﴿وَضُحَىٰهَا﴾: هو ارتفاع الضوء وكماله والمعروف في اللغة إن الضحى هو بعيد طلوع الشمس قليلا وقيل: في ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها[٢].

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: تبعها دابا في كل وقت بان يطلع بعد غروبها لأنه يستضيء منها فهو يتلوها لذلك وقيل إذا تلاها في الاستدارة وكمال النور وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها[٣].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: التجلية الإظهار والكشف، قيل الضمير يعود على الشمس لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل: الضمير يعود على الظلمة وقيل: يعود على الأرض وقيل: على الدنيا والذي يجلي الظلمة هو الشمس او النهار فانه وان لم تطلع الشمس لا تبقى ظلمة.

---

(١) نظم الدرر ج٨ ص٤٣٧.

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٢، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٣، التفسير المنير ج١٥ ص٦٤١.

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٢، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٣، التفسير المنير ج١٥ ص٦٤١.

والفاعل في جلاها ضمير النهار وقيل عائد على الله تعالى كأنه قال: والنهار إذا جلى الله الشمس فاقسم بالنهار في أكمل حالاته[١].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: أي الشمس فيغطي ضوءها بظلمته أي: يزيله ويحجبه أو الأفاق أو الأرض[٢].

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: أي ومن بناها وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها[٣].

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أي بسطها من كل جانب[٤].

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: أي أنشاها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على إن المراد نفس ادم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب[٥].

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾: أي افهمها إياهما وعرفها حالها من الحسن

والقبح وما تؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل[٦].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام[٧]

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: أي خسر من نقصها وأخفاها بالفجور واصل دسّى

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٢، مفاتيح الغيب ج١١ ص١٧٤

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٣، التفسير المنير ج١٥ ص.٦٤١.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٣.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٤.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٤.

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٤.

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٤.

دسس كتقضَّى وتقضض[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو سبعة أشياء وهي الشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها.

المقسم عليه: هو فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها وأنقصها

قال البقاعي- رحمه الله-: (وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير:..... اقسم سبحانه وتعالى في هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده وانفق وجده ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا: ﴾ وخيبة من غاب هذه فاتبع هواه ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين)[2].

وقال الرازي: (...أن الله تعالى قد أقسم بسبعة أشياء إلى قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ وهو جواب القسم، قال الزجاج: المعنى لقد أفلح لكن اللام حذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضا منها)[3]

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على فلاح من زكي نفسه ورفع قدرها بالإيمان والتقوى وخيبة من دسى نفسه وانزل قدرها بالفجور

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٦ ص٤٣٤.

(٢) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٠.

(٣) مفاتيح الغيب ج١١ ص١٧٤.

والمعاصي وهذا الغرض يحمل في طياته تهديدا ووعيدا لمن كفر واتصف بما اتصف به أولئك المكذبون.

قال الرازي: (المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي)[1].

قال ابن عاشور رحمه الله- عند ذكر أغراض السورة: (تهديد المشركين بأنهم يوشك إن يصيبهم عذاب بإشراكهم وتكذيبهم برسالة محمد ﷺ كما أصاب ثموداً بإشراكهم وعتوهم على رسول الله إليهم الذي دعاهم إلى التوحيد وقدم لذلك تأكيد الخبر بالقسم بأشياء معظمة وذكر من أحوالها ما هو دليل على بديع صنع الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره فهو دليل على انه المنفرد بالإلهية لا يستحق غيره الإلهية وخاصة أحوال النفوس ومراتبها في مسالك الهدى والضلال والسعادة والشقاء..... القسم لتأكيد الخبر والمقصود بالتأكيد هو ما في سوق الخبر من التعريض بالتهديد والوعيد بالاستئصال.....

والمقصود: التعريض بتهديد المشركين الذين كذبوا الرسول طغيانا هم يعلمونه من أنفسهم كما كذبت ثمود رسولهم طغيانا وذلك هو المحتاج إلى التأكيد بالقسم لان المشركين لم يهتدوا إلى إن ما حل بثمود من الاستئصال كان لأجل تكذيبهم رسول الله إليهم فنبههم الله بهذا ليتدبروا أو لتنزيل علم من علم ذلك منهم منزلة الإنكار لعدم جري أمرهم على موجب العلم فكأنه قيل: اقسم ليصيبكم عذاب كما أصاب ثمود ولقد أصاب المشركين عذاب السيف بأيدي الذين عادوهم وأذوهم وأخرجوهم وذلك اقسي عليهم وانكي)[2].

---

(١) مفاتيح الغيب ج١١ ص.١٧٣

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٦٦.

رابعا: التناسب بين المقسم بع والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة هي: انه لما أبى المشركون التصديق برسول الله ﷺ وامتنعوا عن الإيمان برسالته وكان ذلك مشابها لما حصل من ثمود الذين علموا قصتهم اقسم الله تعالى في هذه الآيات الكريمة بالعالم العلوي والعالم السفلي وما هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس على فلاح من زكى نفسه بالإيمان والتقوى وخيبة من انقصها وانزل من قدرها بالمعاصي والآثام فالآيات التي اقسم الله تعالى بها كلها تدل على توحيد الله تعالى وان من وحده فقد زكى نفسه ورفعها وأعلى منزلتها ومن أشرك به فقد خاب وخسر. وهو متوعد بان يصيبه مثلما أصاب ثمود الذين عصوا رسولهم الذي أخبرهم بأمر الله وانتهكوا حرمات الله تعالى فحلت بهم عقوبته. وقد اقسم الله بهذه المخلوقات لما فيها من عجائب الصنعة الدالة عليه وأراد بهذا القسم إن ينبه عباده دائما بان يذكرهم بالقسم بأنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة لهم حتى يتأملوا فيها ويشكروا الله عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل له أثر قوي في القلب فيكون تأثيره على نفسه أعمق

قال الرازي: (واعلم أنه تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها، لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى)[1]

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: (ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها اقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي وبما هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس وكان أخر ما قبلها مختتما بشيء من أحوال الكفار في الآخرة فاختتم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا وفي ذلك تعريض بمالهم في الآخرة إلى النار وفي الدنيا إلى

---

(١) مفاتيح الغيب ج١١ ص١٧٣

الهلاك المستأصل)[1].

قال مؤلفو التفسير الموضوعي: (ومناسبة تعقيب القسم بجوابه ظاهرة فيه يتم الكلام وإما لماذا تلك الأقسام على هذا الجواب فـ[كانه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى- درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية])[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

في المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه توجيه للنفس البشرية الى التأمل في ايات الله تعالى الدالة عليه لما فيها من عجائب الصنعة وبديع النظام وما فيها من النعم التي تدعو الى تزكية النفس ورفعها وتمنع من تدسية النفس وتدنيسها واراد الله تعالى ان يذكرهم بذلك بالقسم بانواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل المكلف فيها ويشكره عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب فتكون الدواعي الى تامله اقوى

(١) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٣.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص١٥٦.

المبحث السابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الليل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل:١-٤].

أولاً: تفسير مفردات الآيات الكريمة:

﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: الذي هو أية الظلام الذي هو سبب الخبط والخلط لما يحدث عنه من الأشكال واللبس[١].

﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾: أي يغطي ما كان من الوجود مبصرا بضياء النهار على التدرج قليلا قليلاً وما يدل عليه من جليل مبدعه وعظيم ماحقه ومطلعه[٢].

﴿وَٱلنَّهَارِ﴾: أي الذي هو سبب انكشاف الأمور كالموت الذي يزيل عن الروح علائق البدن فينجلي لها ما كانت فيه من القبائح والجهر الذي يشرح النفس بإزالة اللبس[٣].

﴿إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: أي ظهر ظهورا عظيما بضياء الشمس واظهر ما كان خفيا فلم يدع لمبصر شيئا من لبس[٤].

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: أي والقادر الذي خلق ادم وحواء وكل ذكر وأنثى في الإنسان والحيوان والنبات[٥].

---

(١) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٦.

(٢) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٦.

(٣) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٦.

(٤) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٦.

(٥) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٧، التفسير المنير ج١٥ ص٦٥٤

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: عملكم ومسعاكم[1].

﴿لَشَتَّىٰ﴾: مختلف متفرق، جمع شتيت وهو المتباعد عن غيره واختلاف المنهج والمسعى إما بالعمل للجنة بالطاعة أو للنار بالمعصية[2].

ثانيا: أركان القسم في هذه الآيات الكريمة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق من ذكر وأنثى.

المقسم عليه: هو اختلاف سعي الإنسان في هذه الدنيا وتنوعه وتشتته بين طاعة ومعصية وخير وشر.

قال ابن القيم: (وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعي الإنسان في الدنيا وجزاؤه في العقبى)[3].

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة:

الغرض من القسم في هذه الآيات الكريمة هو: التأكيد على اختلاف مساعي الناس وكسبهم في هذه الدنيا وهو كذلك يتضمن التأكيد على اختلاف الجزاء في الآخرة واختلاف عاقبة كل توع عن الآخر في ثوابه وعقابه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (واقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار وبالساعي وهو الذكر والأنثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكر والأنثى وسعيه وزمانه وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه وانه

---

(١) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٧، التفسير المنير ج١٥ ص٦٥٤.

(٢) البحر المحيط ج٨ ص٤٧٧، التفسير المنير ج١٥ ص٦٥٤.

(٣) التبيان في أقسام القران ص٦٤.

سبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما لم يسو بين الليل والنهار والذكر والأنثى)[1].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه الآيات الكريمة هي: لما كذب المشركون محمدا ﷺ ظنا منهم انه لا جزاء ولا بعث وان مصير الناس بعد الموت واحداً اقسم الله تعالى بالليل في أقوى حالاته وهي حالة غشيانه ما يصل إليه من الأرض وبالنهار حالة تجليته لظلام الليل وبالذكر والأنثى وما اللذان يعيشان على الأرض في الليل والنهار ويعملان فيها اقسم عز وجل بذلك على اختلاف مساعي الناس وأعمالهم وكسبهم وهذه يدل على إن جزاءهم مختلف كسعيهم فمن كسب خيرا في الدنيا لقي خيرا في الآخرة ومن كسب شرا في الدنيا لقيه في الآخرة فالليل والنهار مختلفين هذا ظلام وهذا نور وكسب المؤمن يشبه النور وكشب الكافر يشبه الظلام والساعون من هؤلاء وهؤلاء هم الذكر والأنثى فاقسم بالليل والنهار على تنوع عمل الإنسان وجزاء كل منهما في الآخرة والله أعلم.

قال ابن كثير رحمه الله: (ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه متضادا ولهذا قال ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾[2] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أي عملكم أيها المكلفون في التوصل إلى مقصد واحد ولذلك أكده لأنه لا يكاد يصدق اختلاف وجوه السعي مع اتحاد المراد وعبر بالسعي ليبذل كل في عمله غاية جهده.....

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما بين حالهم في الافتراق اقسم سبحانه على ذلك بثلاثة أشياء في الخلائق بحسب تقديره أزلاً.....فقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ فاتصل بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠] إن قوله تعالى:

---

(١) التبيان في أقسام القران ص٦٥.

(٢) تفسير القران العظيم ج٤ ص٦٦٨.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ إلى ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠] يلائمه تفسيرا وتذكيرا بما الأمر عليه من كون الخير والشر- بإرادته والهامة وبحسب السوابق قوله﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٨] فهو سبحانه الملهم للإعطاء والاتقاء والتصدق والمقدر للبخل والاستغناء والتكذيب ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] ثم زاد ذلك إيضاحاً بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل:١٢-١٣] فتبا للقدرية والمعتزلة ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:١٠٥].

ولما طابق بين القسم والمقسم عليه ونبه بالقسم والتأكيد مع ظهور المقسم عليه على أنهم في أمنهم مع التحذير كمن يدعي انه لا فرق وان مال الكل واحد كما يقوله أصحاب الوحدة- عليهم الخزي واللعنة- شرع في بيان تشتت المساعي وبيان الجزاء لها فقال مسببا عن اختلافهم ما هو مركز في الطباع من انه لا يجوز تسوية المحسن بالمسيء ناشرا لمن زكى نفسه أو دساها نشرا مستويا إيذانا بان المطيع في هذه الأمة -ولله الحمد- كثير بشارة لنبيها ﷺ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.....)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: (ومناسبة المقسم به للمقسم عليه إن السعي منه خير ومنه شر وهما مما ثلان النور والظلمة وان سعي الناس ينبثق عن نتائج منها النافع ومنها الضار كما ينتج الذكر ذرية صالحة وغير صالحة.

وفي القسم بالليل والنهار التنبيه على الاعتبار بهما في الاستدلال على حكمة نظام الله في هذا الكون وبديع قدرته وخص بالذكر ما في الليل من حالة غشيانه الجانب الذي يغشاه من الأرض ويغشى فيه من الموجودات فتعمها ظلمته فلا تبدو للناظرين لان ذلك أقوى أحواله وخص بالذكر من أحوال النهار حالة تجليته عن الموجودات وظهوره على الأرض كذلك... واختير القسم بالليل والنهار لمناسبته للمقام لان غرض السورة بيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا

---

(١) نظم الدرر ج٨ ص٤٤٧.

والآخرة)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (فالله-عز وجل- اقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار الذكر ضد الأنثى السعي متضاد صالح وسيئ فتناسب المقسم به والمقسم عليه وهذا من بلاغة القران.

فالمعنى إن اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة منها الصالح ومنها الفاسد ومنها ما يخالط صالحاً وفاسداً كل ذلك بتقدير الله عز وجل والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[2].

وقال مؤلفو التفسير الموضوعي: (وفي هذا القسم وجوابه تنبيه لحال الناس وما هم عليه من تباين في الأقوال والأعمال والمعتقدات قد يكون يسيرا وقد يحصل حد التقابل فلا بد إذا من مصيب ومخطئ ومحق ومبطل وناج وهالك...)[3].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على تباين الجزاء الأخروي وذلك لتباين السعي الدنيوي فمن كان سعيه حسنا كان جزاؤه حسن ومن كان سعيه سيئا كان جزاؤه كذلك

---

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٧٨.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٥٤٣.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ج٩ ص١٧٤.

المبحث الثامن عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الضحى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى:١-١١].

أولاً: تفسير مفردات السورة الكريمة:

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء وارد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل[١].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: أي سكن فاظلم وادلهم[٢].

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: أي ما تركك منذ اختارك[٣].

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: وما أبغضك منذ احبك[٤].

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار[٥].

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾: أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في

---

(١) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٢) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١.

(٣) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٤) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٥) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

أمته وهي الشفاعة[1].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾: ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى[2].

﴿فَـَٔاوَىٰ﴾: فجعل لك مأوى تاوى إليه وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة[3].

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾: ضالا عما أنت عليه فهداك إلى التوحيد والنبوة وقيل إن النبي ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل انه ضل وهو مع عمه في طريق الشام[4].

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: أي كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع الله له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه[5].

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: أي كما كنت يتيما فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به[6].

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: أي وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد ولا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله وقال قتادة يعني رد المساكين برحمة ولين[7].

---

(١) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٣.

(٢) معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٣) معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٤) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧١، معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٢.

(٥) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧٢.

(٦) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧٢).

(٧) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧٢.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: قيل هي النبوة[1] وقيل المعنى أي: وكما كنت عائلا فأغناك فحدث بنعمة الله عليك[2] كما جاء في الحديث الماثور النبوي: [واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين عليك بها قابليها وأتمها علينا][3]

ثانيا: أركان القسم في هذه السورة:

المقسم: هو الله تعالى.

المقسم به: هو الضحى والليل إذا سجى.

المقسم عليه: هو إن الله تعالى ما ودع نبيه ﷺ وما قلاه وان الآخرة خير له عليه الصلاة والسلام ما الأولى وان الله عز وجل سوف يعطيه فيرضى.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة هو: التأكيد على عناية الله تعالى برسوله ﷺ وإكرامه له وحفظه إياه وكذلك بيان جزائه في الآخرة عنده فيكون القسم قد تضمن كذلك إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام وتضمن أيضاً الرد على المشركين الطاعنين في محمد ﷺ ودحر ما في نفوسهم من رغبة التشفي والشماته باحتباس الوحي عنه عليه الصلاة والسلام فترة من الزمن فرد الله تعالى عليهم بهذه

---

(١) معالم التنزيل ج٤ ص٦٣٥.

(٢) تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٧٣.

(٣) رواه أبو داود في سننه ،ج١ ص٣١٨ ، رقم (٩٦٩) باب التشهد، ورواه الحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه انظر: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين المستدرك على الصحيحين ج١ص٣٩٧ ؛تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ؛الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠

السورة الكريمةبشر الله نبيه ببشارات عظيمة:

الأولى: أنه عز وجل ما تركه ولن يتركه أبدا وفي هذا تأكيد النصرة والإعزاز للنبي عليه الصلاة والسلام من ربه جل وعلا.

الثانية: أنه تعالى ما قلاه وما كرهه وفيه تسلية له لأن محبة الله تعالى له تمو أثر كل أذى يصيبه

الثالثة: انه جعل أحواله الآتية خيرا من له من الماضية ووعده باه سيزيده كل يوم عزا إلى عز وجعل ما عنده في الآخرة حين مرجعه إليه خيرا له مما عجل له من الكرامة في الدنيا.

والرابعة: انه سيعطيه غاية ما يتمناه ويرتضيه في الدنيا بالنصر والتفوق وغلبة دينه على الأديان كلها وفي الآخرة بالثواب والحوض والشفاعة

قال الزمخشري: (فان قلت كيف اتصل قوله **تعالى**: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ بما قبله؟ قلت: لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى إن الله مواصلك بالوحي إليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره إن حاله في الآخرة أعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين إعلاء مراتبها بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية)[1].

قال ابن القيم رحمه الله: (وهذا القسم بـ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى:١-٢] على أنعامه على رسوله ﷺ وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد)[2].

وقال أيضاً: (ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه فالتوديع: الترك

---

(١) الكشاف ج٤ ص٧٥٥.

(٢) التبيان في أقسام القران ص٧٩.

والقلي: البغض فما تركه منذ اعتنى به واكرهم ولا ابغضه منذ أحبه وأطلق سبحانه إن الآخرة خير له من الأولى وهذا يعم كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه، وينشرح به صدره وهو إن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القران والهدى والنصر وكثرة الإتباع ورفع ذكره وإعلاء كلمته وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة وما يعطيه في الجنة....)[1].

وقال ابن عاشور رحمه الله: (القسم لتأكيد الخبر ردا على زعم المشركين إن الوحي انقطع عن النبي ﷺ حين رأوه لم يقم الليل بالقران بضع ليال فالتأكيد منصب على التعريض المعرض به لأبطال دعوى المشركين فالتأكيد تعريض بالمشركين. وإما رسول الله ﷺ فلا يتردد في وقوع ما يخبره الله بوقوعه)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة هي: لما كان المشركون مكذبين لمحمد ﷺ كانوا يطعنون في رسالته بشتى الطرق والوسائل وكان قد قطع عنه الوحي حينا ابتلاء لمن شاء من عباده كان به ﷺ صلاح الدين والدنيا والآخرة وكان الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم.

أقسم سبحانه وتعالى بهما على انه اسعد الخلائق دنيا وأخرى.....فذكر ما هو اشرف النهار وألطفه وهو زهرته وأضوأه وهو صدره وذلك وقت ارتفاع الشمس لان المقسم لأجله اشرف الخلائق وذلك يدل على انه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه احد من الخلق ولما ذكر النهار باشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله اتبعه الليل مقيدا بما يفهم إخلاصه لأنه ليس لا شرف ما فيه اسم يخصه.....

ولما أقسم بهذا القسم المناسب لحاله ﷺ أجاب بقوله: ﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾

---

(١) التبيان في أقسام القران ص٨٠.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٩٤.

[الضحى:٣] أي تركك تركا يحصل بت فرقة كفرقة المودع ولو على أحسن الوجوه الذي هو مراد المودع ﴿رَبُّكَ﴾ أي الذي أحسن إليك بإيجادك أولا وجعلك أكمل الخلق ثانيا ورباك أحسن تربية ثالثا كما انه لا يمكن توديع الليل للنهار بل الضحى للنهار الذي هو اشد ضيائه ولا يمكن توديع الضحى للنهار ولا الليل وقت سجوه له[١].

قال ابن القيم رحمه الله: (واقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: ودع محمداً ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضا فان فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان للحس وهذان للعقل! وأيضاً فإن الذي أقضت رحمته ألا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يليق بت إن يترك عباده في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وأخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم بت بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها)[٢].

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (ومناسبة القسم بـ﴿الضحى والليل﴾ إن الضحى وقت انبثاق نور الشمس فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحي وحصول الاهتداء بت وان الليل وقت قيام النبي ﷺ بالقران وهو الوقت الذي كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته أو من المسجد الحرام)[٣].

---

(١) انظر: نظم الدرر ج٨ ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) التبيان في أقسام القران ص٧٩-٨٠.

(٣) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٩٤.

وقال الشيخ عطية محمد سالم[1]: (اقسم -تعالى- بالضحى والليل هنا فقط لمناسبتها للمقسم عليه لأنهما طرفا الزمن وظرف الحركة والسكون فانه يقول له مؤانسا﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾ لا في ليل ولا في نهار)[2].

خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على التنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم والوحي الذي جاء به وبيان مزيد العناية التي حظي بها عليه الصلاة والسلام من ربه جل وعلا

---

(١) **الشيخ عطية محمد سالم ولد في قرية المهدية من أعمال الشرقية في مصر سنة ١٣٤٦هـ، وتلقى في كتّابها علومه الأولية، وحفظ بعض أجزاء القرآن الكريم ومبادئ بعض العلوم، وفي عام ١٣٦٤هـ ارتحل إلى المدينة المنورة، وأخذ يتلقى العلم في حلقات المسجد النبوي الشريف، وكان من أساتذته الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ عبدالرزاق حمزة وآخرون وكان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي دور بارز في حياته حيث لازمه اكثر من عشرين سنة عمل بالتدريس في المسجد النبوي وظل يزاول عمله هذا حتى توفي في اليوم السادس من ربيع الثاني عام ١٤٢٠ه ودفن بالبقيع** راجع: المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين ؛ المؤلف : أعضاء ملتقى أهل الحديث ؛مصدر الكتاب : ملتقى أهل الحديث

(٢) أضواء البيان ج٩ ص١٥٤.

المبحث التاسع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة التين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين:١-٨].

أولاً: تفسير مفردات السورة الكريمة:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾: التين هو المعروف الذي يؤكل والزيتون المعروف هو الذي يعصر وقيل: هو الفاكهة التي تأكل الناس وقيل: التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل: التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الذي عليه بيت المقدس وقيل: هما جبلان وقيل: التين مسجد نوح والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل: التين والزيتون وطور سينين ثلاثة مساجد بالشام.

قال الطبري بعد إن ذكر هذه الأقوال جميعها منسوبة إلى قائليها: (والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر من الزيت لان ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون إلا إن يقول قائل: اقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبا وان لم يكن على صحة ذلك انه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من يجوز خلافه لان دمشق بها منابت التين وبيت المقدس بها منابت الزيتون).

قال الشيخ بن عثيمين: (واقسم الله بهما لأنهما يكثران في فلسطين)[1].

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: قال بعضهم جبل موسى بن عمران صلوات الله وسلامه

---

(١) جامع البيان ج٢٤ ص٥٠١-٥٠٤، التفسير الثمين ج١٠ ص٥٥٩.

عليه وقيل مسجد الطور وقيل الطور كل جبل ينبت و﴿سِينِينَ﴾ حسن وقيل المبارك.

قال الطبري بعد إن ذكر الأقوال جميعها: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال طور سينين جبل معروف لان الطور هو الجبل ذو النبات فإضافته إلى سينين تعريف له ولو كان نعاتا للطور كما قال من قال معناه حسن مبارك لكان الطور منونا وذلك إن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك).[1]

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: هو مكة.

﴿ٱلْأَمِينِ﴾: الأمن أعدائه إن يحاربوا أهله أو يغزوهم قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أي في اعدل خلق وفي أحسن صورة وهي صورة الشباب زمن القوة والجلد[2].

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: أي ثم رددناه إلى أرذل العمر وقيل ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة وقد رجح الطبري الأول لكونه ردا على الكفار فأنهم منكرون للنار ولم يعاينوها ولكنهم يعاينون من رد إلى أرذل العمر من الناس ويشاهدونهم[3].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الاستثناء هنا للذين أمنوا وهو مستثنى من الهاء في قوله رددناه وإنما صح الاستثناء هنا لكون المراد بالإنسان الجنس لا الواحد ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا لان أرذل العمر يرد إليه المؤمن والكافر فيحسن

---

(١) جامع البيان ج٢٤ ص٥٠٥-٥٠٨.

(٢) جامع البيان ج٢٤ص٥١٠-٥١٣.

(٣) جامع البيان ج٢٤ص٥١٣-٥١٦.

إن يقال: -في غير القران- إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون بعد إن يرد إلى أسفل سافلين لكن الفرق بينهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فإنما رجل كان يعمل صالحا وهو قوي شاب فعجز عنه جرى له اجر ذلك العمل حتى يموت[1]

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي غير منقوص وقيل غير محسوب ورجح الطبري القول الأول

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾: قيل معناه فمن يكذبك يا محمد بعد هذه الحجج التي احتججنا بها وقيل معنها فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين، ورجح الطبري القول الأول[2].

﴿بِٱلدِّينِ﴾: قيل بالحساب وقيل بحكم الله ورجح الطبري رحمه الله القول الأول[3]

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أي اليس الله يا محمد باحكم من حكم في أحكامه وفصل قضائه بين عباده قال الطبري: حدثنا بشر[4] قال حدثنا يزيد[5] قال

---

(1) جامع البيان ج٢٤ ص٥١٦-٥٢٠.

(2) جامع البيان ج٢٤ص٥٢٣.

(3) جامع البيان ج٢٤ ص٥٢٥.

(4) بشر بن معاذ العقدى، أبو سهل البصرى الضرير من كبار الآخذين عن تبع الأتباع روى عنه الترمذي و النسائي و ابن ماجه صدوق نوفي سنة ٢٠٠ و بضع و أربعون هـ. . انظر: سير أعلام النبلاء ج٧ ص٣٥٣

(5) يزيد بن زريع العيشى، و قيل التيمى، أبو معاوية البصرى ولد سنة ١٠١ هـ من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين روى عنه البخاري و مسلم وأبو داود و الترمذي والنسائي وابن ماجه ثقة ثبت توفي سنة ١٨٢هـ بالبصرة. انظر: سير أعلام النبلاءج٧ ص٣٠٧

حدثنا سعيد[1] عن قتادة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ذكر لنا إن نبي الله ﷺ كان إذا قراها قال: [بلى وإنا على ذلك من الشاهدين[2]][3].

ثانيا: أركان القسم في هذه السورة الكريمة:

أركان القسم في هذه السورة الكريمة هي:

المقسم: هو الله تبارك وتعالى.

المقسم به: التين والزيتون وطور سينين هذا البلد الأمين الذي هو مكة.

المقسم عليه: هو خلق الإنسان في أحسن تقويم ورده إلى أسفل سافلين.

أداة القسم: هي الواو.

ثالثا: الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة هو:

قال الالوسي رحمه الله عند الحديث عن تفسير التين والزيتون: (وقال بعضهم: إن تفسيرهما بما ذكر هو الصحيح وكان المراد عليه تين تلك الأماكن

---

(١) سعيد بن أبى عروبة مهران العدوى، أبو النضر، اليشكرى مولاهم، البصرى من الذين عاصروا صغار التابعين روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي و النسائي وابن ماجه ثقة حافظ، له تصانيف، كثير التدليس، و اختلط، و كان من أثبت الناس فى قتادة توفي سنة ١٥٦ هـ و قيل ١٥٧ هـ انظر: سير أعلام النبلاءج٦ ص٤٦٧

(٢) أخرجه أبو داود (ج١ص٢٣٤، رقم ٨٨٧) انظر: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو دواود؛ سنن أبي داود؛ تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميدانظر؛ الناشر : دار الفكر، والترمذى (ج٥ص٤٤٣، رقم ٣٣٤٧) وقال : هذا الحديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابى ولا يسمى. وأخرجه البيهقى (ج٢ص٣١٠، رقم ٣٥٠٨).، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي؛ السنن الكبرى؛ مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة : الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤هـ، قال الشيخ الألباني-رحمه الله- : ضعيف

(٣) جامع البيان ج٢٤ص٥٢٦.

المقدسة وزيتونها والغرض من القسم بتلك الأشياء الإبانة عن شرف تلك البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة ويرجع إلى القسم بالأرض المباركة وبالبلد الأمين وفيه رمز إلى فضل البلد)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (قال بعض أهل العلم: اقسم الله بهذه الثلاثة لان الأول: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ارض فلسطين التي فيها الأنبياء وأخر أنبياء بني إسرائيل هو عيسى بن مريم ﷺ وبطور سينين لأنه الجبل الذي أوحى الله تعالى إلى موسى حوله وأما البلد الأمين فهو مكة الذي بعث الله منه محمداً ﷺ قال العلماء ومعنى قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أي: طور البركة لان الله تعالى وصفه أو وصف ما حوله بالوادي المقدس وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه اقسم الله تعالى انه خلق الإنسان في أحسن تقويم وهذه الجملة التي فيها المقسم عليه مؤكدة بثلاثة مؤكدات: القسم واللام وقد اقسم الله انه خلق الإنسان ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن هيئة وخلقة....)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة هي:

قال ابن القيم رحمه الله: (ومن ذلك أقسامه بـ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ فاقسم الله بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنبيائه ورسله أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما وهو ارض بيت المقدس فإنها أكثر البقاع زيتونا وتينا..... ثم اقسم بالبلد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد ادم وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل فبدا بموضع مظهر المسيح ثم ثنى بموضع مظهر

---

(١) روح المعاني ج٣٠ ص٥٠١.

(٢) التفسير الثمين ج١٠ ص٥٥٩-٥٦٠.

الكليم ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه..... واقسم بها على بداية الإنسان ونهايته فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي في أحسن صورة وشكل واعتدال معتدل القامة مستوي الخلقة كامل الصورة أحسن من كل حيوان سواه والتقويم تصبير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل وذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضة من تراب وخلقة بالمشاهدة من نطفة من ماء وذلك من أعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلمه وصفات كماله ولهذا يكررها كثيرا في القران لمكان العبرة بها والاستدلال بأقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد.

وتضمن أقسامه بتلك الأمكنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته-عنايته بخلقه بان أرسل إليهم رسله، وانزل عليهم كتبه يعرفون العباد بربهم وحقوقه عليهم وينذرونهم بالله ونقمته ويدعونهم إلى كرامته وثوابه[1].

خامسا : أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة على التنويه بالاماكن المقدسة المباركة ورفع شانها وبيان ما حظي به الانسان من خير نزل في هذه الاماكن فالتنويه بها تنويه بما جاء فيها من الخير والرسالات

(١) التبيان في أقسام القران ص٥٥-٥٦.

المبحث العشرون: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة العاديات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:١-١١].

أولا: تفسير مفردات السورة الكريمة:

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: أي الدواب التي من شأنها أن تجري بغاية السرعة وهي الخيل العادية في سبيل الله عز وجل وال أما إنها للعهد فيكون المقصود بها خيل السرية التي بعثها النبي ﷺ إلى كنانة، أو أنها للجنس فيكون ذلك قسم بكل خيل عدت في سبيل الله[١].

وقيل إن العاديات: رواحل الحجاج من الإبل وهو مروي عن علي رضي الله عنه وغيره[٢].

﴿ضَبْحًا﴾: الضبح صوت أجوافها إذا عدت عدوا شديدا وإنما تصبح إذا تغير حالها من تعب أو فزع ومنه قولهم: ضبحته النار إذا غيرت لونه[٣].

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: هي الخيل توري النار بحوافرها والقدح: الصك أو الاستخراج ومنه قدحت العين أخرجت منها الفاسد[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٧٠، البحر المحيط ج٨ ص٤٩٩، مفاتيح الغيب ج١١ ص٢٥٩ نظم الدرر ج٨ ص٥٠٨، معالم التنزيل ج٤ ص٦٦٩.

(٢) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٧٠، معالم التنزيل ج٤ ص٦٦٩، التحرير والتنوير ج٣٠ ص٤٩٩.

(٣) انظر: البحر المحيط ج٨ ص٤٩٩، معالم التنزيل ج٤ ص٦٦٩.

(٤) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٧٥، معالم التنزيل ج٤ ص٦٦٩.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: هي الخيل تغير في سبيل الله يعني الإغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحا ويستمع الأذان فان سمع إذانا وإلا أغار[١].

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: فرفعن بالوادي غبارا في معترك الخيول[٢].

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: أي فوسطن بركبانهن جمع القوم توسطن ذلك المكان كلهن جمع[٣].

﴿جَمْعًا﴾: قال قتادة: جمع القوم، وقال الضحاك: الجمع الكتيبة[٤].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: بمعنى انه بنعم ربه لكفور جحود والأرض الكنود التي لا تنبت شيئا قال الشاعر:

احدث لها تحدث لوصلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد[٥]

وقيل إنما سميت كندة لقطعها أباها قال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى نعم ربه وقيل: البخيل[٦].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: قال قتادة وسفيان الثوري[٧] والطبري: وان الله

---

(١) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٧٨، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٢) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٠، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٣) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٢، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٤) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٣.

(٥) ديوان الأعشى ص٧ وهو من قصيدته التي مطلعها :

أ جبير هل لأسيركم من فادي أم هل لطالب شقة من زاد

انظر: ديوان الأعشى ص٥٢

(٦) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٤، البحر المحيط ج٨ ص٤٩٩، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦

(٧) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، أبو عبدالله الكوفى (من ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد) ولد سنة ٩٧هـ، من كبار أتباع التابعين ثقة حافظ فقيه عابد إمام

على ذلك لشهيد وقال محمد بن كعب القرظي[1] يحتمل أن يعود الضمير على الإنسان فيكون التقدير وان الإنسان على كونه كنوداً لشهيد بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله وقوله ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يعني لشاهد[2].

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾: أي وانه لشديد المحبة للمال حريص عليه بخيل به يقال للبخيل شديد ومتشدد ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام النفوس عقيلة مال الباخل المتشدد[3]

أو معناه: وانه لحب الخير لقوي[4].

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾: أي أثير و أخرج ما فيها من الأموات[5]

﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: يعني ميز وأبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم[6].

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾: أي العالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون،

حجة، توفي سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٦٢٠

(١) محمد بن كعب القرضي حليف الأوس أبو حمزة المديني ولد في حياة النبي ﷺ وقد قال أبو داود سمع من علي وابن مسعود وهذا هو الصحيح له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وكان عالما بتفسير القران صالحا عابدا توفي بالمدينة سنة ١١٧ هوهو ابن ثمان وسبعين سنة انظر: سير أعلام النبلاءج٥ ص٤١٤

(٢) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٧، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٣) ديوان طرفة بن العبد صمن قصيدته المشهورة التي مطلعها:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

انظر: ديوان طرفة بن العبد؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

(٤) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٨٨، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٥) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٩٠، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(٦) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٩١، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

وبما أسروا في صدورهم وأضمروه فيها، وما أعلنوه بجوارحهم منها، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة[1].

ثانياً: أركان القسم في هذه السورة الكريمة:

أركان القسم في هذه السورة الكريمة هي:

المقسم: هو الله سبحانه وتعالى.

المقسم به: هو العاديات، وهي الخيل التي تعدو في سبيل الله، والموريات قدحاً، والمغيرات صبحاً.

المقسم عليه: أن الإنسان جحود لنعم ربه كفور لها شاهد على نفسه بذلك محب للمال بخيل به حريص عليه.

أداة القسم: الواو.

ثالثاً: الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة:

الغرض من القسم في هذه السورة الكريمة هو: التأكيد على أن الإنسان جحود كفور لنعم ربه، وأنه شاهد على نفسه بهذا الكفر، وأنه بخيل بالمال حريص عليه محب له.

قال البقاعي: (... قال مجيباً للقسم بذكر المقسم عليه حاكماً على النوع باعتبار عد المخلص لقلته عدماً مؤكداً لما لهم من تكذيب ذلك فإن كل أحد يتبرأ من مثل هذا الحال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾[2].

وقال ابن عاشور في بيان الغرض من القسم في هذه السورة: (وعلى وجه أن المقسم به رواحل الحج، فالقسم بها لتعظيمها بما تعين به على مناسك الحج، واختير

---

(1) انظر: جامع البيان ج٢٤ ص٥٩١، تفسير القران العظيم ج٤ ص٣٠٩٦.

(2) نظم الدرر ج٨ ص٥١٠.

القسم بها لأن السامعين يوقنون أن ما يقسم عليه بها محقق، فهي معظمة عند الجميع من المشركين والمسلمين)[1].

وإن أريد بالعاديات خيل الغزاة، فالقسم بها لأجل التهويل والترويع لإشعار المشركين بأن غارة تترقبهم، وهي غزوة بدر مع تسكين نفس النبي ﷺ من التردد في مصير السرية التي بعث بها مع المنذر ابن عمرو إذا صح خبرها، فيكون القسم بخصوص هذه الخيل إدماجاً للاطمئنان)[2].

رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة:

المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه في هذه السورة الكريمة هي: لما كانت نعم الله تعالى على هذا الإنسان كثيرة، ومنها نعمة الخيل التي تعدو به في سبيل الله، ولما كان الإنسان جاحداً لنعمة ربه كفوراً لها مع شهادته على نفسه بذلك، وحبه للمال من خيل وغيرها لما كان الأمر كذلك أقسم الله تعالى بالخيل العاديات في سبيل الله على كفر الإنسان وجحوده لنعم ربه، فأقسم بالنعمة على فعل الإنسان فيها وعلى حاله معها.

قال البقاعي: (ولما أقسم بالخيل التي هي أشرف الحيوان، كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف منه بالبيان وتجري به أفكاره كخيل الرهان... قال مجيباً للقسم بذكر المقسم عليه حاكماً على النوع باعتبار عد المخلص لقلته عدماً مؤكداً لما لهم من تكذيب ذلك فإن كل أحد يتبرأ من مثل هذه الحال...، وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: أقسم سبحانه على حال الإنسان بما هو، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾...، ولما كان إقدام الإنسان على الظلم عجباً، فإذا كان يشهد على نفسه بالظلم كان أعجب قال مؤكداً لما لأكثر الخلق قبل البعث والمحاققة من

---

(1) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٤٩٩.

(2) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٥٠٢.

إنكار كفرانه: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي الإنسان﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: الكنود العظيم، حيث أقدم على مخالفته الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه ﴿لَشَهِيدٌ﴾: لأنه مقر إذا حقق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه، وبأن ربه نهاه عن المخالفة، أو أنه لا أمر عنده منه بما فعل، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شيء له إلا منه بغير إذنه، وأنه إن تحرك بغير ذلك كان كافراً لإحسانه مستحقاً لعقابه لا يقدر على إنكار شيء منه)[1].

خامسا: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في التفسير:

دلت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه على أن طبع الانسان الجحود وكفر النعم فالابل نعمة عظيمة واية مبينة والخيل نعمة جلى واية اخرى فالقسم باحداهما على حال الانسان المنعم عليه يبين الطبع البشري المستمر ويذكره بمآله ومصيره وفي هذا تنبيه له بخطورة موقفه من النعم وتذكير له بالتوبة والعودة الى من انعم عليه بما لا يعد

(١) نظم الدرر ج٨ ص٥١٠.

الخاتمـــة

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات يتم علي عبادة الخيرات ويجزل لهم البركات ويبارك لهم في الأعطيات من علينا بإنهاء هذا البحث ويسر لنا ما صعب من أموره فله الحمد في الآخرة والأولى وبعد:

فقد عملت في هذا البحث مجتهدا في إخراجه بالصورة المطلوبة واللائقة وقد خلصت فيه إلى نتائج عدة ومن أهمها ما يلي:

١- تبين لنا المراد بالمناسبات وما يتعلق بها.

٢- تبين لنا المراد بالقسم لغة واصطلاحا وبعضا من أغراضه.

٣- بينا المراد بأثر المناسبة المطلوب بيانه هنا بصورة مختصرة.

٤- تبين كذلك المناسبة بين الأقسام بلفظ الجلالة والقسم بربوبية الله تعالى والمقسم عليه في كل آية من الآيات التي ورد فيها ذلك القسم

٥- وقد اتضح لنا إن هذه المناسبات لا تخرج عن إثبات العقيدة والبعث وتثبيت فؤاد النبي ﷺ والرد على من طعن فيه من المشركين.

٦- لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وفي كل قسم من هذه الاقسام ميزة خاصة تلحظ من خلال المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وقد بينا ذلك في اثر المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه

٧- قد يكون القسم مفردا وهو ما كان المقسم به واحد سواء أكان المقسم عليه واحدا أم متعددا

٨- هذا النوع من المناسبات-اعني المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه- لم يحظ بالبحث الدقيق والشامل لكل اياته الا ما كان مبثوثا في كتب العلماء دون ترتيب وفي هذا البحث ذكرت امثلة على ما اريد التوصل اليه من غير استقصاء لجميع الايات مما يعني حاجة هذا النوع من المناسبات الى مزيد من البحث

والدراسة لتظهر بذلك فائدته وآثاره

٩- البحث في هذا الموضوع يتطلب اناة وقراءة متأنية لأقوال علماء التفسير وتدقيق في اقوالهم واستنباط المطلوب باكبر قدر من الدقة وذلك لأنه موضوع يقوم على النظر والاجتهاد واستخراج امر كهذا فيه من الصعوبة ما فيه

١٠- اوصي بفتح الباب لدراسة هذا الموضوع بشكل اكبر وذلك من خلال دراسته في تفاسير اكثرت منه وافراد كل كتاب منها بدراسة مستقلة ثم بعد ذلك محاولة جمعه والمقارنة بين نتائج دراسة جميع كتبه واستخراج مادة موحدة تكون عونا لمن اراد ان يدرس شيئا مما يتعلق بكتاب الله تعالى ويتصل بالمناسبات

وانني اذ ا انهي كلامي في هذا البحث لأحمد الله جل وعلا على ما انعم به علي من الكتابة في هذا الموضوع واسال الله ان اكون قد وفقت في منحه شيئا مما يستحق من البحث والعناية وان حصل خلل فعزائي انني اجتهدت ولم اقصر. وان قصر. فهمي وضعف عملي فالعذر عند كرام الناس مقبول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين والحمد لله رب العالمين.

محمد بن علي القرني

الفهـــارس

الفهارس

- ١- فهرس الآيات الكريمة.
- ٢- فهرس الأحاديث، والآثار.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- فهرس الأشعار.
- ٥- فهرس المصادر والمراجع.
- ٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾	آل عمران: ١٨٦	٣	٤٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾	النساء: ٦٠	٤	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.، ٧٠
﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾	النساء:٦٢	٤	١٥٦،
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾	النساء:٦٣	٤	١٥٧
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾	النساء:٦٥	٤	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.، ٧٠، ٨١، ٨١، ٨٢
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	النساء:٨٧	٤	٩
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾	النساء: ١٢٢	٤	٩
﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	المائدة:٩٧	٥	٢٩٩

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾	الأنعام: ٢٢	٦	١٤٣
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	الأنعام: ٢٣	٦	١٥٠
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	الأنعام: ٣٠	٦	١٤٢، ٤٤
﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	الأنعام: ٣٣	٦	٦٧، ١٥١، ١٧١
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأنعام: ١٦٢	٦	٣١٥
﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾	التوبة:٤٦	٩	١٥٢
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾	يونس:٥٠	١٠	١٠٧
﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	يونس:٥٣	١٠	٤٣، ١٠٧، ٢٦٨،
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾	هود:١٠٣	١١	٢٩٨
﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	يوسف:٨	١٢	١٤٠
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾	يوسف: ٧٣	١٢	١٢٨
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾	يوسف: ٨٥	١٢	٤٤، ١٣٢

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	يوسف: ٩١	١٢	٤٤، ١٣٦،
﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	يوسف: ٩٢	١٢	١٤٢
﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾	يوسف: ٩٥	١٢	٤٤، ١٣٩
﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾	يوسف: ١٠٥	١٢	٣٣٤
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾	الرعد:١١	١٣	٣٠٣
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	الرعد:٤٣	١٣	١٦٩
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴾	الحجر:٦	١٥	٢٤٩
﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	الحجر:٦-٧	١٥	١٩٤، ٢٥١
﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	الحجر:٧٠	١٥	١٩٤
﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	الحجر:٧٢	١٥	٤٣، ١٨٩
﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	الحجر:٨٩	١٥	٩٤
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	الحجر:٩٢	١٥	٨٥
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	الحجر: ٩٢-٩٣	١٥	٦٠
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	النحل:٣٨	١٦	١٦٩

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾	النحل:٥٦	١٦	٥٦، ٦٢
﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	النحل:٦٣	١٦	٦٤
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	الإسراء: ٨٨	١٧	٩
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	الإسراء: ١٥	١٧	٣٢٠
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾	الكهف: ٢٩	١٨	٢٦٥
﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾	مريم:٦٦	١٩	٩٤
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾	مريم:٦٨	١٩	٩٢
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾	مريم:٧١	١٩	٤٥
﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	مريم:٧٢	١٩	٩٥
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	الأنبياء: ٢٣	٢١	٣٣١
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾	الأنبياء: ٥٧	٢١	١٢٤
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	المؤمنون: ٣٧	٢٣	١٢٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾	النور:٤٧ -٥١	٢٤	٧٨
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	النور:٥١	٢٤	٨٣
﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾	الفرقان: ٢٧	٢٥	١١٤

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾	الفرقان:٣	٢٥	٢٦٤
﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾	النمل:٤٩	٢٧	٤٠
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾	العنكبوت :٦١	٢٩	٩٤
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾	العنكبوت :٦٧	٢٩	٣٤١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾	الروم:٢٧	٣٠	١١٩
﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ﴾	لقمان:٢٣	٣١	١١٩
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾	سبأ:٣	٣٤	١١٢
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	سبأ:٤٣	٣٤	١٦٢
﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾	يس:١-٦	٣٦	١٨٤
﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾	يس:٨١	٣٦	١٠١

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾	الصافات: ١-٤	٣٧	٢٣١
﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾	الصافات: ٥	٣٧	٢٣٣
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	الصافات: ٩٦	٣٧	٣٣١
﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾	ص:١-٢	٣٨	٥٣
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾	ص:٢	٣٨	١٧٠، ١٨٦
﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾	ص:٥	٣٨	١٦٩
﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾	الزمر:٣	٣٩	٦٠
﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	غافر:٣٥	٤٠	١٥١
﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	غافر:٥٧	٤٠	١٠٠
﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾	الزخرف: ١-٤	٤٣	١٧٥
﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	الزخرف: ٣	٤٣	١٨٤
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾	الزخرف: ٥	٤٣	١٧٧
﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	الدخان: ١-٤	٤٤	١٧٩

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾	الدخان:٥-٦	٤٤	١٨١
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	الدخان:٦	٤٤	١٨١
﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	الجاثية:٢٨	٤٥	٩٣
﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	الأحقاف: ٢٢	٤٦	٢٤١
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	الأحقاف: ٣٤	٤٦	١٤٦،٤٤
﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾	ق:١	٥٠	١٨٣
﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾	ق:٢-٥	٥٠	١٨٣
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾	الذاريات: ١-٦	٥١	٢٣٠ ,٢٤ ٢٣٨ ،٧
﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾	الذاريات: ٦٠	٥١	٢٤٦
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾	الذاريات: ٧-٨	٥١	٢٢٣
﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾	الذاريات: ٢٣	٥١	٤٥، ٩٧، ١٠١
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات: ٥٦	٥١	٦٠
﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾	الطور:١-٣	٥٢	١٧٤

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾	الطور:١-٧	٥٢	١٨٤، ٢٤٤
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾	الطور:١٧	٥٢	٢٤٦
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾	النجم:١-٣	٥٣	٢١٤
﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾	النجم:٢٣	٥٣	٦٠
﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ﴾	الرحمن: ٣٣	٥٥	٢٣٦
﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾	الرحمن: ٣٩	٥٥	٨٧
﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾	الواقعة:٤	٥٦	٢٨١
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾	الواقعة: ٧٥	٥٦	٧١
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الواقعة: ٧٥-٨٠	٥٦	٢١٩
﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾	الحديد: ٢٩	٥٧	٧١
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾	المجادلة: ١٨	٥٨	١٥١
﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾	التغابن:٧	٦٤	١١٨

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾	القلم:١-٤	٦٨	٢٤٩
﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾	القلم:٣	٦٨	٢٥٤
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾	القلم:٥١	٦٨	٢٥٣
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الحاقة:٣٨-٤٣	٦٩	٢٥٦
﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾	الحاقة:١١	٦٩	٢٣٨
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾	المعارج:٤٠-٤١	٧٠	١٠٣
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾	المعارج:٤٤	٧٠	٢٩٩
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾	المدثر:٢٥	٧٤	٢٥٩
﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾	المدثر:٣٢-٣٧	٧٤	٢٦١
﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾	المدثر:٣٥-٣٦	٧٤	٢٦٥
﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾	القيامة:١-٢	٧٥	٢٦٧
﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾	القيامة:٣	٧٥	٢٦٨
﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾	المرسلات:١-٧	٧٧	٢٧٢
﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾	المرسلات:٢٠	٧٧	٢٧٦

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾	النازعات: ١-٥	٧٩	٢٧٨
﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾	النازعات: ٦	٧٩	٢٨٠
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾	التكوير: ١٥-١٩	٨١	٢٨٤
﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾	التكوير: ٢٢	٨١	٢٥٤، ٢٨٧
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾	الانشقاق: ١٦-١٩	٨٤	٢٩٢
﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	الانشقاق: ٢٠	٨٤	٢٩٤
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾	البروج: ١-٤	٨٥	٤٥، ٢٢٨، ٢٩٦
﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾	البروج: ٧	٨٥	٣٠٠
﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	البروج: ١٢	٨٥	٢٩٧
﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾	البروج: ٢١-٢٢	٨٥	١٧٥
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾	الطارق: ١-٤	٨٦	٢٢٨، ٣٠١
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾	الطارق: ٢	٨٦	٣٠٤
﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾	الطارق: ٣	٨٦	٣٠٤
﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾	الطارق: ١١-١٤	٨٦	٢٢٨، ٣٠٧
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾	الفجر: ٦	٨٩	٣١٣

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾	الفجر:١-٥	٨٩	٣١١
﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾	الفجر:١٣	٨٩	٣١٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾	الفجر:١٤	٨٩	٣١٣
﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	البلد:١-٤	٩٠	٣١٧
﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس:١-١٠	٩١	٣٢٢
﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا وَٱلَّيْلِ يَغْشَىٰهَا وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفْسٍ وَمَا﴾	الشمس:١-٧	٩١	٤٤
﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	الشمس:٨	٩١	٣٣١
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	الشمس:٩-١٠	٩١	٣٣٠
﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾	الليل:١-٤	٩٢	٣٢٨
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ إلى ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾	الليل:٥-١٠	٩٢	٣٣١
﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾	الليل:١٢-١٣	٩٢	٣٣١
﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	الضحى:١-١١	٩٣	٣٣٣

الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	الضحى:١-٢	٩٣	٣٣٦
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	الضحى:٣	٩٣	٣٣٧
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	التين:١-٨	٩٥	٣٤٠
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾	القدر:١	٩٧	١٨٠
﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾	العاديات:١-١١	١٠٠	٣٤٦
﴿فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾	القارعة:٧	١٠١	٢٤٢
﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	التكاثر:٨	١٠٢	٨٧
﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾	العصر:١-٣	١٠٣	١٩٦
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾	الكوثر:٢	١٠٨	٣١٦

فهرس الأحاديث والآثار

م	طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
١	(الذي يقرأ القرآن وهوماهر به)	٢٢٥
٢	(بلى وإنا على ذلك من الشاهدين)	٣٤٣
٣	(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)	٢٢٥
٤	(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...)	٢١٦
٥	(عن قول لا اله إلا الله)	٨٦
٦	(كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)	٢٥٠
٧	(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً)	٣١٠
٨	(من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله)	٢٠١
٩	(واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين عليك بها قابليها وأتمها علينا)	٣٣٥

فهرس الأعلام

م	اســـــم العلـــــــــــم	الصفحة
١	إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي	٢٩
٢	إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج	٧٥
٣	إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي	١٧٧
٤	أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن النجار	٢٠٣
٥	أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي	٣٤
٦	أحمد بن علي بن المثنى التميمي (أبو يعلى)	٨٦
٧	أحمد بن مصطفى المراغي	١٧٢
٨	أحمد بن موسى ابن مردويه الأصبهاني	٨٦
٩	أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي	٢٠٥
١٠	إسماعيل بن عبدالرحمن الحجازي السدي	٩٣
١١	إسماعيل بن عمر القرشي (ابن كثير)	٨٠
١٢	الحسن بن يسار البصري	٩٣
١٣	الحسين بن مسعود البغوي	٩٨
١٤	الحسين بن مفضل الراغب	٤٠
١٥	الضحاك بن مزاحم الهلالي	٧٤
١٦	امرؤ القيس بن حجر بن الحارث المرار	١٨٥
١٧	بشر بن معاذ العقدي	٣٤٢
١٨	حمزة بن حبيب الزيات الكوفي	١١٢
١٩	زهير بن ربيعة بن رياح المزني	٧٣
٢٠	زيد بن اسلم بن ثعلبة بن عدي البلوي	١٩٦

م	اســـــم العلـــــــــــم	الصفحة
٢١	سعيد بن أبو عروبة مهران العدوي	٣٤٣
٢٢	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري	٣٤٧
٢٣	سليمان بن إبراهيم بن عبدالله اللاحم	١٩٨
٢٤	سيد قطب	٦١
٢٥	شهاب الدين البغدادي الألوسي	٧٤
٢٦	طاووس بن كيسان اليماني	٢٠٤
٢٧	طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي	٧٢
٢٨	عبدالحميد كشك	١٩٧
٢٩	عبدالرحمن بن الكمال بن محمد السيوطي	٣٠
٣٠	عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي (ابن الجوزي)	٨٩
٣١	عبدالرحمن بن محمد بن إدريس (ابن أبو حاتم)	٨٦
٣٢	عبدالرحمن بن ناصر السعدي	٣٦
٣٣	عبدالعزيز بن عبدالسلام (العز)	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
٣٤	عبدالعزيز بن عبدالفتاح بن الملا محمد عظيم القارئ	١٩٧
٣٥	عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري	٣٣
٣٦	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	١٩٦
٣٧	عطية بن الأسود اليماني (الحروري)	١٨٠
٣٨	عطية محمد سالم	٣٣٩
٣٩	علي بن أحمد بن إبراهيم التجيبي الحرالي	٣٤
٤٠	علي بن حمد بن صالح الصالحي	١٩٧
٤١	علي بن حمزة الكسائي	١١٢

م	اســـــم العلـــــــــــم	الصفحة
٤٢	علي بن محمد بن وضاح الشهراباني	٣٣
٤٣	علي بن محمد حبيب الماوردي	٩٧
٤٤	عمر بن علي بن عادل الحنبلي	١٩٧
٤٥	عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن المحاربي (ابن عطية)	٨٧
٤٦	قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو	١٦٨
٤٧	مجاهد بن جبر المكي	٧٠
٤٨	محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي	٨٣
٤٩	محمد الطاهر بن محمد الطاهر ابن عاشور	٣٥
٥٠	محمد بن إبراهيم النيسابوري (ابن المنذر)	٨٦
٥١	محمد بن أبو بكر بن أيوب الزرعي (ابن القيم)	٧٩
٥٢	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	٧٤
٥٣	محمد بن أحمد الشربيني	١٠٩
٥٤	محمد بن أحمد بن يحيى بن جزيء الكلبي	١٩٧
٥٥	محمد بن بحر الأصفهاني (أبو مسلم)	٢٠٠
٥٦	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	٧٠
٥٧	محمد بن سليمان البلخي (ابن النقيب الحنفي)	٣٤
٥٨	محمد بن صالح العثيمين	٣٧
٥٩	محمد بن عبدالله المعافري (أبو بكر بن العربي)	٣٣
٦٠	محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي	٢٨
٦١	محمد بن عبدالله بن عيسى المري (ابن أبو زمنين)	١٩٧
٦٢	محمد بن علي بن عبدالله الشوكاني	٩٧
٦٣	محمد بن عمر القرشي (فخر الدين الرازي)	٣٢

م	اســـــم العلـــــــــــم	الصفحة
٦٤	محمد بن عمر بن سالم بازمول	٢٩
٦٥	محمد بن عمر بن عبدالرحمن الظاهري	١٤
٦٦	محمد بن عيسى بن سورة السلمي (الترمذي)	٨٥
٦٧	محمد بن كعب القرظي	٣٤٨
٦٨	محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	٧١
٦٩	محمد بن مكرم الرويفعي (ابن منظور)	٢٧
٧٠	محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز آبادي	٢٨
٧١	محمد بن يوسف بن علي الغرناطي (أبو حيان)	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
٧٢	محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي	٩٨
٧٣	محمد رشيد رضا	٣٦
٧٤	محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري	٧١
٧٥	مصطفى بن ميمش بن الحسين الحصني	١٩٨
٧٦	مطرف بن عبدالله بن الشخير مطرف بن الشخير	٢٠٥
٧٧	ميمون بن قيس بن جندل (الأعشى)	١٨٦
٧٨	هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس	٣٠١
٧٩	يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي (الفراء)	١٩٦
٨٠	يزيد بن زريع العيشي	٣٤٢
٨١	حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم	١٧٦
٨٢	مقاتل بن سليمان البلخي	١٧٧
	محمد حسنين مخلوف	١٧٧

م	اســـــم العلـــــــــــم	الصفحة
٨٣	د. حكمت بشير ياسين	١٨١
٨٤	أبو صالح باذام مولى أم هانئ	١٨٣
٨٥	أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي	٢٠٦
٨٦	محمد بن السائب الكلبي	٢٣٠
٨٧	عبدالرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين القاشاني	٢٣٧
٨٨	مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوادعي	٢٣٩

فهرس الأشعار

م	البيـــــــــت	الصفحة
١	احدث لها تحدث لوصلك إنها * كند لوصل الزائر المعتاد	٣٤٧
٢	أرى الموت يعتام النفوس ويصطفي * عقيلة مال الباخل المتشدد	٣٤٨
٣	إن لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لم يجدن سائقا	٢٩٢
٤	تروح بنا ياعمرو قد قصر العصر * وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر	٢٠٣
٥	سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر * ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر	١٩٩
٦	فآثر سيل الواديين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا	٤٢
٧	فدع ذا وسل الهم عنك بحسرة * ذمول إذا صام النهار وهجرا	١٨٦
٨	فدع ذا ولكن رب أرض متيهة * قطعت بحرجوج إذا الليل اظلما	١٨٦
٩	متى يشتجر قوم يقل سرواتهم * هم بيننا فهم رضى وهم عدل	٧٣
١٠	مكلل باصول النجم تنسجه * ريح خرير لضاحي مائه حبك	٢٢٣
١١	نحن بنات طارق * نمشي على النمارق	٣٠١
١٢	وامطله العصرين حتى يملني * ويرضى بنصف الدين والانف راغم	٢٠٠
١٣	ولن يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا ان يدركا ما تيمما	٢٠٤
١٤	وهم الحكام أرباب الهدى * وسعاة الناس في الأمر الشجر	٧٣

فهرس المصادر والمراجع

١- مجمع اللغة العربية ؛المعجم الوسيط؛ ؛ باب النون (النسبية) ص٩١٦؛ طبعة مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤م.

٢- الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة؛ تحقيق: محمد عبد المعيد ضان ؛الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ؛سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م

٣- ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ لسان العرب؛ ؛ الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

٤-محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي؛ تاج العروس من جواهر القاموس .؛ تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.

٥- أحمد بن محمد الأدنروي ؛طبقات المفسرين؛ تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ؛ الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

٦-الفيروز أبادي؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ تحقيق: محمد علي النجار؛ الناشر: لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة-١٣٨٣هـ

٧- أحمد بن محمد الأدنروي؛ طبقات المفسرين -.تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ؛ الناشر: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٧م

٨- بدر الدين الزركشي؛ البرهان في علوم القرآن، ؛ الناشر: المكتبة العصرية؛ طبعة ٢٠٠٦م.

٩- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي؛ الأعلام للزركلي ؛ الناشر : دار العلم للملايين الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م،

١٠- محمد محمد محمد سالم محيسن ؛ معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ؛ ؛ الناشر: دار الجيل – بيروت؛ الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١١- برهان الدين البقاعي؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ دار الكتب العلمية؛ الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م

١٢- جلال الدين السيوطي؛ الإتقان في علوم القرآن، ؛ دار الكتاب العربي- بيروت-٢٠٠٧م

١٣- محمد عمر بازمول؛ علم المناسبات في السور والآيات، ؛ الناشر: المكتبة المكية؛ الطبعة الأولى؛٢٠٠٢م

١٤- جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي طبقات المفسرين

١٥- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء؛ البداية والنهاية - ؛ الناشر : مكتبة المعارف - بيروت

١٦- الفخر الرازي: محمد بن عمر الرازي؛ التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م

١٧- الذهبي سير أعلام النبلاء؛ ج٥ ص٤٢.

١٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - ج٢، ص١٠٨.

١٩- ابن العماد عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ؛ الناشر : : دار الكتب العلمية

٢٠- بدر الدين العيني؛ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ؛ج١ ص٣٤٥؛ مصدر الكتاب :موقع الوراق (الشاملة)

٢١- د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف؛ جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد

٢٢- علي بن نايف الشحود؛ مشاهير أعلام المسلمين ص١٥٠

٢٣- الراغب الأصفهاني الحسين أو حسين بن مفضل ؛ مفردات ألفاظ القرآن؛ تحقيق : نجيب الماجدي؛ طبعة المكتبة العصرية ببيروت عام ٢٠٠٦م، الطبعة الأولى.

٢٤- مصطفى البغا ومحيي الدين مستو؛ الواضح في علوم القرآن، الناشر: دار الكلم الطيب -دمشق-الطبعة الأولى ١٩٩٦م،
٢٥- د.عدنان محمد زرزور؛ علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ؛الناشر: دار الإعلام -الأردن- الطبعة الأولى ٢٠٠٥م
٢٦-شمس الدين ابن القيم؛ التبيان في أقسام القرآن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
٢٧- د. عبدالله شحاتة؛ علوم التفسير، ؛ طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠١م
٢٨- ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري؛ تاء القسم ودلالاتها، طبعة مطابع الأهرام بكورنيش النيل؛عام ١٩٩١م،
٢٩-د.حسين نصار؛ القسم في القرآن الكريم؛ الناشر: مكتبة الثقافة الدينية؛ الطبعة الأولى ٢٠٠١م
٣٠- عبد الحميد الفراهي؛ إمعان في أقسام القرآن؛ الناشر : دار القلم بدمشق؛ الطبعة الأولى ١٩٩٤م
٣١-أبا الحسن البصري ؛ الحماسة البصرية؛ مصدر الكتاب موقع الوراق (من كتب الموسوعة الشاملة)،
٣٢- ابن قتيبة الدينوري ؛الشعر والشعراء (من كتب الموسوعة الشاملة)
٣٣- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي؛ البحر المحيط ، الطبعة الثانية٢٠٠٧م،
٣٤- برهان الدين أبو الحسن البقاعي ؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ طبعة٢٠٠٦م،
٣٥- محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير ؛ الناشر دار سحنون للنشر- والتوزيع - الجمهورية التونسية،
٣٦- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، طبعة عام ١٩٩٩م.
٣٧- الطبري أبو جعفر : محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م،
٣٨- الزمخشري: محمود بن عمر؛ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون

الأقاويل في وجوه التأويل، الناشر: دار الكتاب العربي ٢٠٠٨م،
٣٩- أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي؛ زاد المسير في علم التفسير، الناشر: المكتب الإسلامي ١٩٨٧م،
٤٠- المراغي أحمد مصطفى؛ تفسير المراغي ؛ الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٤١- البغوي : الحسين بن مسعود؛ معالم التنزيل ؛ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع؛ الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ
٤٢- أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير القرآن العظيم، ؛ الناشر: دار ابن الهيثم الطبعة الأولى ٢٠٠٥م
٤٣- الشوكاني : محمد بن علي؛ فتح القدير ؛الناشر دار الكتاب العربي -بيروت- ٢٠٠٩م
٤٤-القاسمي: محمد جمال الدين : محاسن التأويل ؛ الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٥م
٤٥- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي؛الدر المنثو ر في التفسير بالمأثور ؛ الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع؛ ٢٠٠٩م
٤٦- القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري؛ الجامع لأحكام القرآن ؛ الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت-٢٠٠٧م
٤٧- ابو الطيب: صديق بن حسن القنوجي البخاري؛ فتح البيان في مقاصد القرآن ؛الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت- ٢٠٠٨م
٤٨- أنور الباز؛ التفسير التربوي للقرآن الكريم ؛ الناشر : دار النشر للجامعات؛ مصر؛ ٢٠٠٧م
٤٩- سيد قطب في ظلال القرآن، الناشر: دار العلم للطباعة والنشر بجدة؛ الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٦م
٥٠- سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي؛ التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح تحقيق : د. أبو لبابة حسين؛ الناشر : دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض ؛الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦

٥١- ديوان طرفة ص٣٩؛ الناشر : دار الكتب العلمية؛ بيروت -لبنان-

٥٢- أبـو الحجـاج يوسـف بـن سـليمان بـن عيسـى المعـروف بـالأعلم النحـوي الشنتمري؛ شرح ديوان زهير بن آبي سلمى ؛ طبع بالمطبعة الحميدية بمصر سنة ١٣٢٣هـ

٥٣- محمد رشيد رضا؛ تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ (تفسير المنار)الناشر: دار الفكر الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

٥٤- الإمـام أبـو الحسـن عـلي بـن أحمـد الواحـدي النيسـابوري؛ أسـباب النـزول ؛ الناشر: مكتبة عالم الكتب -بيروت-

٥٥- الشيخ محمد بـن صـالح العثيمين؛ رسـالة في زكـاة الحلي، النـاشر دار المنهـاج ٢٠٠٣م.

٥٦-محمـد بـن عيسـى أبـو عيسـى الترمـذي السـلمي؛ الجـامع الصـحيح (سـنن الترمـذي)؛ تحقيـق : أحمـد محمـد شـاكر وآخـرون؛ النـاشر : دار إحيـاء الـتراث العربي - بيروت

٥٧- أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي؛ مسـند أبي يعـلى؛ النـاشر : دار المأمون للتراث - دمشق؛ الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م

٥٨- أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكـوفي؛ المصـنف في الأحاديـث والآثـار تحقيـق : كـمال يوسـف الحـوت؛ النـاشر : مكتبـة الرشـد - الريـاض؛ الطبعـة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٥٩- تفسـير القـرآن العظـيم مسـندا عـن رسـول الله والصـحابة والتـابعين ؛ تحقيـق: أسعد محمد الطيب؛ النـاشر: مكتبـة مصـطفى نـزار البـاز-مكـة المكرمـة، الريـاض- ؛الطبعة الأولى ١٩٩٧م

٦٠- أبومحمد عبـدالحق بـن غالـب بـن عطيـة الأندلسي؛ المحـرر الـوجيز في تفسـير الكتـاب العزيـز ،تحقيـق : عبدالسـلام عبدالشـافي محمـد؛ النـاشر : دار الكتـب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م؛ الطبعة : الأولى

٦١- محمد الأمين بن عبدالله الأرمي الهرري الشافعي؛ حدائق الـروح والريحـان في روابي علوم القرآن، ج٢٧، ص٥١٨؛ الناشر: دار طوق النجاة

٦٢- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري؛ جامع البيان في تأويل القرآن؛ تحقيق : أحمد محمد شاكر؛ الناشر : مؤسسة الرسالة؛الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٦٣- سليمان بن إبراهيم اللاحم؛ تنوير العقول والأذهان في تفسير مفصل القرآن ؛ الناشر دار العاصمة للنشر والتوزيع؛ الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٦٤- محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين؛ السراج المنير ؛ الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٥- عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بـ(تفسير النسفي)، اعتنى به عبدالحميد طعمة الحلبي؛ الناشر: دار المعرفة - بيروت- لبنان؛ الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

٦٦- الشيخ محمد بن صالح العثيمين؛التفسير الثمين؛ اعتنى به: أشرف بن كمال؛ الناشر: مكتبة الطبري للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م

٦٧- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؛ الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٦٨- ديوان امرء القيس ؛ ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبدالشافي؛ الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان؛ الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م

٦٩- انظر ديوان الأعشى

( ) الدر المصون في علم الكتاب المكنون ج٧ ص١٧٤

٧٠- ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء ،مصدر الكتاب : (موقع الوراق- المكتبة الشاملة)

٧١- موقع http://www.islamhouse.com/ip/401634

٧٢- ملتقى أهل الحديث الإليكتروني، منتدى القرآن وعلومه

٧٣- المقتطف من عيون التفاسير

٧٤- (موقع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة إليكتروني)

٧٥- محمد بن عبدالله الأندلسي الشهير بابن العربي؛ أحكام القرآن لابن العربي ؛

الناشر : دار الكتب العلمية

٧٦- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي؛ التسهيل لعلوم التنزيل الناشر دار الكتب العلمية-بيروت لبنان؛ الطبعة الأولى ١٩٩٥م

٧٧- أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي؛ اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض؛ دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٩٩٨ م الطبعة : الأولى

٧٨- علي الحمد المحمد الصالحي؛ الضوء المنير على التفسير ؛ الناشر: مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام-الرياض-

٧٩- عبدالحميد كشك؛ في رحاب التفسير ؛ الناشر: المكتب المصري الحديث

٨٠- عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ؛ تفسير سورة العصر الناشر: مكتبة الدار

٨١- مصطفى الحصن؛ المقتطف من عيون التفاسير ؛ تحقيق : محمد علي الصابوني؛ الناشر: دار القلم-دمشق-والدار الشامية-بيروت-

٨٢- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا؛ الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

٨٣- ديوان الوأواء الدمشقي من كتب الموسوعة الشاملة

وديوان الصبابة لابن أبي حجلة من كتب الموسوعة الشاملة .

٨٤-أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه؛ تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر؛ الناشر : دار طوق النجاة؛ الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ

٨٥- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري؛ صحيح مسلمتحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي؛ الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت،

٨٦-المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين تأليف:أعضاء ملتقى أهل الحديث مصدر الكتاب : ملتقى أهل الحديث

٨٧- ديوان حميد بن ثور الهلالي بتحقيق عبد العزيز الميمنى ؛طبعة الدار القوميةللطباعة والنشر١٣٨٤هـ مصورة عن الطبعة الأصلية دار الكتب المصرية ١٧٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.

٨٨- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي؛ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط؛ الناشر: دار القلم –دمشق

٨٩- حكمت ابن بشير بن ياسين الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ؛ الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية؛ الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٩٠- يسري السيد محمد،و صالح أحمد الشامي ؛ بدائع التفسيرالجامع لما فسره ابن القيم ؛ الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ

٩١- اللباب فب علوم الكتاب

٩٢- الدكتور مصطفى مسلم ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بجامعة الشارقة؛ التفسير الموضوعي لسور القران الكريم ؛ الناشر: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

٩٣- محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري؛ الطبقات الكبرى لابن سعد ؛ تحقيق : إحسان عباس؛ الناشر : دار صادر - بيروتا لطبعة : الأولى ١٩٦٨م، وانظر: الأعلام للزركلي - (٨ / ٩٨).

٩٤- أبو الفرج الأصفهاني؛ الأغاني ؛ تحقيق : سمير جابر؛ الناشر : دار الفكر - بيروت؛ الطبعة الثانية

٩٥- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي؛ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.

٩٦- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين المستدرك على الصحيحين ؛تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا؛ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ؛الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠

٩٧- المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبة العلم المعاصرين ؛ المؤلف : أعضاء ملتقى أهل الحديث ؛مصدر الكتاب : ملتقى أهل الحديث

٩٨- سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو دواود؛ سنن أبي داود؛ تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميدانظر؛ الناشر : دار الفكر،

٩٩- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي؛ السنن الكبرى؛ مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة : الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤هـ، قال الشيخ الألباني-رحمه الله- : ضعيف

١٠٠- طرفة بن العبد؛ديوان طرفة بن العبد ؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	ملخص الرسالة	٣
	ترجمة ملخص الرسالة	٤
	الإهداء	٥
	شكر وتقدير	٦-٧
	المقدمـــة:	٩-١٠
	أهمية الموضوع	١١-١٢
	أسباب اختيار الموضوع	١٢
	الدراسات السابقة	١٢-١٥
	خطة البحث	١٦-١٩
	طريقة العمل في البحث.	٢٠-٢٣
	التمهيـــد في التعريف بمصطلحات عنوان البحث، وهي:	٢٥
أولا:التناسب:		
	المراد به في اللغة والاصطلاح	٢٧-٢٩

	موضوع علم المناسبات	٣٠
	ثمرته	٣٠
	، أنواع المناسبات في القرآن الكريم	٣١
	،أهم المؤلفات في علم المناسبات	٣٢-٣٧
	ما ينبغي معرفته عند البحث في المناسبات.	٣٧-٣٨
	فوائد معرفة علم المناسبات	٣٨-٣٩
ثانيا:القسم:		
	المراد به في اللغة والاصطلاح	٤٠
	صيغته	٤١
	أركانه	٤١-٤٣
	أغراضه	٤٣-٤٤
	أنواع القسم في القرآن الكريم.	٤٤-٤٥
	الشبهات التي تثار حول القسم في القرآن الكريم والرد عليها	٤٦-٤٩
ثالثا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه من حيث:		
	المراد به في اللغة والاصطلاح	٥٠
	،أهمية معرفة المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه	٥١-٥٢

الفصل الأول: التناسب بين المقسم به المفرد والمقسم عليه		
المبحث الأول: القسم بالله تعالى، وربوبيته، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.		
المطلب الأول: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في آيات القسم بالله تعال ور بوبيته:		
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	٥٥-٥٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٥٨
	ثالثا: الغرض من القسم في الآية	٥٨
	رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٥٨-٦٢
	خامسا أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٦٢
ثانيا: قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:٦٣].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	٦٣-٦٤
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٦٤
	ثالثا: الغرض من القسم في الآية	٦٥
	رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٦٥-٦٨

	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٦٨
المطلب الثاني: القسم بربوبية الله تعالى والتناسب بينه وبين المقسم عليه		
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	٦٩-٧٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٧٥
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٧٦-٧٧
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٧٧-٨٢
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٨٣
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر:٩٢].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	٨٤-٨٦
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٨٦-٨٧
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٨٧
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٨٨-٩٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٩٠
الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ		

جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم:٦٨].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	٩١-٩٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٩٢
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٩٣
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٩٣-٩٥
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٩٥
الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	٩٦-٩٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٩٨
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٩٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٩٩-١٠٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٠٠-١٠١
الموضع الخامس: قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [المعارج:٤٠-٤١]		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٠٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٠٣

	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٠٣
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٠٤-١٠٥
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٠٥
المطلب الثالث: القسم بالله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والتناسب بينه وبين المقسم عليه وجاء ذلك في مواضع		
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣]		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٠٦-١٠٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٠٧
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٠٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٠٩-١١٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١١٠
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	١١١-١١٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١١٢-١١٣

	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١١٣
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١١٤-١١٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١١٦
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]		
	أولا: تفسير مفردت الآية الكريمة	١١٧-١١٨
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١١٨
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١١٩
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١١٩-١٢١
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٢٢
المطلب الرابع: القسم بالله تعالى على ألسنة الأنبياء والصالحين والتناسب بينه وبين المقسم عليه		
الموضع الأول القسم على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٥٧].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	١٢٣
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٢٣-١٢٤
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٢٤-١٢٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٢٥

	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٢٥-١٢٦
الموضع الثاني القسم على ألسنة إخوة يوسف عليه السلام في أربع آيات الأولى: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف:٧٣].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٢٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٢٨
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٢٨-١٢٩
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٢٩-١٣٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٠
الثانية: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ [يوسف:٨٥].		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٣١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٣١-١٣٢
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٣٢-١٣٣
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٤
الثالثة: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾		

	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٣٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٣٥
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٣٦
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٦-١٣٧
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٧
الرابعة: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	١٣٨
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٣٨
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٣٩
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٣٩
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٤٠
المطلب الخامس: القسم بالله تعالى على ألسنة الكفار والمنافقين والتناسب بينه وبين المقسم عليه وأمثلته من القرآن الكريم		
المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٣٠].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٤١-١٤٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٤٢
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٤٢-١٤٣

	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٤٣-١٤٤
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٤٤
المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٤٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٤٦
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٤٦-١٤٧
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٤٧-١٤٨
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٤٨
المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٤٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٤٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٤٩-١٥١
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٥١-١٥٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٥٤
المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢].		

	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	١٥٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٥٦
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٥٦-١٥٧
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٥٧-١٥٨
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٥٨
المبحث الثاني: القسم بالقرآن الكريم، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.		
الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس:١-٣].		
	أولا: تفسيرمفردات الآية الكريمة	١٥٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٦٠
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٦٠-١٦١
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٦٢-١٦٥
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٦٥
الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص:١].		
	أولا: تفسير مفردات الآية الكريمة	١٦٦
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٦٦-١٦٨
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٦٩-١٧٠

	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٧٠-١٧٢
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٧٢
الموضع الثالث: في سورة الطور (يبحث في الفصل الثاني) ص ١٧٣		
الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:١-٤].		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٧٤-١٧٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٧٥
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٧٥-١٧٦
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٧٦-١٧٧
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٧٧
الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:١-٤].		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٧٨
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٧٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٧٩-١٨٠
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٨٠-١٨١
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٨١

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق:١].		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٨٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٨٢-١٨٤
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٨٤-١٨٦
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٨٦-١٨٧
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٨٧
المبحث الثالث: القسم بعمر الرسول ﷺ، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، ومثال ذلك في القرآن الكريم.		
في قوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢].		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	١٨٨-١٩٠
	ثانيا: أركان القسم في الآية	١٩٠-١٩١
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	١٩١-١٩٢
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٩٢-١٩٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	١٩٤
المبحث الرابع: القسم بآيات الله تعالى الكونية، والتناسب بينه وبين المقسم عليه، وأمثلة ذلك من القرآن الكريم.		
	أولاً: في سورة العصر	

	أولا: تفسير سورة العصر	١٩٥-٢٠٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٠٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢١٠
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢١٠-٢١١
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢١١-٢١٢
	ثانيا: في سورة النجم	
	أولا: تفسير الآيات الكريمة	٢١٣
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢١٤
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢١٤-٢١٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢١٥-٢١٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢١٧
	ثالثا: في سورة الواقعة	
	أولا: تفسير الآيات الكرية	٢١٨-٢١٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢١٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٢٠
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٢١
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٢١

	رابعا: في سورة الذاريات	
	أولا: تفسير الآيتين الكريمتين	٢٢٢
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٢٣
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٢٣-٢٢٤
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٢٥-٢٢٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٢٦
الفصل الثاني: التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه		
المبحث الأول: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الصافات.		
	أولا: تفسير الآية الكريمة	٢٣٠
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٣١
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٣٢-٢٣٤
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٣٤-٢٣٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٣٦
المبحث الثاني: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الذاريات.		
	أولا: تفسير الآية	٢٣٧-٢٣٨
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٣٨-٢٣٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٣٩-٢٤٠

	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٤٠-٢٤٢
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٤٢
المبحث الثالث: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الطور.		
	أولا: تفسير الآيات الكريمة	٢٤٣-٢٤٤
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٤٥
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٤٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٤٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٤٦-٢٤٧
المبحث الرابع: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة القلم.		
	أولا: تفسير الآية	٢٤٨-٢٤٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٤٩-٢٥٠
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٥٠-٢٥١
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٥١-٢٥٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٥٣
المبحث الخامس :التناسب بين المقسم به المتعدد والمقسم عليه في سورة الحاقة		
	أولا: تفسير الآية	٢٥٥-٢٥٦
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٥٦-٢٥٧

	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٥٧-٢٥٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٥٨-٢٥٩
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٥٩
المبحث السادس : التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة المدثر		
	أولا: تفسير الآية	٢٦٠-٢٦١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٦١
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٦١-٢٦٢
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٦٢-٢٦٤
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٦٥
المبحث السابع :التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة القيامة		
	أولا: تفسير الآية	٢٦٦
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٦٦-٢٦٧
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٦٧-٢٦٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٦٨-٢٧٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٧٠
المبحث الثامن :التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورةالمرسلات		
	أولا: تفسير الآية	٢٧١-٢٧٢

	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٧٣-٢٧٤
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٧٤-٢٧٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٧٥-٢٧٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٧٦
المبحث التاسع التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة النازعات		
	أولا: تفسير الآية	٢٧٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٧٨-٢٧٩
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٧٩-٢٨٠
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٨٠-٢٨١
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٨١
المبحث العاشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة التكوير.		
	أولا: تفسير الآية	٢٨٣-٢٨٤
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٨٤
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٢٨٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٨٥-٢٨٦
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٨٦-٢٨٩
	المبحث الحادي عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم	

	عليه، في سورة الانشقاق.	
	أولا: تفسير الآية	٢٩٠-٢٩١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٩١
	ثالثا: الغرض من القسم في الآية	٢٩١-٢٩٢
	رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٩٢-٢٩٣
	خامسا: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٩٣
	المبحث الثاني عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة البروج.	
	أولا: تفسير الآية	٢٩٤-٢٩٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٢٩٥-٢٩٦
	ثالثا: الغرض من القسم في الآية	٢٩٦
	رابعا: التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٩٦-٢٩٨
	خامسا: أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٢٩٨
	المبحث الثالث عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الطارق.	
	(الموضع الأول) أولا: تفسير الآية	٢٩٩-٣٠١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٠١
	ثالثا: الغرض من القسم في الآية	٣٠١-٣٠٢

	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٠٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٠٤-٣٠٣
	(الموضع الثاني)أولا: تفسير الآية	٣٠٥
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٠٦
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٠٧-٣٠٦
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٠٨-٣٠٧
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٠٨
	المبحث الرابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الفجر.	
	أولا: تفسير الآية	٣١٠-٣٠٩
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣١١-٣١٠
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣١٣-٣١١
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣١٤-٣١٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣١٤
	المبحث الخامس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة البلد.	
	أولا: تفسير الآية	٣١٦-٣١٥

	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣١٦
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣١٦-٣١٧
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣١٧-٣١٨
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣١٨-٣١٩
	المبحث السادس عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الشمس.	
	أولا: تفسير الآية	٣٢٠-٣٢١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٢١
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٢١-٣٢٣
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٢٤-٣٢٥
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٢٥
	المبحث السابع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الليل.	
	أولا: تفسير الآية	٣٢٦-٣٢٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٢٧
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٢٧-٣٢٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٢٨-٣٣٠
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٣٠

	المبحث الثامن عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة الضحى.	
	أولا: تفسير الآية	٣٣١-٣٣٣
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٣٣
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٣٣-٣٣٥
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٣٥-٣٣٧
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٣٧
	المبحث التاسع عشر: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة التين.	
	أولا: تفسير الآية	٣٣٨-٣٤١
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٤١
	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٤١-٣٤٢
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٤٢-٣٤٣
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٤٣
	المبحث العشرون: التناسب بين المقسم به المتعدد، والمقسم عليه، في سورة العاديات.	
	أولا: تفسير الآية	٣٤٤-٣٤٧
	ثانيا: أركان القسم في الآية	٣٤٧

	ثالثا:الغرض من القسم في الآية	٣٤٧-٣٤٨
	رابعا:التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٤٨-٣٤٩
	خامسا:أثر التناسب بين المقسم به والمقسم عليه في الآية	٣٤٩
	• **الخاتمـــــة**: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته	٣٥١-٣٥٢
	• **الفهـــــارس**:	
	فهرس الآيات الكريمة الواردة في البحث.	٣٥٥-٣٦٦
	فهرس الأحاديث، والآثار الواردة في البحث.	٣٦٧
	فهرس الأعلام الذين ذكروا في البحث.	٣٦٨-٣٧٢
	فهرس الأشعار الواردة في البحث.	٣٧٣
	فهرس المصادر والمراجع.	٣٧٤-٣٨٢
	فهرس الموضوعات.	٣٨٣-٤٠٥

=